جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵙⵉⴷⵉ ⵎⵓⵃⴰⵎⴻⴷ ⴱⵏ ⵄⴱⴷⵍⵍⴰⵀ ⴱ ⴼⴰⵙ
UNIVERSITÉ SIDI MOHAMED BEN ABDELLAH DE FÈS
كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس – فاس
ⵜⴰⵖⵡⴰⵔⵉⵜ ⵏ ⵜⵓⵔⵔⵉⵔⵜ ⴰ ⵜⵎⴰⵡⴰⵙⵉⵏ ⵜⵉⵏⵙⴰⵏⵉⵏ ⵙⴰⵢⵙ - ⴼⴰⵙ
FACULTÉ DES LETTRES ET DES SCIENCES HUMAINES SAÏS-FÈS

مركز دراسات الدكتوراه : "اللغات والتراث والتهيئة المجالية"

تكوين الدكتوراه : اللغات والتراث والتهيئة المجالية"

محور : التاريخ

مختبر :تراث دراسة صيانة وانقاذ

أطروحة لنيل الدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية

في موضوع:

البنيات الاقتصادية والاجتماعية لليهود بوادي نون خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين

إعداد الطالب الباحث : عبد الكريم رفيق

الأستاذ المشرف:الدكتور محمد حاتمي

تاريخ المناقشة :**30** يونيو **2021**

لجنة المناقشة :

الدكتور محمد العمراني .رئيسا

الدكتور الحاج ساسيوي عضوا

الدكتور سيدي محمد الكتاني عضوا

الدكتور محمد حاتمي مشرفا ومقررا

السنة الجامعية :

2020_2021

مقدمة

لا يزال الكثير من الغموض يلف جوانب عديدة من تاريخ المغرب، ويزداد هذا الغموض تعقيدا كلما تعلق الأمر بالجنوب المغربي. مرد ذلك الى ندرة الوثائق وقلة الشواهد التاريخية والنقص الكبير في الأبحاث والتقنيات والدراسات الأركيولوجية المنجزة حول هذه المنطقة. لذلك فجل الكتابات التي تطرقت لتاريخ المنطقة تحاول الانطلاق من فرضيات واسقاطات وشواهد ضعيفة كالرواية الشفهية والحكايات الشعبية المتداولة.

ومما لاشك فيه أن جنوب المغرب مجال شاسع متعدد البنيات والاثنيات، عاش مدا وجزرا بسبب تعدد الهجرات، لم يكن خامدا وهادئا بل طبعته أحداث كبرى، مجال يفتقر الى الدراسات والمراجع والوثائق والقراءات التاريخية، حيث يبقى التاريخ في معناه الوصفي هو السائد.

يكتنف الغموض جوانب عديدة من تاريخ جنوب المغرب، وبات من الصعب تبديده بسبب الافتقاد للوثائق وتعذر الحصول عليها. ولعل أي باحث سيصطدم بحقيقة مرة ألا وهي أن جنوب المغرب لم يعرف التدوين الا في فترات متقدمة وذلك لعدة أسباب لعل أبرزها هو الطابع الاجتماعي الذي تطغى عليه ظاهرة الترحال.

وهنا يمكن القول أن تاريخ الجنوب المغربي ظل منسيا، بعيدا عن مجال البحث يعتمد أساسا على الرواية الشفوية وان كانت تعتمد كمادة بحثية خام لدى الباحثين، الا أنها تبقى غير كافية وتغلب عليها الخلفيات، مما يطبع الجزم بمصداقيتها الكثير من الحذر. على أن هناك باحثين غربيين تناولوا تاريخ هذه المنطقة أمثال دولاشابيل، جاك مونيي، بول باسكون، روبيرت مونتاني، بول مارتي، فانسون مونتاي...وبالرغم مما يعتري الكتابات الكولونيالية من مؤاخذات لا مجال

لحصرها هنا، الا أنه نجد أنفسنا مجبرين على التعامل معها والانصات اليها والتعرف على التصورات التي يقيمها.

ومهما كانت هذه الانتقادات الا أن ما قدمته جاك مونيي أو غيرها يتضمن معلومات تاريخية لا يمكن تجاهلها، لذلك فأي باحث في تاريخ الجنوب المغربي يجد نفسه مجبرا على الاطلاع على هاته المؤلفات لكن بحذر شديد.

المعروف أن كل مجال في تاريخ الانسانية ينتج مجاله الخاص، وعلاقاته الانتاجية والاجتماعية الخاصة حسب تطوره ومستواه التقني، فالإنسان يعمل اذن على تنظيم محيطه وتغييره، لكن بالمقابل فان هذا الأخير بدوره يؤثر في الانسان وفي أشكال حياته. ومن هنا تأتي جدلية المجال والانسان، فرغم تطور المجتمعات وتغيير أساليب الانتاج يحتفظ المجال بهياكل تشهد على التأثيرات المتبادلة بينه وبين الانسان.

تعد منطقة وادي نون من أهم المناطق التي عرفت تواجدا بشريا منذ أقدم العصور، فعلى الرغم من قلة المراجع التاريخية، فالآثار الموجودة حتى الآن تؤكد وجود مدن عريقة تدل على حضارات لم تنل حظها الكامل من الكشف والتنقيب. ومن بين هاته المدن والتي تذكرها كتب التاريخ مدينة لمطة (أسرير حاليا) التي يعود تاريخها الى ما قبل الاسلام، وحتى عهد قريب كان السكان المحليون يعثرون على مجموعة من التحف والأواني والمسكوكات الأثرية التي ترجع الى حقب بعيدة. بعدها نشأت مدينة تكاوست، وعاشت هذه المدينة أكثر من ثلاثة قرون، ويذكر أحد الرحالة الفرنسيين (ليوبولد باني) عندما زارها في القرن الخامس عشر الميلادي أنها بلغت ازدهارا عظيما وكانت مركزا تجاريا وصناعيا، وتحيط بها مجموعة من القبائل الرحل الصحراوية. والجدير بالذكر أن منطقة وادي نون

كانت تسيطر على التجارة حتى حدود نهر السينغال جنوبا، وعندما تهاوت مدينة تكاوست وقع الاتفاق بين القبائل على اقامة سوق أسبوعي بربوة صغيرة قرب كلميم، ومازالت تسمى الى اليوم كويرة السوق أو ربوة السوق، لكن انعدام المياه العذبة بها وبعدها عن القرى الأخرى الآهلة جعل الأهالي يفكرون في تغيير مكانها، ويقال أن الفكرة يعود الفضل فيها الى عبيد الله أوسالم، وكان ذلك في عهد السلطان المولى اسماعيل نهاية القرن الثامن عشر، وهي الفترة التي عرفت ازدهارا بالنسبة للمنطقة الجنوبية بصفة عامة ومنطقة وادي نون على وجه الخصوص، ساعدها في ذلك تواجدها في مكان التقاء القوافل القادمة من فاس ومراكش والصويرة وغيرها، ومن القوافل الآتية من السودان. لتصبح بذلك منطقة وادي نون بمثابة سجلماسة جديدة التي سيطرت على التجارة الصحراوية لقرون من الزمن.

تقع منطقة وادي نون في النطاق الأقل قساوة لوجودها على حاشية الأطلس الصغير، وهي بذلك توفر حياة أفضل للاستقرار والزراعة على عكس الجنوب حيث تسود حياة الرعي والترحال. ومن هنا تبرز أهمية خلق تجمع بشري والحفاظ عليه. فبالرغم من طبيعة التضاريس ونوع المناخ السائد تنتشر على مختلف الواجهات أقدم وأهم المداشر والقرى: أسرير، تكاوست، تغمرت...، هاته التجمعات السكنية تعتمد في مورد عيشها على مياه الآبار والعيون، وفي الوقت ذاته تعتمد على الانتجاع كنمط اقتصادي مهيمن. كما أن المجال الجغرافي لوادي نون يبرز الأهمية الاستراتيجية للمنطقة كصلة وصل بين الشمال والضفة الجنوبية للصحراء جعلها تكون بمثابة مركز رحى نشاط اقتصادي مهم، ونقطة التقاء بين الرحل والمستقرين.

اضطلعت منطقة وادي نون بأدوار هامة في التاريخ الاقتصادي والسياسي والاجتماعي للجنوب المغربي بفعل موقعها الاستراتيجي الذي جعل منها منطقة عبور ومجال للقاء بين مجموعات اجتماعية مختلفة، زد على ذلك نمط العيش الذي ظل يزاوج بين حياة الانتجاع وحياة الاقامة في قصور و مداشر جوار الأودية وفي الواحات. ناهيك عن صيتها في صحراء المجابات الكبرى وبلاد السودان كمكان للأسواق وموطن للماهرين في التفاوض التجاري والسياسي.

ورغم هذه الأهمية المشار اليها، فان المنطقة ظلت نسبيا على هامش الأبحاث الأكاديمية طيلة العقود الأربعة الماضية حيث سرقت الأضواء منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب لأسباب استراتيجية وسياقية معلومة. مع أن منطقة وادي نون توجد بها أرصدة وثائقية مهمة خاصة عند العائلات والزعامات التقليدية المحلية تشمل المراسلات وعقود البيع والشراء والأعراف والاجارة وعقود النكاح وعقود التحالف والظهائر المخزنية وعقود الشركة والفتاوى ومشجرات الأنساب...الخ. ناهيك عن الزخم التاريخي الذي تتميز به المنطقة كونها أول مستقر لليهود بالمغرب الأقصى، اضافة بطبيعة الحال الى الكتابات الكولونيالية وما دونه الرحالة الغربيون وضباط الشؤون الأهلية عن منطقة وادي نون.

ان النبش في تاريخ واد نون هو في غاية الاهمية ليس فقط لفهم تاريخ الاقتصاد والمجتمع والثقافة بهذه المنطقة ولكن بالنسبة للمناطق المجاورة سواء سوس شمالا أو الساقية الحمراء وموريتانيا جنوبا لأنه بالإمكان العثور على معلومات وفك ألغاز في تاريخ هذه المجالات انطلاقا من وادي نون. هذا الأخير الذي كان منطلقا للعديد من المجموعات الاجتماعية التي قطنت الساقية الحمراء وبلاد شنقيط. وكان واد نون بالمقابل مأوى للعديد من القبائل والعشائر الرحالة الوافدة من الجنوب والشرق.

كما أن واد نون من المناطق الصحراوية التي انفتحت في وقت مبكر على العالم الخارجي سواء من خلال الهجرات القادمة من الشرق (الهجرات اليهودية- الهجرات العربية...)، أو من خلال المحيط الأطلسي سواء عبر سواحل واد نون أو عبر مرفأ موكادور (الصويرة)، ناهيك عن الرحالة الأجانب الذين اتصلوا بسكان واد نون مبكرا وساهم معهم بعض الوادنونيين في عبور الصحراء نحو بلاد السودان.

عنوان الأطروحة :

ان عنوان أطروحتنا هو "البنيات الاقتصادية والاجتماعية لليهود بوادي نون خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين" مساهمة في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لفئة نشيطة من المجتمع المغربي ككل، ومن خلال هاته الفئة (اليهود) التعرف على جوانب ظلت مظلمة في البحث التاريخي للمنطقة، اذ أن جل الدراسات والأبحاث التي تناولت منطقة وادي نون والجنوب المغربي ركزت على مونوغرافيات القبائل وأدوارها داخل النسيج الاقتصادي والاجتماعي، وجاء الحديث فيها عن دور فئة اليهود عرضيا ومحتشما، وذلك لعدة اعتبارات لا يسعنا المجال للحديث عنها، غير أنها غالبا مرتبطة بشح المعلومات والوثائق من جهة وغياب هذا العنصر عن المجال منذ عقود خلت.

ان الغاية من دراسة هذا الموضوع المتعلق بجوانب ن التاريخ الاقتصادي والاجتماعي ليهود واد نون، هو الرغبة في ابراز جوانب من تاريخ المنطقة الذي لا زال غامضا ويحتاج الى مزيد من الدراسات والأبحاث، وقد دفعنا الانتماء الى المنطقة الى اختيار جانب من تاريخها للانكباب عليه رغم أن ثلة من الباحثين من أبناء المنطقة سبق لهم ان تناولوه على مستوى معين.

تعتبر المنهجية هي العلم الذي يبحث في الطرق التي يستخدمها الباحثون لدراسة الاشكالية والوصول الى الحقيقة، وعلى اعتبار ان الفصل بين المناهج العلمية غير ممكن في البحث العلمي، لأن جميع المناهج خطوات مختلفة في منهج واحد، ارتأينا الاعتماد على مجموعة من المناهج، نعتقد انها كفيلة بإيصالنا الى درجة من الدقة والضبط العلميين ومن بينها :

المنهج التاريخي :الذي لا يقتصر على مجرد سرد الأحداث التاريخية، بل انه يحللها ويفسرها في واقعها التاريخي قصد الوصول الى معرفة الحاضر، على اعتبار أن الحاضر نتاج لتراكمات سابقة.

والى جانب المنهج التاريخي حاولنا ان نوسع دائرة الالتزام هذه من خلال الاستعانة بمجموعة من العلوم المساعدة للتاريخ والتي لها وزن في الاحاطة بالمجتمعات البدوية.

اعتمدنا كذلك على المنهج الاستقرائي والاستنباطي (تحليل المضمون) الذي يقوم على وصف منضم ودقيق لمحتوى نصوص مكتوبة، وسنعتمده في دراسة الوثائق التاريخية ذات الصلة بموضوع الدراسة، وهي وثائق تجارية وعقود ومعاملات متنوعة، وقد سمحت لنا هذه الوثائق بالوقوف على بعض الانشطة الاقتصادية ليهود المنطقة.

فرضت علينا طبيعة البحث طرح مجموعة من الاشكاليات حول الأهمية التي يكتسيها النبش في تاريخ اليهود بوادي نون.

يحاول البحث تلمس التحولات التي طبعت فئة معينة من المجتمع المغربي بصفة عامة والمجتمع الوادنوني على وجه الخصوص، وهي فئة اليهود ضمن مقاربة

تاريخية سوسيولوجية، استهلت بملامسة مكانتها في المجتمع الوادنوني، ثم مقاربة واقعها ضمن متغيرات وسيرورة التاريخ المغربي.

وهي الاشكالية والمقاربة التي أغفلتها جل الدراسات نظرا لأن دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي في بلادنا ومنذ أواسط القرن الماضي انحصرت في العمل المونوغرافي والبنيات القبلية.

قسمنا البحث الى قسمين رئيسيين: قسم أول عنوناه ب**المكون اليهودي بوادي نون : ثمرة ظاهرة الشتات،** يتكون من فصلين اثنين، فصل أول تطرقنا فيه للمجال المدروس، حاولنا تحديد أهم معالم المجال الوادنوني وفصل ثاني، تطرقنا من خلاله الى الهجرات الكبرى لليهود، والهجرات التي أوصلتهم الى مجالنا المدروس، وأهم دوافع هذا التواجد. أما القسم الثاني من البحث والمعنون ب**النظم الاقتصادية والاجتماعية لليهود بوادي نون خلال القرن التاسع عشر،** قسمناه الى أربع فصول، تناولنا في الفصل الأول مكانة اليهود داخل النشاط الاقتصادي بوادي نون، وفصل ثاني حاولنا فيه ملامسة أهم التفاعلات التي طبعت العلاقة بين المكون اليهودي والزعامات المحلية بوادي نون من جهة وكذا العلاقة بين اليهود والمخزن من جهة ثانية، أما الفصل فيتناول صعود نجم اليهود بوادي نون وتحولهم من تجار محليين الى تجار عالميين وتجار للسلطان، وفي الفصل الرابع والأخير تناولنا بعضا من جوانب الحياة الاجتماعية لليهود بملاحي كلميم وافران.

اعتمدنا في هذا البحث على مجموعة من الخرائط والرسوم الجوية والجداول بغية اعطاء القارئ صورة مقربة عن المنطقة المدروسة، لأنها تحتوي على معلومات واشارات لمختلف الاشكال التضاريسية للمنطقة من جهة وكذا تحوي اشارات

لمختلف المداشر والدواوير التي توجد بالمنطقة، كما يضم البحث كذلك مجموعة من الصور الفوتوغرافية المأخوذة من أمكنة مختلفة للمجال المدروس.

ان موضوعا بهذا التنوع، وعلى درجة كبيرة من الدقة (اليهود) لا يمكن الا أن تكون تحليلاته ومقارباته على درجة كبيرة من الصعوبة، فالبحث يتداخل فيه ما هو تاريخي عميق بما هو حديث ومعاصر، مما يجعلنا امام صعوبات ناجمة عن مشكل الوثائق من حيث ندرتها أو صعوبات استغلالها وتوظيفها.

القسم الأول :

المكون اليهودي

بوادي نون : ثمرة

ظاهرة الشتات

الفصل الأول : وادي نون، المجال والانسان

المبحث الأول :التحديد الجغرافي للمنطقة :

1- واد نون ، المفهوم والدلالة

يتحدث الدكتور مصطفى ناعيمي عن المصطلح فيورد أنه موغل في القدم. فيورد أنه في احدى نصوص بوليب هناك اشارة تقول بأن الفترة الممتدة من 256 و 237 قبل الميلاد عرفت مجموعة من المدن كانت تحمل اسم "البتيسLeptis" ويسود الاعتقاد بأنها تعني لمطة.1

وقد وردت كذلك عند بطليموس مجموعة من المصطلحات للدلالة على بعض الأماكن الجغرافية خاصة في الجنوب منها، Agna وهي ماسة ثم Vala وهي تارودانت ثم أشار الى Novios ولا يستبعد أن تكون ذات دلالة على نول2، وأثناء حديث سترابون عن الأنهر ذكر نهر Nulos وربما هي اشارة الى نهر النيل لكن أتبعه بمعطيات أخرى تفيد بأن النيل ينبع من احدى جبال موريتانيا السفلى (أي المغرب الأقصى) غير بعيد عن البحر حيث توجد بحيرة تسمى Nilis فيها أسماك وتماسيح وفي هذا اشارة الى أن هناك علاقة بين النيل ونول. وأورد PaulOrose نفس الملاحظة التي جاء بها سترابون، ثم أضاف أن نهرا في جنوب المغرب يأخذ اسم درعة (درة) عند بعض البربر، ويأخذ عند البعض الآخر اسم Nuhul.3

---

1 - Naïmi Mustapha, *Nul lamta ou l'evil du sens étiologique*, contribution des approches pluridisciplinaires pour l'étude des noms géographiques in le Nom géographique : patrimoine et communication, Actes du premier colloque national sur le nom géographique, Fedala-Mohammedia, 1994, p51.

2-Ibid, p.52

3 - Ibid, p.54

اعتبر مفهوم Nim في الثقافات القديمة رمزا للماء أصلا والذي يعتبر النيل أحد تمظهراته، كما يرمزNim الى آلهة الحكمة والطب في بلاد الرافدين والتي توجد على هيئة نصف رجل ونصف سمكة1. ونجد الاسم كذلك وارد في التراث الديني وتجدر الاشارة الى أن روايات متواترة تفيد بأن نون هو نفسه الحوت الذي ابتلع نبي إسرائيل كما ورد في الانجيل والقرآن في ما بعد، وتعتقد الرواية بأن الحوت رمى بيونس على شواطئ المنطقة.

من خلال جردنا لهذه المعطيات نتوصل الى حقيقة ثابتة وهي أن مفهوم "نول" أو "نون" كان له ارتباط وثيق بالماء والثروة المائية في كل الحضارات القديمة.

وقد اقترن باسم "نول" اسم آخر هو "لمطة"، اذ نجد أن جل الكتابات عن المجال توردهما مقترنين، وكلمة لمطة هي الصيغة العربية لمصطلح "لمط" وهو حيوان من فصيلة الظباء يوجد في افريقيا. من هنا يمكن القول بأن الكيانات تميز استنادا الى معالم طبوغرافية او هيدروغرافية أو حيوانية أو بشرية وذلك لارتباطها بنمط عيش السكان. وبما أن مفهوم "لمطة" هو تعريب لمصطلح "الميضن" ألا يمكن أن يكون الاسم قد كان في فترات معينة هو "نول الميضن" ؟ على أي فالكلمة مركبة من اسمين همت "نول لمطة" وقد يصادف أحيانا أن التسمية يمكن اختزالها في "نول" أو لمطة في بعض المصادر.

مع بداية العصر الوسيط ومع وصول الاسلام الى الشمال الغربي لإفريقيا عموما والمغرب الأقصى على وجه التحديد، بدأت تتراكم الكتابات المشرقية وكذا المغربية في تخصصات مختلفة كالتاريخ والجغرافيا...، فعند الرجوع الى قاموس

[1]- Ibid, p.54

ابن منظور نجده يقول أن "نول تعني الوادي السائل"1.وقد يجد الباحث صعوبة في التمييز بين "نول" و "نون" لكونهما متطابقتان من حيث الألفاظ. وفي معجم البلدان للحموي نجده يقول "نول لمطة تقال للأرض والقبيلة معا"2. وذهب الحميري في نفس الاتجاه حينما أشار الى أنها "سميت لمطة لأن قبيلة لمطة يسكنونها"3، ويضيف الحموي قائلا : "هي مدينة في جنوب بلاد المغرب وهي حاضرة لمطة"4. ويسلك صاحب الاستبصار نفس المنحى فيشير الى أن "نول كام مجال استيطان لمطة لهذا أطلقوا اسمهم على المكان الموجودين فيه"5. ويذهب المراكشي الى القول بأن "كوست ونول تعتبران عاصمتان للجزوليين واللمطيين، وليس لأي أجنبي الحق في الاستقرار فيهما"6.

ويشير ابن خلدون الى "أن وادي درعة تضيع مياهه في الصحراء بين سجلماسة وسوس ليصب في المحيط بين نون وودان، وتحيط بجنباته أشجار النخيل المثمرة الكثيرة"7. أما الحسن الوزان فيشير الى نون وهو "آخر أجزاء ليبيا على ساحل البحر المحيط"8.

وتجمع جل المصادر على اعتبار مدينة نول أو النون كما يطلق عليها حاليا هي عاصمة الاقليم، ويتحدد موضعها بين سجلماسة وأوداغوست، وهذا ما يؤكد

1- ابن منظور *لسان العرب*، المجلد 11، دار صادر، بيروت ،بدون تاريخ، مادة نول، ص684.
2- الحموي ياقوت، معجم *البلدان*، المجلد الخامس، دار بيروت، 1987، ص23.
3- الحميري، *الروض المعطار ،تحقيق احسان عباس*، مؤسسة ناصر للثقافة، الطبعة الثانية، بيروت، 1980،ص 584.
4- الحموي، *مرجع سابق*، ص 312.
5- مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، مطبعة جامعة الاسكندرية، 1958،ص 213.
6- المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، تحقيق سعيد العريان والعلمي محمد، الطبعة السابعة، دارالكتاب، الدارالبيضاء، 1983، ص 512.
7- ابن خلدون عبد الرحمان ، *المقدمة*، المجلد الثاني، المكتبة العصرية، بيروت، ص21.
8- الوزان حسن بن محمد، *وصف افريقيا*، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر،دار الغرب الاسلامي، بيروت ،الطبعة الثانية، 1983، ص108.

أن المنطقة كانت معبرا للتجارة بين المغرب وبلاد السودان، وهو ما سمح لبعض المصادر بدمج المنطقة ضمن مجال صنهاجة اللثام1.

يحدد روبرت مونطاني (Robert Montagne) مجال وادي نون بقوله : "هذا الرأس المسمى بنون Cap Noun يوجد بين افني وواد نون، وترسم معظم الخرائط الأجنبية القديمة والحديثة موقعه منذ سنة 1929، قرب مصب واد درعة في رأس درعة.2

وبالرجوع الى الوثائق المحلية، يورد ناجيه عمر أحد المهتمين بتاريخ المنطقة اشارات عن وثائق توجد بحوزته عن تواتر اسم "نونة" ليحل محل "نول"، فما المقصود بمفهوم "نونة"؟ تطالعنا الرواية الشفوية وبعض المراجع بجواب مفاده أن "نونة" هي ملكة نصرانية "تاروميت" كانت تحكم المنطقة، فسميت هذه الأخيرة باسمها.3 فهل هناك علاقة اذن بين الملكة النصرانية وبداية التواجد الايبيري على السواحل المغربية؟ أم أن المسألة تتجاوز ذلك الى ماهو أعمق أي الارتباط بنظام القرابة من ناحية الأم، فقد أشارت De Pigaudeau أن نظام القرابة من الأم هي عادة اجتماعية كوشية في منطقة درعة. فبحسب بعض الوثائق اليهودية التي نشرها كاتيفوسي، يشير الى أن منصب الملك كان يتقلده النساء. فالأساطير المحلية لا زالت تحتفظ بذكريات الملكة يكوة Yaggawwa أم يكوت المتواجدين في لمسيد. وتحتفظ كذلك بذكريات الملكة نونة وهي نصرانية في قلب البحر أي في جزر الكناري والتي تركت اسمها على أنقاض منطقة

1- الدبيش عبد الوهاب، *مجال وادي نون في العصر الوسيط من خلال كتب الرحلات*، ندوة واحات وادي نون، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة ابن زهر،مطبعة الهلال العربية للطباعة والنشر،أكادير،الطبعة الأولى، 1999، ص100.

2- Montagne Robert, *la civilisation du désert nomade d'orient et d'afrique*, ed Hachette, paris, 1974, p.56

3- Naimi Mustapha, « Nul Lamta », tableaux édifiants, Hesperis Tamuda, Vol XXXIII, 1995, p 91

أكادير-نونة قرب تلوين وكذلك في تيزي نتاروميت على السفح الأيسر لوادي أساكا وقد أطلق اسم النصرانية على اقليم نون كله.[1]، ومع عدم تسليمنا المطلق بهذه الروايات الا أنها تظهر مدى التغيرات التي حصلت على المفهوم عندما بدأت المنطقة تعرف احتكاكا مباشرا بالايبيريين. وحتى حسن الوزان الذي زار المنطقة في هذه الفترة (سنة 1510) وعاين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة لم يقف عند حدود المفهوم الا في اطاره الجغرافي والاقتصادي والاجتماعي قائلا "نون منطقة مسكونة على شاطئ المحيط ليس بها سوى قرى عامرة بناس فقراء، تقع بين نوميديا وليبيا ولكن القسم الأعظم منها ينتسب الى ليبيا، لا ينبت فيها الا الشعير وقليل من التمر الرديء، يرتدي أهل هذه البلاد لباسا يسئا وهم فقراء لأن الأعراب يستغلونهم ويستنزفونهم ويذهب بعضهم للإتجار في مملكة ولاتة.[2] ويبقى وصف الحسن الوزان ناقصا، حسب محمد حجي فيما يخص توطين المنطقة.

نفس الباحثة نجدها تتحدث عن المجال فتعطي تعريفا آخر للمفهوم، ذو طابع ثقافي حيث نجد أنها تدمج المجال في ما يطلق عليه "تراب البيضان"، وتقول في هذا الباب : "يمتد مجال تراب البيضان حاليا على الأقاليم الممتدة من وادي نون وطرفاية وتافيلالت والساقية الحمراء ووادي الذهب والجمهورية الاسلامية الموريتانية وغرب صحراء مالي"[3].

نعود الى الرواية الشفوية التي تفيد بأن المنطقة كانت عبارة عن بحيرة كبيرة يملأها حوت يحمل اسم "النون" فاطلق هذا الاسم على المنطقة فسميت "وادي

---

[1]- Du Puigaudeau Odette, « *Arts et coutumes des Maures* », Hesperis-Tamuda, volume 3, 1967, p 356

[2]- الوزان حسن محمد الفاسي، وصف افريقيا، ترجمة حجي محمد والأخضر محمد ،دار الغرب الاسلامي، الطبعة الثانية، 1983، ج2، ص 108

[3]- Du Puigaudeau Odette, « *Arts et coutumes des Maures* », Hesperis-Tamuda, volume 3, 1967, p 132.

نـون". نقـف عنـد هـذه الروايـة لنشـير الـى التعـارض الواضـح بـين التحقيبـين الجيولوجي من جهة والتاريخي من جهة ثانية. فالتغيرات الجيولوجية والمناخية تحدث وفق سلم يقاس زمنيا بملايين السنين أي قبل تواجد الانسان فوق الأرض. فكيف للرواية الشفوية أن ترافق هذا التحول، بل أضافت أن واد أساكا الذي يمر شمال منطقة وادي نون ويحدها مع منطقة أيت بعمران جاء نتيجة انفجار هذه البحيرة فانشق الوادي. وهذا التفسير فيه تعارض واضح مع التفسير الجيولوجي. وقد اتخذ المصطلح مدلولا آخر بحيث أورد دولاشابيل أن منطقة وادي نون كانت مجالا خصبا بالكلأ لابل الصحراء الى حد أن الأسطورة القديمة عرفت الاسم القديم لهذا المجال ب "وادي النوق" الا أن استقرار الرحل أدى الى انخفاض تربية الابل مع ظهور الواحات وتطوير الزراعة.1 وقد يحيلنا ذلك الى طرح تساؤل آخر حول تاريخ تواجد الابل بالمنطقة ومع ذلك نتساءل عن علاقة المفهوم بحركة الرواج الكبير للابل في المنطقة خصوصا اذا ما علمنا أن وادي نون كانت تعتبر من أكبر الأسواق الخاصة بتجارة الابل في الصحراء الكبرى.

المحددات الايكولوجية والجغرافية لمجال البحث :

ان التحديد الجغرافي يحظى بأهمية بالغة، وذلك لما يمكن أن يمنحه من تحديدات ستساهم لا محالة في حصر مجال الدراسة بشكل أكثر ودقة. والذي هو منطقة واد نون، خصوصا اذا ما استحضرنا ان هذه المنطقة التي كانت تعرف

[1]- De La Chapelle, Esquise d'une histoire du sahara occidental, études notes et documents sur le sahara occidental, 7eme congres de l'institut des hautes etudes marocaines , rabat, paris, librairie Larousse, 1930, p42

بأسماء عديدة في فترات متعددة، وقد كان مجالها الجغرافي يمتد من "طرفاية جنوبا الى أغوينيت شرقا، ومن افني شمالا الى الأكيدي بالجنوب الشرقي"[1]

يعتبر مجال وادي نون من المناطق التي تعرف تنوعا كبيرا، سواء من ناحية الطبوغرافية أو البنيوية، الأمر الذي يصعب معه إعطاء تقسيم للمنطقة، لكن بما ان وادي درعة يشكل عنصرا تضاريسيا يتوسط المنطقة، أمكن اعتمادا عليه تقسيم إقليم تكنة طبيعيا، إلى منطقة شمال درعة وجنوبها:

2-1 منطقة شمال درعة: ويضم هذا التقسيم مظاهر سطحية جد متنوعة من هضاب وجبال وأحواض، إلا أنها مع ذلك لا تشكل عائقا أمام الاتصال بين الشمال والجنوب. على أن أهم المظاهر السطحية الموجودة بهذا القسم، هي الهضاب وبعض الأحواض المنخفضة التي ساعدت على إنشاء الكثير من الواحات ومن أشهرها حوض واد نون. وهكذا يمكن أن نميز داخل هذه المنطقة بين العناصر التالية:

2-2 الأطلس الصغير : وهو في الجهة الغربية، و في نهايته الجنوبية عبارة عن هضبة كلسية قديمة ترجع إلى الزمن الأول Gambrien وتنتمي إلى التضاريس الابلاشية2 . ورغم أنه يشكل حاجزا أمام المؤثرات المحيطية، إلا انه من جهة أخرى يعتبر مصدرا مهما لكثير من الأودية، التي يتغذى منها حوض واد نون بصفة خاصة.

2-3 جبال باني: وهي عبارة عن سلسلة جبلية، تمتد من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي، وتنتمي من الناحية البنيوية هي أيضا إلى التضاريس الأبلاشية

[1]- ناعيمي مصطفى، الصحراء من خلال بلاد تكنة: تاريخ العلاقات التجارية والسياسية ،مطابع عكاض ،الرباط، 1998،ص11.

[2]نسبة لسلسة جبال الالابلاش شرق الولايات المتحدة الامريكية.

(مكونة غالبا من حث). وتظهر هذه المرتفعات في أماكن كثيرة على شكل عروق رملية1، تمتد بصفة متوازية مع وادي درعة، تفصل بينها بعض المنخفضات تدعى –فيجات- تأخذ عدة تسميات محلية (تزكي، محرالين، تالعينت..)

2-4 حوض واد نون : تمتاز منطقة واد نون، بوضع جغرافي منفرد عند نهاية الاطلس الصغير وهو بموقعه هذا يقع عند مدخل الصحراء، ولهذا فهو يعتبر صلة وصل بين المناطق الصحراوية والمناطق الخصبة الداخلية، ليس من ناحية المناخ والغطاء النباتي فقط، بل من ناحية التربة أيضا. ويعتبر واد نون، المنطقة الوحيدة في تكنة التي تسمح بقيام زراعات بحكم العوامل الطبيعية سابقة الذكر. أما المنطقة الموجودة بين وادي نون ودرعة، فتوجد بها أشكال تضاريسية يغلب عليها الطابع الجبلي المتمثل في عدد من التلال المتفرقة (جبال تيسا، جبل كير...).

أما الجهة الغربية، فتوجد بها عدد من الكثبان الرملية التي تنتصب على طول الساحل.

2-5 منطقة جنوب درعة: يمكن أن نميز بهذا القسم، بين عدة مظاهر طبوغرافية، إلا أن العنصر الغالب على المنطقة، هي الأشكال المنبسطة والمتسعة، تحيط بها بعض المرتفعات المنعزلة وهي عبارة عن تلال متوسطة الارتفاع، تتخللها بعض المنخفضات الضيقة.

الحمادة : هي هضبات كلسية تتخللها اندساسات رخوة من الطين، مما يجعلها محفورة أو مشقوقة بوديان، وانخفاضات محلية بفعل الرياح وحرارة الشمس، وهذه الوديان مغطاة غالبا بالطبقات الرسوبية المكونة من الرمال.

1العرق: مناطق تسود فيها الكثبان الرملية، في تغيير مستمر بفعل هبوب الرياح،

العرك : مناطق من كثبان الرمل انتقلت اليها من الرك.

الخنك : يطلق على خانق أي مضيق بين الأجراف أو على واد جبلي ضيق في فج صغير بين كديتين (جبلين)، ويكون ناتج عن تعمق الجريان في الصخور الهشة.

السبخات : جمع مفرده سبخة، وهي انخفاضات كبيرة لها شكل بيضوي، قاعه من الصلصال.

وهي تعطي ترسباته المحلية ذخيرة طبيعية وهامة من الأملاح.

الكلب : مفرده وجمعه أكلاب، وتنصرف دلالته اللغوية الى القلب، أما دلالته الاصطلاحية في المجال المدروس فتنصرف الى طود معزول على شكل قلب رأسه الى الأعلى، وقد يدل وجوده على نشاط بركاني في القديم خلف صخور والتواءات غير منتظمة تتخللها تضاريس رسوبية عالية هي المسماة بالكلب ويصغر على كليب ويجمع على أكلاب.1

الكرارة : مفرد جمعه: الكراير، أي القرارة بالنطق العربي الفصيح وتطلق على ما اطمأن من الأرض وكان قاعا مستديرا تتجمع فيه المياه وتمتصها ببطء فيكون منبتا وصالحا للزراعة، وتشكل عنصرا اخر من العناصر الطبوغرافية المميزة لمجال وادي نون، وتبدو على هيئة جزر صلصالية وخزفية واقعة في الرك، أو تبدو على شكل حفر مغلقة، يظهر فيها النبات بعد موسم الأمطار، فيعمد السكان الى زراعتها والانتفاع من خصوبة تربتها.

1- أحمدالهاشمي،« المشهد الطبيعي في طوبونيميا المجال الصحراوي » ،ضمن كتاب الصحراء الأطلنتية المجال والانسان، تنسيق رحال بوبريك، الطبعة الأولى، 2007،ص 58.

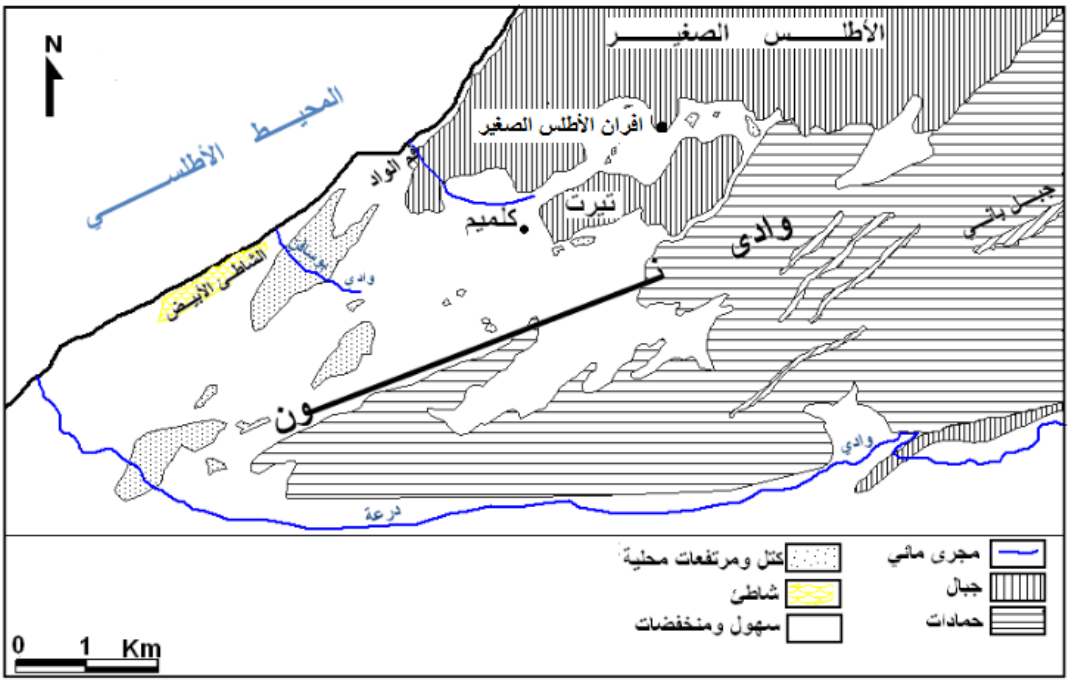

خريطة 1: مجال وادي نون

يقول بول باسكون أن زراعة الكرايز شكل أصلي وخاص بالصحراء، ولذلك فهي تستحق وصفا دقيقا وكافيا، وهو ما قام به فعلا في مؤلفه1.

وبعودتنا الى الحمادة فسنجد أنها لفتت نظر الجغرافيين منذ أمد طويل، نظرا الى أنها وحدة بنيوية تنتسب الى سانكلينال تيندوف، ولأنها تغطي بهضابها الحصوية كل المنطقة المحصورة بين الساقية الحمراء ووادي درعة والكتلة البنيوية لزمور، ثم لأن سفوح الحمادة غنية نسبيا بالنبات، تظهر عليها الكثير من أشجار الطلح ومختلف الأعشاب التي يمكن أن تتخذ كوقود أو لاستخراج المراهم والأدوية.2

[1]- Paul Pascon, « mise en valeur des regions sahariennes. Projet d'interventions socio-economiques dans les provinces du sahara occidentale. » Institut agronomique et vétérinaire. Hassan 2. Rabat p,3.

[2]- محمدالغربي،الساقيةالحمراءووادياالذهب، المجلد الأول، دار الكتاب، الدار البيضاء،ص 22.

5-2 المناخ :

تعتبر المنطقة قياسا مع المناطق الواقعة شرقا وجنوبا أقل قساوة مناخيا، وذلك راجع لقربها من المحيط المعرض دائما للرياح الشمالية الغربية الرطبة، إلا أن انتصاب مجموعة من المرتفعات على طول الشاطئ كثيرا ما يحول دون وصول هذه الرياح، والمناخ يختلف من منطقة إلى أخرى حسب موقعها الطبوغرافي، قربها أو بعدها من الساحل، ذلك أن المناطق الساحلية أقل جفافا وأكثر رطوبة من المناطق الداخلية، كما أن المناطق الشمالية أكثر اعتدالا من المناطق الصحراوية الجنوبية.

وعلى العموم فان منطقة وادي نون تخضع لمؤثرات متعارضة:

مؤثرات محيطية

مؤثرات صحراوية

إلا أن هذه المؤثرات الأخيرة هي الغالبة على العموم، في حين أن المؤثرات المحيطية يعترضها الحاجز الجبلي المتمثل في الأطلس الصغير والتلال الجنوبية مما يجعلها منعدمة الأثر، الأمر الذي يجعل المنطقة تخضع لمناخ جاف متحكم في كل المنطقة، من وادي نون إلى الساقية الحمراء.

وكلما انتقلنا من الشاطئ في اتجاه الداخل. كلما زادت درجة الحرارة في الارتفاع نهارا وفي الانخفاض ليلا، بل الأكثر من هذا أن الفصل الحار يمتد على فترة طويلة من السنة مما يكون له بالغ الأثر على الحياة النباتية. أما الأمطار فتتساقط في فصلي الخريف والشتاء، لكنها نادرة وغير منتظمة، حتى عندما تنزل، فغالبا ما تسقط على شكل زخات عنيفة تسبب انجراف التربة، ومن ثم تحدث

فيضانات عنيفة كثيرا ما تدخل الهلع في الأهالي، كما حدث سنة 1967 و 1985 و 2015، إذ ان مثل هذه الفيضانات حسب بعض الشيوخ هي التي أدت إلى غمر مدينة نول لمطة.1

6-2 المياه :

إن المشكل الأساسي في حياة هذه القبائل هو قلة هذه المياه الجارية، ويعرف مجال وادي نون تفاوتا واضحا في الموارد المائية، وتكاد تستحوذ المنطقة الشمالية على القسط الأكبر من هذه الموارد، فنظرا لموقعها الجغرافي على سفوح الأطلس الصغير وجبال باني تمر بها أودية تجري خلال ثلاثة أرباع السنة وبها أبار على عمق متوسط، ومياه سطحية، نتيجة لذلك نجد السكان مجتمعين في قصور ودواوير حول العيون ومجاري المياه والابار، ويقومون بزراعة بعض النباتات والأشجار.. ومن هذه الأودية، أودية واد نون ، واد صياد، واد ام لعشار، واد درعة....

أما المنطقة الجنوبية (جنوب درعة) باستثناء وادي الساقية الحمراء الذي تجري به المياه عندما تهطل الأمطار بغزارة فإن بقية الوديان هي أقل أهمية منه، وكثيرا منها على شكل أنهار أثرية تستعمل طرقا للقوافل، أو على شكل أخاديد عميقة مهددة دوما باكتساح الرمال لها.

تعاني المنطقة من ندرة التساقطات وفقر التربة وهو ما انعكس على المظاهر النباتية فهي قليلة وتقتصر على بعض الأماكن حيث تتوفر على إمكانيات نموها من ماء وتربة خصبة، وتبعا لذلك فلن نجد المظاهر النباتية إلا على ضفاف

[1]مدينة قديمة يرجع تأسيسها الى ما قبل الاسلام ذكرها عدد كبير من المؤرخين من بينهم البكري وابن خلدون وابن حوقل.

الأودية وحول العيون والآبار و في جوار السبخات، كما تحتفظ العروق ببعض أنواع من النباتات شريطة نزول قطرات من الأمطار.

وتأتي أشجار النخيل في مقدمة المظاهر النباتية السائدة في المنطقة التي تنتشر حول الواحات حيث يتوفر الماء، ولقد قدر عدد أشجار نخيل منطقة وادي نون مع بداية هذا القرن ب 100 ألف نخلة1 وتأتي بعد أشجار النخيل أشجار الزيتون التي يقتصر مجالها على منطقة وادي نون، ثم أشجار أركان التي تنتشر على سفوح الأطلس الصغير وحتى وادي درعة.

وانطلاقا من درعة جنوبا تنعدم الحياة النباتية باستثناء بعض الأشجار المتفرقة التي تنمو على ضفاف الأودية وعلي سفوح المرتفعات أو في الأماكن حيث تنتشر الرطوبة.

أركان : المراد به الشجرة التاريخية التي تميز الجنوب المغربي، وتظهر بعض الدراسات أن مجال هذه الشجرة كان يمتد على الأقل الى جنوب الداخلة.2

الطلح : ويطلق عليه أمراد بالأمازيغية ويعد من أهم أشجار المجال الصحراوي التي تسهم في تثبيث الكثبان الرملية، يبلغ طولها عادة ما بين 5 أمتار و 12 مترا أو أكثر، ولا تقل عن المترين، وهي عميقة الجذور، أغصانها كثيرة ويكون لونها بنيا رماديا وعليها أشواك بيضاء يبلغ طولها حوالي 6 سم. وأشواك مقوسة لا تتعدى 1.5سم، تعطي سيقانها المتفرعة للشجرة شكل المضلة، أما أوراقها فهي خضراء مسننة، وثمارها تكون خضراء وتشبه الفاصولياء وتسمى الخروب، وهي غذاء مفضل لدى الجمال والغزلان، ويستطب الانسان بقشورها

[1] V. Monteil : notes sur les sur Tekna , librairie la rose , Paris 1948 : page 47

[2]- أحمد الهاشمي،مرجع سابق،ص 64.

وعلكها، ويتخذ من أخشابها حطبا للطهي والتدفئة ومادة لصناعة أعمدة الخيام وعصي الرعاة.

السمار : اسم يطلق على قصب رقيق طيع يرتبط وجوده بوفرة المياه، فنجده ينبت في جنبات الأودية والعيون المائية ويستعمل لصناعة الحصر.

أم لبينة : سدرة خضراء اللون، كثيرة الأشواك، تتميز بلبن شديد المرارة يكون في أغصانها.

العكاية : اسم نبات ينتشر على الأرض وترعاه الماشية، يشبه عقيقا رقيقا منتظما في خيط، تشبه أوراقه حبات القمح الغليظ وفيها ماء مالح تعالج به الأمراض الجلدية.1

المبحث الثاني :التشكيلات الاجتماعية بمجال وادي نون :

تعريف القبيلة :

القبيلة هو ذلك الكيان الاجتماعي الذي ينحدر من شخص معلوم مشهور بصلاحه أو قوته العسكرية ويلعب الجد الأعلى دورا كبيرا في تماسك المجموعة. وهكذا فان القبيلة مثلا تتكون من وحدات سلالية مرتبطة فيما بينها وفقا لقواعد معينة وتكون في مجموعها وحدة اجتماعية وفقا لقواعد معينة، وتكون في مجموعها وحدة اجتماعية وسياسية مستقلة استقلال قد يقوى أو يضعف. وتندرج الوحدات الاجتماعية في إطار نسب يحدد نظاما خاصا من العلاقات تحديدا لا

1- نفسه،ص 66.

التباس فيه، سواء بين الجماعات أو بين الأفراد، وهو تحديد يتلافى النزاعات الإلزامية.1

بالرجوع إلى ابن خلدون في إطار السعي الحثيث لكشف مفهوم القبيلة من خلال بعدها التاريخي فهو الأجدر بالاهتمام على الإطلاق خصوصا في فترة سابقة على الدراسات الأنتربولوجية.

إن جوهر النظرية الخلدونية ترتكز على النسب الذي يعتبر محددا أساسيا داخل القبيلة، حيث يعتبر أن صلة الرحم طبيعية في البشر، وقد شرح معنى الحديث " تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم " بقوله إن النسب إنما فائدته هذا الالتحام الذي يوجب صلة الرحم2، وهذا هو الحد الأدنى الذي أراد الإسلام ألا تتجاوزه العلاقة النسبية عكس ما كانت عليه في الجاهلية، ولنفس الهدف حسمت مسالة الطعن في الأنساب .

يركز ابن خلدون على مسالة ثمرات النسب وهو ناتج عن استحالة التحقق من صحة النسب ضمن سلسلة طويلة من الأجداد والآباء ذلك أن مجرد الاعتقاد في النسب الواحد يكفي لتقوية الأواصر، وبذلك فان الوحدات القبلية تجد نفسها منصهرة في مستوى عال من التكتل والالتحام، طالما تنتسب لثمرة نسب واحد وتمارس حقوقها الاقتصادية بشكل جماعي وفوق ارض واحدة مما يزيد اللحمة، وقوة النعرة خصوصا إذا هددت بعصبية أخرى أو بأي خطر أجنبي، ذلك أن نعرة كل واحد على نسبه وعصبيته أهم وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنعرة

1- عبد الله حمودي، "الانقسامية والتراتب الاجتماعي والولاية"، تأملات حول مقولات كيلنير، ترجمة محمد الامين البزاز وعبد العزيز التمسماني خلوق، مجلة دارالنيابة،السنة االثانية، العدد الخامس، 1985،ص39.

2ابن خلدون عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم منذ ذوي السلطان الأكبر، الجزءالسادس، الطبعةالأولى، دارالكتاب بيروت لبنان،ص 129

على ذوي أرحامهم وأقاربهم موجودة في الطبائع البشرية وبها يكون التعاضد والتناصر وتعظم رهبة العدولهم.1

القبائل الأصلية :

عاشت مجموعة من القبائل الأمازيغية في المجال الممتد من الأطلس شمالا حتى تخوم السودان الغربي جنوبا، وكانت هذه القبائل تعيش دائما في حركية مستمرة أملتها عليها الظروف الطبيعية من جهة والتحالفات المبنية على المصلحة من جهة أخرى. وقد أطلق الوزان على مجال تواجد هذه القبائل مفهوم "صحراء صنهاجة"،2 والتي جعل لها حدودا جغرافية اختزلها في مثلث يمس رأسه سوس ويحد قاعدته خط تمبوكتو-ولاتة-المحيط، ويحد المحيط جانبه الغربي، والخط سوس-تغازة-تمبوكتو جانبه الشرقي3. ويصف الحسن الوزان الظروف الطبيعية لهذه الصحراء قائلا: "...ان هذه الصحراء شديدة الجفاف وعرة، تبتدئ عند المحيط الأطلسي غربا وتمتد شرقا الى ملاحات تغزة، وتنتهي شمالا في تخوم نوميديا، أي سوس عند أقا ودرعة، وتسير جنوبا حتى أرض السودان عند مملكتي ولاتة وتومبوكتو. لا يوجد فيها ماء الا على مسافة مائة أو مائتي ميل، بالإضافة الى أنه مالح مر في آبار عميقة جدا"4.

وعمرت قبائل صنهاجة هذا المجال مزحزحة بذلك العناصر السوداء التي كانت تعمر الصحراء في أزمنة غابرة. وقد وقع هذا الخلل في التوازن البشري في

---

[1] ابن خلدون عبد الرحمان، مرجع سابق، ص 91

[2]- الوزان حسن،وصف افريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، 1983،ص 148.

[3]- نفسه،ص 149

[4]- نفسه،ص 148

القرون الأولى للتاريخ المسيحي عندما خرجت القبائل البربرية لغزو الصحراء عبر ممرات الأطلس والواحات المتاخمة للصحراء.1

بعد صنهاجة جاءت للصحراء جزولة ولمطة اللتان اتخذتا الأراضي الممتدة من وادي نون حتى الساقية الحمراء. وقد كانت الأخيرة بمثابة الحد الفاصل بين جزولة – لمطة وصنهاجة.

2-1 صنهاجة :

تعتبر هذه القبيلة مؤسس الدولة المرابطية، وقد كانت لمتونة هي الخلية الأصلية لصنهاجة والتي كانت مهدها أدرار بموريتانيا، وكانت لمتونة تجوب المناطق الممتدة من واحات جنوب المغرب الأقصى الى بلاد الزنوج.2 وكان اللمتونيون يلقبون بالملثمين نظرا لقساوة المناخ واشتداد الحرارة التي حتمت عليهم حماية وجوههم من لهب أشعة الشمس مستبعدين في نفس الآن التفسير الذي جاء به شار أندري جوليان الذي يرجع سبب تسميتهم بالملثمين الى طبيعة تصوراتهم الذهنية البسيطة باتقائهم شر العين، وكانوا لا يفارقون اللثام أبدا بل كانوا يحتقرون ذوي الوجوه المكشوفة ويعتبرونها مصيدة للذباب.3

وبما أن لمتونة كانت النواة الأصلية للإمبراطورية المرابطية، فقد كانت تجوب الصحراء بمعية لمطة، حتى بلاد السودان مما مكنها من مراقبة الطرق التجارية واستخلاص الرسوم الجمركية.4أما نمط عيش هذه القبيلة فيرتكز أساسا

---

[1]- Rumen Armas Antonio, "Espania en el Sahara Atlantica, Ediciones del cabildo insular de gran canaria", las palmas de gran canaria, 1969, p 23

[2]- أندري جولين شارل، تاريخ شمال افريقيا، ج2 ، تعريب مزالي محمد وسلامة البشير،الدار التونسية للنشر، 1985،ص104.

[3]- نفسه،ص 104

[4]- مصطفى ناعيمي،الصحراء من خلال بلاد تكنة ،ص72

على الماشية والترحال، وقد كان نظامهم الغذائي يتركز حول مستخلصات الماشية من لحوم وألبان. وقد استمر هذا النظام حتى بعد قدوم عرب المعقل الى الصحراء. وقد لعبت لمتونة الى جانب لمطة وجزولة دورا كبيرا في نشر الاسلام في الصحراء الأطلسية.

2-2 لمطـــــــة :

ذكرت لمطة على لسان المؤلفين العرب منذ القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي. وهم أول من فروا أمام هجوم العرب. وحسب ابن خلدون فهم اخوة لصنهاجة وأوربة وجزولة وازداجة، وأبناء عمومة لهوارة من جدتهم المشتركة تيسكي العرجاء. ويضيف أن البعض منهم كان يعيش بجوار صنهاجة الملثمين. ويذهب محمد حجي الى القول بأن عناصر من هذه القبيلة دخلوا من بعد الى السودان حيث أطلق عليهم اسم لمطة. أما لمطة الغرب فقد أشار اليهم الجغرافي ابن حوقل منذ القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي في ناحية واد نون. وكانت عاصمتهم نول لمطاطة حيث توجد الان واحة أسرير قرب كلميم. وقد تركوا ذكرا لهم في اقليم من أقاليم شمال فاس، أثناء تحولاتهم مع المرابطين وقد قتل من بقي منهم في البلاد او انضموا الى عرب المعقل فأصبحوا "تكنة" بلاد واد نون.1 وكان مجال لمطة يمتد من سوس شمالا حتى وادي درعة جنوبا. وكانت تحركاتهم لا تتجاوز الأطلس الكبير بفعل الحصار الذي تفرضه مصمودة.

ويمكن الجزم بأن لمطة لعبت دورا رياديا في تأسيس واحدة من أكبر مدن العصر الوسيط2. وكان ذلك على ما يبدو في القرن العاشر الميلادي/الخامس

1- الوزان حسن، م.س، ص 153

2 - Meunié Jacques, la Maroc saharien, tome2, p 235

الهجري. وقد مزجت لمطة بين عناصر رحل وأخرى مستقرة وهي تعتبر من أقدم العناصر التي عمرت منطقة وادي نون.

3-2 جزولة :

يورد الحسن الوزان في تعريفه لجزولة معلومات مفادها أن جزولة عبارة عن مجال جغرافي وهو يقول في هذا الصدد : "جزولة بلاد عامرة بالسكان تتاخم غربا جبل سوس ، وشمالا الأطلس حيث تقع في سفحه تقريبا وشرقا اقليم حاحة"[1] ويستمر حسن الوزان في حديثه عن سكان هذه المنطقة واصفا اياهم بالخشونة والفقر لكن في المقابل يملكون المواشي الكثيرة وكميات كبيرة من الشعير.[2]

واذا كانت قبيلة جزولة تغطي باقي مناطق الأطلس الصغير والمرتفعات والسهول المتصلة بها، فان سلطة هذه القبيلة كانت تشمل مدن تمنارت وافران وماسة وتامدولت. لهذا فان كونفدرالية اداولتيت بما فيها اداوسملال واداوبعقيل واداورسموك بالإضافة الى أغلب القبائل المتواجدة حاليا بسوس الأدنى والأقصى تستمد نسبها من البطون الجزولية واللمطية.[3]

أما عن نمط عيش السكان فهو لا يختلف عن مثيله لدى لمطة حيث يتم التزاوج بين الزراعة في مناطق الاستقرار خاصة الواحات، ثم الترحال في المناطق الصحراوية.

وتحدث الوزان عن بعض الأنشطة الاقتصادية في هذا الاقليم قائلا: "وتكثر معادن النحاس والحديد في هذا الاقليم لذلك يصنعون عددا من أنواع ماعون

---

[1]- الوزان حسن ، م.س، ص 144

[2]- نفسه، ص 144

[3]- ناعيمي مصطفى، م.س،ص 77

النحاس (...) ولا يوجد في هذا الجبل كله (الأطلس الصغير) مدينة ولا قصرا، وانما توجد فقط قرى كبيرة تشتمل أحيانا على ألف كانون أو أقل أو أكثر (...) وتقام في بلادهم سوق تستمر شهرين (...) ورغم النفقات الكبيرة التي ينفقها أهل السوق فان بيع البضائع يدر عليهم النفقات مضاعفة مرتين لأن سكان الناحية كلها يأتون الى هذه السوق، بل وحتى سكان بلاد السودان فيقومون بأعمال تجارية مهمة.1

وفي القرن الثالث عشر كانت مدينة تكاوست هي عاصمة كونفدرالية جزولة والتي سترتبط أكثر من غيرها –حسب اعتقاد أنطونيو رومين أرماس- بالتواجد الاسباني في المنطقة لاحقا.2

ان القبائل الصنهاجية والجزولية واللمطية ستدخل بداية من القرن الثالث عشر في علاقة جديدة مع عرب المعقل القادمين من الشرق، هاته العلاقة التي سيطبعها التنافس والصراع من جهة والتحالفات والمصاهرة من جهة أخرى مما سيكون له أثر على بروز تشكيلة اثنية جديدة سميت "تكنة".

---

[1]- الوزان حسن،م.س،ص 144-145-146

[2]- Armas Antonio Rumen, Op cit, p 26

المبحث الثالث :صورة واد نون في الكتابات الغربية :

شكل المجال الصحراوي ومنذ عهود سحيقة موضوع اهتمام العديد من الامبراطوريات والدول الكلاسيكية كالفنيقيين والوندال والرومان، سواء لدوافع استعمارية توسعية محضة أو لدوافع تجارية واقتصادية.1

ولا عجب في ذلك فقد لعبت الصحراء عموما ومجال وادي نون خصوصا، منذ فجر التاريخ، دورا كبيرا في احكام الصلات السياسية والتجارية بين دول الساحل والجنوب حتى حدود النيجر ومالي وبين المناطق الشمالية للمغرب خاصة وافريقيا عامة.

رحلة ليوبولد باني :

ولد ليوبولد باني Léopold panet سنة 1820 م، وشب في وسط فقير وعرف اليتم في سن مبكرة, رغم ذلك تلقى تعليما مكنه من أن أصبح في 11 يونيو من سنة 1838الكاتب المؤقت إذ شغل هذه الوظيفة لمدة سبعة أشهر ثم تحول بعدها لمزاولة التجارة, وفي سنة 1846 , رافق مندوب البحرية آن رفاييل في رحلته الاستكشافية إلى كعرطة.2

يقول ليوبولد باني :ولدت بدون ثروة ,أنا أعيش ببساطة سيئة للغاية ,وتعلمت معنى الحرمان ,وأعيل نفسي وأخوتاي الشابتان اللتان ليس لهما معيل سواي.3

---

[1]- حسن الطالب ، *صورة الساكنة في القرن التاسع عشر من خلال النماذج من الرحلات الغربية*، ضمن كتاب الصحراء الأطلنتية المجال والانسان، تنسيق رحال بوبريك، منشورات وكالة الجنوب، الطبعة الأولى، 2007،ص 185.

[2]- *معلمة المغرب*، (565/4) الطبعة الأولى 1435هـ/2014م،دار الأمان الرباط

[3]- *Récit d'un voyage de Saint-Louis du Sénégal à Mogador* 5 janvier-25 mais 1850 p; 3

قرر زيارة المغرب ومن أجل تحقيق ذلك عرض مقابلا ماديا على المدعو شمس زعيم دار مكنوز الذي طلب منه مساعدته على الوصول إلى المغرب مقابل ثلاثمائة قطعة غينية, لكنه لم يوفق في مسعاه ,ليعود إلى سان لوي حيث كتب تقريرا حول محاولته هذه الفاشلة, مقترحا تغييرا في مسار رحلته, إذ أنه من اليسر أن يرافق قافلتها لصغيرة متجهة إلى المغرب يقودها يهودي اسمه جودا, وعندما يصل إلى المغرب سيكمل طريقه إلى الجزائر ... وانطلق ليوبولد باني في السادس من سنة 1850 مع قافلة متجهة إلى شنقيط, يروي قصته الآنفة الذكر عن طفولته بالجزائر وتهجيره لفرنسا وعودته للبحث عن والديه بفاس ,فقد تم قبوله في هذه القافلة دون أن يرتاب أصحابها فيأمره ,خاصة أنه كان خلاسيا ملون البشرة ,ويتكلم الحسانية ويدعي أنه مسلم.1

وكان ليوبولد باني أول مستكشف يصل إلى الصحراء المغربية من خلال سفر قاده من السنغال إلى المغرب والذي دام من 6 يناير إلى 25 ماي سنة 2.1850

ساعده تعلمه للغة العربية وذكاؤه في التعرف على المنطقة بسرعة، حيث تحدث عن منطقة واد نون كمجال فلاحي به العديد من المحاصيل الزراعية مثلا لقمح والشعير والتبغ وأشجار التفاح والزيتون والبرقوق والنخيل, كما تحدث عن تنوع الثروة الحيوانية إلى جانب القبض على أيدي النصارى النازلين على شواطئ المنطقة.3

1- *معلمة المغرب*، (566/4) الطبعة الأولى 1435هـ/2014م،دار الأمان الرباط

2- Panet Léopold; première exploration du Sahara occidental relation d'un voyage du sénégal au maroc. P 467

3- محمد دحمان، *منطقة واد نون من خلال آثار الرحالة الغربيين –حالة الفرنسيين*- ،منشورات جمعية تكاوست للتنمية لقصابي كلميم،ص 22.

في منطقة وادي نون, بقي ليوبولد باني من 20 أبريل إلى 20 ماي, وخصص من كتابه 12 صفحة يتحدث فيها عن موقع منطقة واد النون الجغرافي, وعن المنازل ووسائل الراحة, عن الشوارع وأزقة المدينة, وزراعة الحبوب وأسعارها ,والخضار والأشجار المثمرة, والحيوانات المتمثلة في (الخيول الحمير والجمال والبقر والخرفان) ,والعادات والتقاليد والزواج والمهر, وعن الصغير والكبير, وعن المحاربين المرابطين ,عن الموسيقى والغناء والملابس, عن إدارة المدينة, عن العمل والسلع والبيع والشراء, وعن العلاقات التجارية, من هذه النقطة يدخل تلقائيا إلى قلب الغرض السياسي من هذا السفر الذي هو تحسين العلاقة بين السودان ومدن المغرب وخصوصا منها المدن الجنوبية.

في هذه الرحلة نجد كذلك حديث خاصا عن" قرية لكصابي "باعتبارها لا تقل درجة عن كلميم حسب الكاتب, حيث يقول " :في هذه البلدة التي تعمرها قبيلة عربية هي أيت لحسن حيث بعض الدور بمثابة قصور حقيقية يسكنها بعض الناس اللذين لم يكونوا يعرفون سوى الخيام ,وهنالك دور أخرى بنيت داخل حصن لكن بدون حامية عسكرية, ويسجل أن غالبية الدور لكصابي تتكون من طابق أرضي ,أما توزيعها فوق المجال فلا يخضع لطابع هندسي معين ,ويشير كذلك إلى إدخال المواشي والخيول إلى وسط هذه المباني خوفا عليها من اللصوص ,وهو ما يسبب في تكاثر الذباب والحشرات ,أما الرقيق السود فيقطنون في الخيام خارج القصبة محاطون بكلاب حراسة وسياج من أشواك ,أما بخصوص الزراعة في القصابي فقد سجل باني أنها مزدهرة ومتنوعة الثمار كأشجار التفاح والزيتون والتين والبرقوق والمشماش1.

1- محمددحمان،*منطقةوادنونمنخلالآثارالرحالةالغربيين-حالةالفرنسيين-*،منشوراتجمعيةتكاوستللتنميةلقصابيكلميم، ص23.

وتمكن باني من عبور الصحراء ليصل إلى موكادور في 25 من ماي من نفس السنة بعد أن عبر أدرار وقضى شهرا بشنقيط, ومر بزمور والساقية الحمراء ودرعة ونون وسوس, حيث التقى بقبائل المنطقة من أولاد أبي السباع وأزرقيين وأولاد دليم وتيدرارين والعروسيين وأيت لحسن وأيت بعمران, وأقام بواد نون شهرا كاملا جامعا المعلومات حول ساكنتها ومؤهلاتها الاقتصادية.

وبعد وصوله إلى الصويرة, ركب سفينة أبحرت به إلى فرنسا ,حيث مكث بباريس سنة كاملة, ليحرر تقريرا عن رحلته ويعالج معدته من مرض ألم به خلال سفره ,ولم يمض إلا وقت قصير حتى نشرته المجلة الاستعمارية في عددين, وأعيد نشره بعد ذلك في كتاب مستقل بمقدمة للرئيس السنغالي السابق ليوبولد سيدار ,وتوفي ليوبولد باني سنة 1859 , بمنزله بكوريا عن عمر لا يتعدى 39 سنة بسبب مرض السل.1

رحلة جواكين كاتيل فولتش :

ابتداء من القرن التاسع عشر وبعد الانكماش والتراجع الذي طبع الوجود الاسباني بالقارة الأمريكية، استأنفت اسبانيا مشروعها الاستعماري، وقد تبنى التيار "الأفريقاني" الذي أخذ بالظهور داخل اسبانيا مطالبا الحكومة باتخاذ خطوات عملية للانخراط في الحركة الاستعمارية الحديثة والبحث عن مستعمرات بديلة في افريقيا لتعويض الخسائر الأمريكية، حيث فتحت هزيمة المغرب في

1- *معلمة المغرب*، (566/4) الطبعة الأولى 1435هـ/2014م،دار الأمان الرباط.

حـرب تطـوان1 سـنتي 1859-1860 البـاب أمـام اسـبانيا لبلـورة مشـروعها الاستعماري في المغرب.

ساهمت الدوائر الإسبانية المحسوبة على التيار "الأفريقاني" والمشكلة من جمعيات جغرافية وشركات تجارية وضباط عسكريين في استكمال الدراسات النظرية المتعلقة بالمشروع الاستعماري الجديد، فسخرت لأجل ذلك مستكشفين ورحالة مغامرين ومستعربين توافدوا على المغرب لجمع المعلومات والمعطيات اللازمة، ولذلك انتقل هؤلاء إلى أطراف عديدة من المغرب متنكرين في زي تجار وأطباء وقادة عسكريين فارين من الخدمة بالجيش الإسباني أو مسيحيين مرتدين ومغامرين، ومن أبرز هؤلاء الرحالة الإسبان نجد "دومينغو باديا إي ليبليتش" « Domingo Badia y Liblich » الذي إدعى أن اسمه "علي باي" و"خوصي ماريا دي مورغا"« José Maria de Murga » ثم الرحالة الكتلاني "جواكين كاتيل فولتش"« Joaquin GatellFoltch » الذي لقب نفسه ب"القائد اسماعيل"، حيث تمكن هذا الأخير من الإندساس داخل الجيش السلطاني المغربي قبل أن تكلفه الحكومة الإسبانية بمهمة استكشاف السواحل المغربية الجنوبية سنتي 1864 و1865 ما بين وادنون (كلميم) والطرفاية جنوبا، ونشرت أعماله في العديد من المجلات التابعة لهيئات جغرافية فرنسية وإسبانية.

ولد كاتيل في 03 نونبر 1826 ببلدة "ألطافويا"«Altafulla» بإقليم "طاراغونا" الكتلاني بإسبانيا حيث ينحدر من عائلة ميسورة مارست التجارة والفلاحة، عمل كاتيل في البداية كصحفي في أسبوعية

[1]- حرب تطوان: الحرب المغربية-الإسبانية مابين نونبر 1859 ومارس 1860 ،معروفة في إسبانيا باسم (الحرب الإفريقية) بالإسبانيةLa Guerra de África حيث أضفى عليها الإسبان بسرعة طابع الحرب القارية، تركت فجوة مفتوحة في المغرب بالإضافة إلى الالتزامات التي فرضتها معاهدة "واد راس" على المغرب مما شكل منعطفا مأثرا في تاريخ المغرب خلال القرن التاسع عشر.

"طاراغونا"«Tarragona»[1] ولكنه سرعان ما تخلى عن العمل الصحفي وانتقل إلى برشلونة لدراسة الحقوق حيث حصل على الإجازة في القانون سنة 1850 ومارس بعدها مهنة المحاماة لمدة قصيرة ثم تركها لدراسة اللغة والثقافة العربية الإسلامية بعد أن اطلع على كتابات بعض الرحالة الإنجليز والفرنسيين عن تركيا ومصر وفلسطين والمغرب والتي كانت الصحافة الإسبانية تترجمها وتنشرها، ولهذا فقد مكنه اطلاعه الواسع على أدب الرحلة الاستعمارية خلال السنوات التي قضاها في ممارسة الصحافة بأن يصبح مولعا بالرحلة والاستكشاف.

انتقل كاتيل إلى "الجامعة المركزية" بمدريد لتطوير معارفه بالثقافة العربية الإسلامية على يد المستشرق الإسباني المعروف "باسكوالغايانغوس"«PascualGayangos»[2] كما زار كل من باريس ولندن حيث قضى حوالي سنة لدراسة الثقافة والتراث العربي الإسلامي واهتم بالشعر الأندلسي العربي وترجمات القرآن الفرنسية والإنجليزية واتصل هناك بالعديد من المستشرقين ك"ميشيل الصباغ" عالم المصريات، قام بعدها بترجمة القرآن إلى الإسبانية في كراسات بلغ عدد صفحاتها حوالي 560 صفحة طبع ونشر بعضها سنة1854 [3]، كما تضمنت هذه الكراسات دراسة بيوغرافية عن سيرة الرسول(ص.) وهوامش تفسيرية ولغوية أخرى.

وصل كاتيل إلى طنجة في 12 مارس 1861 في خضم الأزمة السياسية والعسكرية بين المغرب واسبانيا التي سبق الحديث عنها، وعلى ما يبدو أن

---

[1]-Ballano(Fernando),Exploraciones secretas en Africa, Exploradores,espías y otros viajeros de incógnito en lugares prohibidos, NowtiLus,Madrid,2013,P.77.

[2]-مستعرب ومستشرق اسباني شهيرعمل كدبلوماسي في تونس وزار المغرب سنة 1848 ساهم في انشاء "الأرشيف التاريخي الإسباني" كما ساهم في إعداد في الدراسات النظرية والثقافية المتعلقة بالتدخل الإسباني في المغرب،عين سنة 1881 مديرا عاما للتعليم بإسبانيا وهيأ على سلطة تعليمية في البلد.

[3]-Gatell y Folch(Joaquín),Viajes por Marruecos,Ediciones,Estudios introductorio y natas de Francisco Javier Martínez Antonio,Miraguano Ediciones,Madrid,2012,P.57.

الحكومة الإسبانية كلفته بمهمة جمع معلومات عن الجيش المغربي بإشراف من القنصل العام الإسباني بطنجة الذي خطط معه للإندساس بالجيش السلطاني، ولهذا تنكر كاتيل في لباس عربي مسلم وقدم نفسه للسلطات المغربية كمرتد مسيحي فار من الخدمة بالجيش الإسباني ولقب نفسه ب"القائد اسماعيل"، حيث اطلع على بعض الكتب النظرية المتعلقة بسلاح المدفعية بشكل سريع ليظهر كخبير عسكري، وقد تمكن من أن يصبح قائد كتيبة المدفعية بالجيش السلطاني برتبة (قائد الرحى)، كما عينه السلطان فيما بعد قائد حرسه الخاص، ما ساعده على زيارة العديد من المناطق المغربية خاصة فاس ومكناس والرباط ومراكش للمشاركة في "الحركات" العسكرية التي أمر بها السلطان للقضاء على تمردات القبائل بمناطق الغرب والرحامنة، وقدم للقنصلية الإسبانية بطنجة معلومات مهمة عن الجيش المغربي،1 ومعطيات أخرى تتعلق بعلاقة القبائل بالسلطان وخطب المساجد الداعية للجهاد كان كاتيل ينقلها أويرسلها لطنجة باستمرار. استغرقت هذه المهمة حوالي ثلاثة سنوات فيما بين 1861 و1863 قضى منها كاتيل فترة مهمة مقيما في مراكش (يونيو 1862 إلى غاية غشت 1863)، وخصص لمدينة مراكش حيزا مهما من تقاريره المنجزة فوصفها وصفا دقيقا ووضع لها رسما خرائطيا وقدم معلومات عن الحي اليهودي بالمدينة (الملاح) والمنطقة التجارية (القيسارية) وجامع "الفناء"2.

استغل كاتيل اصابته في أحد الإستعراضات العسكرية بمراكش للإنفصال عن الجيش السلطاني والتحضير للمهمة الجديدة التي كلف بها بمساعدة الطبيب

1-يشير كاتيل في رحلته أن العديد من المرتزقة الإسبان تمكنوا من الإلتحاق بالجيش السلطاني وأغلبهم من المغامرين والفارين من اسبانيا بسبب عقوبات حبسية أو من الخدمة العسكرية بحاميات سبتة ومليلية يقدرهم بحوالي 250 تواجدوا بمنطقة العروي ومكناس، ومن بينهم بحسب كاتيل نائب رئيس المدفعية المغربية الكاليسي الأصل والذي كان يعمل قبل ذلك رئيس عصابة من اللصوص هربت من سبتة، وقد قدم كاتيل معطيات دقيقة عن الجيش المغربي أنداك متعلقة بنقاط ضعفه ومعلومات عن تنظيمه ورواتب الجنود والسلاح... .

2 -Fernando Ballano, Op.,Cit.,P.81.

الإسباني "مانويل طوماس رودريكيث" في الرباط، حيث حرص كاتيل على التنكر في لباس اسلامي واخفاء عقيدته الدينية وتقمص شخصية تاجر بعد أن حمل معه سلع خفيفة من الحلي والأساور ثم شخصية دجال"Curandero" وطبيب في بعض مراحل رحلته بحسب الظروف التي يمر منها، ولذلك زوده الطبيب المذكور ببعض الأدوية كما نصحه بحمل بعض التمائم في كيس جلدي كتب عليها آيات قرآنية بالإسبانية وأمثال كتلانية وصلوات مسيحية من تلك المعروفة في "تاراغونا".1

قام كاتيل بالتحضير لرحلته في الرباط خلال الفترة ما بين يناير ويوليوز 1864، وانطلق من الرباط في اتجاه الصويرة يوم 29 يوليوز1864 ثم أكادير رجوعا إلى الصويرة حيث غير مساره نحو مراكش وتارودانت ليعبر منطقة سوس وأيت بعمران نحو الجنوب إلى أن دخل كلميم حاضرة وادنون في 17 دجنبر 1864، ومن المحتمل أنه قدم نفسه للحبيب بن بيروك دون إخفاء هويته الحقيقية خوفا من الإختطاف والإساءة، وأعرب له عن هدفه الحقيقي من الزيارة حيث استقبله ولد بيروك في منزله وألزم يهود المدينة بعد ذلك بإستضافته، كما قدم له المساعدة اللازمة لإتمام رحلته بإستكشاف الساحل ما بين وادنون والطرفاية2، رغم أن هذه المنطقة لم تكن خاضعة بالكامل لسلطة ولد بيروك حيث تميزت الفترة بحروب قبلية وانعدام الأمن في العديد من جهاتها ولم يكن مدشر كلميم في مأمن إذ تعرض بدوره لهجمات قبيلة "أزوافيط" كما يورد كاتيل في رحلته.

يطلق كاتيل اسم وادنون على السهل الذي يقع فيه مدشر كلميم والقرى المجاورة له، في حين يسمي المنطقة الموجود ما بين كلميم والطرفاية بمنطقة

1-Ibid.,P.122.

2- Gatell y Folch Joaquín,Op.,Cit.,P.125.

تكنـة، ويـذكر أن وادنـون يحـده مـن الشـمال جانـب مـن منطقـة سـوس ومـن الشـرق "جبل تيرت" يمتد بشكل أوسع في اتجاه الغرب إلى حدود المحيط الأطلسي، حيث يبلغ طوله حوالي 24 كلم وعرضه 6 كيلومترات بمساحة تقدر ب 144 كلم مربع، ولهذا فهو منطقة محدودة رغم أن زعماء وادنون يخلطون بينـه وبـين منطقـة تكنـة كما يذكر كاتيل، فأراضي تكنة تحادي المحيط الأطلسي ويفصلها عن سوس وادي "أساكا" وتمتد جنوبا إلى حدود الساقية الحمراء1، وتنقسم تكنة بحسب كاتيل إلـى: أزوافيط بواد نون وأيت أجمل بالساحل وهؤلاء يشكلون أغلبية القبائل.2

على صعيد المعطيات البشرية يقدر كاتيل قبائـل وادنـون وتكنـة بثلاثـين قبيلـة مشكلة من حوالي 7700 خيمة بالإضافة إلى المنـازل الموجود بكلميم وأزوافيط حيـث تسـتطيع هـذه القبائـل تقـديم حـوالي 100.000 رجـل مسـلح، ولكـن كاتيـل يستدرك هذا الرقم الأخير ويقول:" يظهر لـي أن هذا الـرقم مبـالغ فيـه، فـإذا حسبنا رجل لكل خيمة ولكل منزل سنحصل على 8800 رجل وهو الرقم الأكثر احتمـالا، لأني أعرف أنه لا توجد خيمة أو منـزل من دون سـلاح ولـيس كـل هـؤلاء الرجـال صالحين للحرب لهذا فإني أقدر عدد المحاربين فـي هذه الأرض ب6600 رجـل، كما أنـي أعتقد أن الخيل في وادنون وعند أزوافيط لا تصل إلى 800 خيل رغم أننا نجد صعوبة في الاطلاع على القوة الحربيـة لـدى أيـت اجمـل"،3تظهـر المعلومـات السابقة عن المجال البشري بمنطقة وادنون الخلط الكبير الذي سقط فيـه كاتيـل فيمـا يتعلق بالقبائل حيث لم يميز بين اللفين (ايـت بـلا وأيـت اجمـل) اللـذين تنقسـم إليهمـا اتحاديـة قبائـل تكنـة، لـذلك فمـن الواضـح أنـه لا يميـز بـين أزوافيـط التـي يـذكرها

1- Gatell y Folch Joaquín,Op.,Cit.,P.369.

2- نشير إلى أن كاتيل اعتبر ازوافيط قسما من قبائل تكنة والمعروف أن هذه الأخيرة تنقسم إلى قسمين "لفين" هما "أيت بلا" و"أيت اجمل" كما أننا نجده يذكر أزوافيط كمنطقة ومرة أخرى كقبيلة غير أنه من الثابث أن أزوافيط قبيلة من قبائل تكنة الموجودة بواد نون وتنتمي للف "أيت بلا".

3- Gatell y Folch Joaquín,Op.,Cit.,P.385.

كمنطقة ثم كقبيلة وبينها وبين "أيت بلا" كمجموعة قبلية تنتمي لها أزوافيط، كما أنه ذكر قبائل عديدة لا تنتمي لتكنة ك"أولاد يحيى بن عثمان" الموجودين بآدرار موريتانيا والركيبات وأولاد أدليم ولعروسيين وأولاد تيدرارين...، ولم يميز بين القبائل والأفخاذ، كما أن الإحصائيات التي قدمها كاتيل يصعب تأكيدها، ولذلك فهي تبقى احتمالات تحتمل الصواب كما تحتمل الخطأ، وقد يرتبط هذا بطبيعة الظروف التي جمع فيها كاتيل معلوماته والجهات التي حصل منها على هذه المعطيات، وخاصة ما يتعلق بالقدرات الحربية لدى قبائل تكنة، حيث يحتمل أن من أمده بهذه المعلومات والأرقام أراد بها التمويه خاصة إذا كان على علم بالهدف الحقيقي من زيارة كاتيل الى منطقة وادنون غير أن هذا لا يقلل من أهمية المعلومات التي أوردها كاتيل عن المجال البشري لواد نون وتكنة ضمن رحلته.

رحلة روبرت آدامز:

هو ربان أمريكي تحطمت به السفينة على الشواطئ الصحراوية شمال الرأس الأبيض(Blanc Cap) في أكتوبر سنة 1810. ليتم اعتقاله من طرف إيمراكن1 وباعوه لقافلة نقلته ليباع بتنبكتو فتاودني ثم بيع بواد نون حيث اشتراه الشيخ عبيد الله سالم، لكن وبعد أن أقام في بيت الحاكم لحوالي أسبوع، أعيد آدامز إلى مالكه الأول، لأن الطرفين لم يستقرّا على السعر، وتمت مقايضته بعد ذلك مع بلقاسم عبد الله ببطانيات وبارود وتمر، أي ما مؤداه سعر سبعين دولارا.2

كان واد نون أول مكان رأى فيه آدامز بيوتا بعد أن غادر تودني، اذ يقول إنه بلدة صغيرة تتكون من حوالي أربعين منزلا وبعض الخيام، وبيوته شُكلت من

1- إيمراكن هي كلمة صنهاجية قديمة وتعني مجموعات بشرية من مختلف القبائل تمارس الصيد البحري التقليدي . (أنظر: محمد دحمان ،دينامية القبيلة الصحراوية في المغارب دراسة سوسيوانتروبولوجية حول اولاد بالسباع، طوببريس، الطبعةالأولى، 2012،ص 142)

2- Simon Cook, *the narrative of ROBERT ADAMS, an Americansailor*, p.76

الطين والحجارة في بعض الجدران، وعدد منهم لديه شرفة فوق أساسهم، كانت الأرض المحيطة بالمكان فلاحية بامتياز، وأفضل من أي مكان آخر زاره في إفريقيا، وتنتج أرضه الكثير من الذرة والتبغ، وكانت حدائق المكان مزينة بأشجار التمر والتين، وكذلك القليل من العنب والكمثرى والرمان، وتزخر الأرض كذلك بالتين الشوكي بكميات مهمة.

الفصل الثاني :يهود وادي نون قبل القرن التاسع عشر: ثمرة ظاهرة الشتات

المبحث الأول : الهجرات الكبرى

التوشابيم

اهتم المؤرخون ابتداء من القرن التاسع عشر بالانكباب والدراسة والتحليل على المجموعات اليهودية بشمال افريقيا بعد أن لفت انتباههم عن تميز يهود هذه المنطقة عن بقية المجموعات اليهودية بالعالم. وهكذا عملوا على صياغة تقارير وأبحاث يحاولون من خلالها اعطاء تفسيرات لظروف استقراراهم وانتظامهم الاجتماعي وكذا عن شعائرهم الدينية.

وبالرغم من أن الماضي البعيد للوجود اليهودي في المغرب يثير عدة مشاكل منهجية ومعرفية فانه يستحق أن يثار بكل جدية، وقد لا تكون اثارته سوى اعادة قراءة وتحليل ما كتب سلفا، مرد ذلك هو غياب الشواهد الأركيولوجية والاييغرافية التي تسعف الباحث في التحليل واعادة قراءة تلك المعلومات المتوفرة بهدف الوصول الى معرفة مدى جدية الأبحاث السابقة في اطار مشروع القراءة المتجددة ما دام أن أغلب أولئك المؤرخين لم يقدموا في تناولهم لهذه الحقبة سوى قراءات[1].

نجد من بين الروايات المتواترة لدى اليهود والتي تتناول الارهاصات الأولى للاستقرار اليهودي بالمغرب، تلك التي ترجع أول استقرار لهم الى فترة ازدهار مملكة يهودا تحت حكم الملكين داوود وسليمان، اذ يعتقد حسب هذه الرواية أن اليهود وصلوا الى شمال افريقيا وشبه الجزيرة الايبيرية قادمين من فلسطين، بحثا عن المعادن الثمينة كالذهب والفضة، وبعد أن طاب لهم المقام قرروا الاستقرار. مرجع هذه الروايات الى بعض المخطوطات الحاخامية تتضمن حكايات حول

[1]- عبدالله العروي، مجمل تاريخ المغرب، الدارالبيضاء، افريقيا الشرق، 1984،الجزء الأول، ص26.

حجر سليمان بمنطقة درعة. وقد جمع جاكوب مويز طوليدانو هذه الحكايات وقارنها بما هو متداول لدى أحبار هذه المنطقة.[1]

المؤرخ الانجليزي Kerr استخلص أن هؤلاء اليهود قد نزلوا في منطقة جنوب غرب المغرب أيام حكم داوود وسليمان بعد أن نقلتهم المراكب الفينيقية. وبالرجوع الى المصادر الفينيقية والمتوفرة على معلومات تاريخية عن شمال افريقيا، فإنها لا تجيب عن ظروف الاستقرار وأهدافه، غير أن مايمكن استخلاصه هو أن استقرار اليهود بالمغرب خصوصا وبشمال افريقيا عموما قد يكون تزامن مع تطور الاستعمار الفينيقي الذي عرفته المنطقة ما بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد، وفي نفس الوقت لا يمكن الجزم بهذا، ذلك أن اليهود كانوا غير مستقرين بشكل دائم، فقد كانوا يمارسون التجارة كغيرهم، ثم يعودون الى المناطق التي قدموا منها، أي من الشرق الأدنى.[2]

يشير غابرييل كامبس الى أن الديانة اليهودية قد تلقتها مجموعة كبيرة من البربر من جيرانهم بالشرق، حيث يورد أن اليهودية المغربية بالمناطق الريفية تقوم على فكرة أساسها "تعظيم أصولها الجينالوجية بإرجاع أصول البربر الى الكنعانيين"[3]. خلافا لهذا يشير مارسيل سايمون، وهو أحد الدارسين لتاريخ اليهود،

---

[1] - J.Gattefossé, juifs et chrétiens du Draa avant l'islam, B.A.P.M, 3eme et 4eme trimestre, 1935, pp 40-41

[22]- تروي الأساطيراليهودية أن اليهود كانوا منقسمين الى 12 قبيلة، عشر منها تشكل مملكة الشمال "مملكة إسرائيل" التي كان ملكها شاؤول، واثنتان تشكلان مملكة الجنوب "مملكة يهودا" والتي نشأت حسب الرواية التوراتية، بعد ان تمرد داوود واتجه الى الجنوب ليتخذ من مدينة الخليل عاصمة له،ولما سقطت مملكة الشمال في يد الآشوريين عام 721 ق.م هجر سكانها الذين ذابوا في المجتمع الجديد، لكن كثيرا من اليهود لايؤمنون باختفاء هذه القبائل، وانما يعتبرونها مفقودة فقط، وهم في انتظار عودتها، فحين اكتشفت أمريكا قيل أن سكانها يمثلون هذه القبائل، ثم قيل ذلك عن قبائل الفلاشا في اثيوبيا، وهكذا تظل هذه الأسطورة تأسر كثيرا من اليهود المؤمنين بها. عبدالوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الجزء 4، ص315.

[3]- G. Camps, Réflexions sur l'origine des juifs des regions nord-sahariennes, in : M. Abitbol, Communautés juives des marges sahariennes du Maghreb, Jerusalem : Institut Ben-Zvi, 1982, p 66.

الى أن الجماعات اليهودية القديمة كانت تنقسم الى أصلان : الأصل الأول يرجع الى هجرة اليهود الهلينيين من الشتات الذين وجدوا بالمدن الساحلية المتوسطية، وقد تركوا بعض الآثار الأركيولوجية، أما الأصل الثاني، فهو يرجع حسب سايمون الى اليهود التقليديين المحتفظين بفكر الزيلوت Zeolote والذين استقروا بليبيا وجنوب تونس ممهدين بذلك لبونقة هاته المناطق.[1]

أدى تدمير الهيكل الثاني بفلسطين من طرف تيتوس سنة 70 للميلاد الى تسريع الهجرات اليهودية نحو الغرب، هذا بالإضافة الى أن السجناء اليهود الذين أسرهم تيتوس تم بيعهم لينقلوا الى المستعمرات الرومانية بالشمال الافريقي. بعد أن كانوا في زمن أوغستين أصحاب شأن أغنياء، يتمتعون بحماية الحاكم[2].

وتذهب الكتابات اليهودية الى أن اليهود تشتتوا في الأرض بعد هدم الهيكل، مع أنه في الواقع فتفرق اليهود في الأرض كان قبل ذلك بزمن طويل وبدون قسر، حتى أن عدد اليهود خارج فلسطين قبل الهدم كان يفوق عددهم داخلها بكثير.[3]

وفي سنة 115 م وبعد مسلسل المعاناة التي عرفها اليهود بفعل اضطهاد تيتوس، أصبحت أعداد اليهود في برقة في تزايد، فاعتدوا بذلك وثأروا على سلطة الامبراطور الروماني تراجان، واستطاعوا تحت قيادة واحد منهم يدعى أوندريا أن يلحقوا الأذى بكل من لم يكن يهوديا، وحولوا الحياة في مصر الى جحيم، لكن بعد ان تولى أدريان Hadrian السلطة الرومانية، شكل قوة هزمت اليهود حيث هربوا الى مدن الشمال الافريقي ومنهم من هرب الى اسبانيا.[4]

---

[1]- M. Simon, Judaisme berbere en Afrique ancienne, R.H.P.R, 2, 1946, p 143

[2]- Garrot, les juifs algériens, leurs origines, Alger, librairie Louis Relin, 1998, p10.

[3]- عبد الوهاب المسيري،موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ،الجزء4،ص 273.

[4]- Garriot, H, op.cit, p 12

من هنا يمكننا تتبع هجرات اليهود الى شمال افريقيا عبر محورين أساسيين :

المحور الأول، من فلسطين الى مصر، ثم برقة وصولا الى باقي المناطق الافريقية خصوصا الساحلية

المحور الثاني، من اليمن والجزيرة العربية، الى اثيوبيا ثم الانتشار في الصحراء وصولا الى المغرب الأقصى

ومما سبق، واستنادا الى المصادر التاريخية فقد عرف اليهود ثلاث هجرات رئيسية نوجزها كالتالي :

الهجرة الأولى : كانت من فلسطين حيث يدعي اليهود أن أجدادهم تركوا فلسطين للمغرب قبل الأسر البابلي الذي حدث بعد أن قام ملك بابل نبوخذ نصر بمهاجمة أورشليم في عام 587 ق.م وأسر يهودها ورحلهم الى بابل وهو ما يعرف بالأسر البابلي. ويؤكد هذا المعطى مجموعة من الباحثين الذين تحدثوا عن الوجود اليهودي في المغرب منذ القدم، وأكدوا أن قدومهم أتى من الشام. ويؤكد هذا ابن خلدون عندما يقول:" ان الدين اليهودي أخذه البربرعن بني اسرائيل وانتشر عند عدد من القبائل مثل قبيلة نفوسة من بربر افريقية وقندلاوة ومديونة وبهلوله وغياثة وبنو فازان من بربر المغرب الأقصى"[1]. كذلك كانت هناك جالية يهودية كبيرة في مدينة فاس منذ القرون الأولى لإنشائها، وقد قدم هؤلاء اليهود الى بلاد المغرب من فلسطين كما روى بعض المؤرخين في أفواج متتالية بسبب الثورات أو السبي البابلي أو التجارة.

[1]- ابن خلدون عبدالرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1985،م6 ،ج11،ص 214.

الهجرة الثانية: جاءت مع الفينيقيين الذين وصلوا الى اسبانيا والمغرب التي كانت في ذلك الوقت تسمى بلاد ترشيش، حيث وجد اليهود في بلاد المغرب الفينيقية المأوى والقبول والاستيطان لما بين الفريقين من صلات الجنس واللغة والعادات والتقاليد. وهذا ما سمح لليهود بالتوغل داخل بلاد البربر بين كثير من القبائل بالأطلس والجنوب المغربي، فكونت هذه الجماعات صلات وروابط وثيقة بينها واستقرت على حواف الطرق التجارية العالمية. واستغل اليهود التواجد الفينيقي فوطدوا تواجدهم بالمغرب حيث اتضح تأثيرهم الديني في تهويد بعض قبائل البربر.

الهجرة الثالثة : حدثت أثناء العصر الروماني في القرن الأول للميلاد، وكان عمادها اليهود الذين فروا من فلسطين بسبب اضطهاد الرومان لهم، وانتشروا في المغرب وان كان هذا الانتشار محدودا بين السكان المحليين وهم البربر. وازداد التواجد اليهودي بالمغرب عندما فر يهود المدن الخمس وقرر هؤلاء الثورة على الرومان تضامنا مع اخوانهم في الدين في فلسطين.

لما دخل الوندال بلاد المغرب، عرف اليهود نوعا من الحرية، جعل استقرارهم يتكرس أكثر فأكثر. ذلك أن الوندال كانوا أعداء للكاثوليك، فحدث تقارب بينهم وبين اليهود، الذين عرفوا كيف يستغلون قدراتهم لخدمة الوافدين مقابل احتكارهم للتجارة. فكانت هذه الظروف الملائمة قد شجعت يهودا آخرين على القدوم في ظل الأخبار التي تصلهم.

على النقيض مما سبق، فقد أجبر اليهود بعد دخول البيزنطيين الى شمال افريقيا على اعتناق المسيحية بالقوة، وتم تحويل معابدهم الى كنائس، وهو ما جعلهم يفرون الى المناطق الداخلية ويتفرقون في الأرض.[1]

رغم التشدد البيزنطي، فالديانة اليهودية لم تضمحل، بل عمل أصحابها على نشرها بين الأمازيغ خاصة في الأوراس. وقد تحدث المؤرخون عن اعتناق الكاهنة[2] وأبناء قبيلتها لليهودية، ومنهم ابن خلدون[3] ووافقه في الرأي ارنست مرسيي Ernest Mercier، غير أن المسيري لا يعتبر مقاومة الكاهنة للفتح الاسلامي، وانهزامها عام 695م دليلا قويا على قوة العقيدة اليهودية لديها، وانما يدرجها في سياق مقاومة القبائل الوثنية للإسلام، لذلك يقول : "ونحن لا نعرف كثيرا عن نوع اليهودية التي كانت تتبعها الكاهنة، بل ان بعض المؤرخين يشككون أصلا في انتمائها اليهودي، لهذا يكون الحديث عنها باعتبارها عبقرية يهودية أمرا ليس ذا قيمة تذكر"[4]

وقد برزت عدة اشكاليات في هذا المستوى (أصول اليهودية البربرية)، خاض فيها العديد من الباحثين، هل الموضوع يتعلق عن عملية تبشيرية أفضت الى اعتناق سكان افريقيا الشمالية الوثنية الديانة التوحيدية ؟

يعتبر الجزم في هذا الموضوع أمرا لا يخلو من الخطورة، بالنظر الى الغموض الذي يلف القرون السبعة الأولى للميلاد وكذا الاضطراب وعدم التجانس الذي تعرفه المصادر التاريخية لهذه الحقبة. فبالرغم من اشارة كل من البكري

---

[1]- EisenBeth, M, les juifs en Algerie et en Tunisie, Revue Africaine, 19852, p 126.

[2]- اسمها دهيا أو ضحيا ،وهي محاربة من قبيلة جراوة في جبال الأوراس، وهي فرع من قبيلة زناتة تهود فيا لقرن السابع الميلادي قبيل الفتوحات الاسلامية.

[3]عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دارالكتاب اللبناني ،بيروت، 1959،ص 214.

[4]- عبد الوهاب المسيري ،مرجع سابق،ص 62.

والمسعودي وابن خلدون الى وجود قبائل بربرية كانت تدين باليهودية أيام الفتح الاسلامي، فإنها لا تشير الى طبيعة هذا التهويد وأصوله.[1]

قام ناحوم سلوش سنة 1906 بأبحاث ميدانية، منطلقا من حيث توقف المؤرخين العرب، وقد تمت هاته الأبحاث تحت اشراف البعثة العلمية بالمغرب، وبإشراف مندوبها ألفريد لوشاتوليي، ليتم نشر أهم ما وصلت اليه هذه البعثة ضمن أعمال سلسلة أرشيفات مغربية Archives marocaines.[2] استخلص سلوش أن الصمت الذي تبديه المصادر اليهودية والحاخامية عن وجود اليهود البربر في افريقيا يفسر بالاعتقاد بأن تلك الساكنة اليهودية كانت غير خاضعة لسلطة البيعة الأرثوذوكسية، اذ أن ذلك راجع الى عدم اعتراف الأحبار بيهوديتهم البدائية الخارجة عن التعاليم التلمودية، ويضيف أن اليهود قاموا بنوع من التبشير في صفوف البربر في فترات سابقة عن تحرير التلمود.[3]

على العكس من سلوش، شكك المؤرخ هيرشبيرك في فرضية تهويد البربر، فنجده يتساءل عن مدى امكانية بقاء سكان شمال افريقيا البربر على ديانتهم اليهودية بعد انتشار الاسلام، مع العلم أن كل الكتابات القديمة والمعاصرة كانت تشير الى أن يهوديتهم كانت سطحية، ويلخص ذلك بقوله : "...ان حركات اعتناق اليهودية المعروفة وفرضيات التهويد، التي ارتبطت بالبربر والسودانيين في افريقيا، هي أقل توثيقا واثباتا، لهذا فان كل ما كتب عنهم يبقى قابلا للتساؤل..."[4]

---

[1]- أبوعبيد البكري،كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب،جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، ص 9

[2]- N. Slouchz, Hebero-phéniciens et Judéco-berbères : introduction à l'histoire des juifs et du judaisme en Afrique du Nord, Collections des archives marocaine, paris, vol 14, 1908, p 311.

[3]- N. Slouchz, Un voyage d'étude en Afrique, paris 1909, p 7.

[4]- H.Z.Hirschberg, the problem of the judaized berbers, J.A.H, vol 4, number 3, 1963, p313

عند دخول الاسلام شمال افريقيا صار اليهود جزءا من المجتمع الاسلامي، رغم الخلافات العقيدية الواضحة، فلم يجبر اليهود على ترك ديانتهم واعتناق الاسلام، بل حفظت لهم حقوق متعلقة بحرية العقيدة، على أن يلتزمون في المقابل بما أقره الاسلام من جزية يدفعونها للدولة الاسلامية، في مقابل حمايتها لهم. كما كان عليهم الالتزام ببعض الضوابط داخل المجتمع، حيث حرمت عليهم ممارسة ما من شأنه افساد أخلاق الناس كالزنا والربا وبيع الخمر.

المغوارشيم:

بعد تطرقنا للطائفة الأولى من اليهود القادمين إلى المغرب -التوشاييم-، سننتقل إلى الطائفة الثانية – المغوارشيم- القادمة من أوربا في عهد قريب.وفي هذا الإطار يقول محمد كنبيب"...أما الطائفة الثانية فهي حديثة نسبيا، قدمت إلى المغرب من شبه الجزيرة الإيبيرية، بعد المذابح التي عانوها في أوربا خلال العصور الوسطى ويعرفون باسم اليهود الروميين أو " المغوارشيم "وهم عموما المفتخرين بما كسبوه خلال عصر الأندلس في المجال الحرفي، والتجاري والمالي..."[1] فمجمل الحديث عن هذه الطائفة هو أن المغرب خلال العصور الوسطى عرف توافد أعداد كبيرة من اليهود من أوربا، أو بالأحرى فارين من بطش المسيحيين، وذلك على خلفيات عدة، حيث كانوا متهمين بقتل الأطفال المسيحيين كجزء من الطقوس اليهودية. فاستقروا في أهم المدن الساحلية كتطوان وسلا وفاس ومكناس وآسفي.[2] وفي سنة 1492 عند سقوط غرناطة والطرد النهائي للعرب من شبه الجزيرة الايبيرية، اتجهت أفواج عديدة من اليهود نحو الساحل المغربي وكبريات المدن المغربي ومنهم من توغل الى المناطق الداخلية،

[1]- محمد كنبيب، يهودالمغرب 1912-1948، ترجمة إدريس بنسعيد، منشورات كلية الآداب، الرباط 1998،ص18.
[2]- أحمد بوشارب، دكالة والاستعمارالبرتغالي: الى سنة اخلاء آسفي وأزمور (قبل 28 غشت 1481-أكتوبر 1541)،الدار البيضاء ،دار البيضاء، 1984،ص 62.

فتم استقبالهم من طرف الأهالي، والسلطة المركزية الوطاسية في شخص السلطان محمد الشيخ الوطاسي وأقام عدد كبير منهم في فاس.

السفارديم : هي الأصل العبري لمصطلح سفارد، التي تعني اسباني أو اسبنيولي، كما تعني فرانك Franc التي تقابل في العربية لفظة "الفرنجة".

صارت كلمة سفارد منذ القرن الثامن الميلادي، هي الكلمة العبرية المستخدمة للإشارة الى اسبانيا، وتستخدم في الوقت الحاضر للإشارة الى اليهود الذين عاشوا في في شبه الجزيرة الايبيرية.[1]

المبحث الثاني :الهجرات اليهودية لمنطقة وادي نون:

سجلت ذاكرة الغرب الاسلامي وصول اليهود الى عمق الجنوب المغربي، لكنها اختلفت بصدد الآراء في هذا التاريخ نظرا لتأخر الأبحاث الأركيولوجية والتاريخية، فأغلب هذه الأبحاث التي تركزت على دراسة تاريخ المنطقة بشكل عام كانت في البداية على شكل مقالات ودراسات صدرت على صفحات مجلات متخصصة ابان عهد الحماية.[2] أما عن الدراسات التي سلطت الضوء على يهود وادي نون فكانت شحيحة جدا، اذ لا نجد سوى ما تطرق اليه كل من جاك مونيي وفانسون مونطاي.

أدى تضارب الروايات عن كيفية وزمن دخول اليهود الى وادي نون، الى بروز رأيين متناقضين، رأي يرى أنهم قدموا الى المنطقة بحرا على متن السفن

[1]-Victor Malka, les juifs sépharades, presses universitaires de France, février 1986, p 10.
[2]- Hespéris-Bulletin de la société de la préhistoire du Maroc, revue des études islamiques, Bulletin comité de l'Afrique, France-archives-marocaines.

الفينيقيـة والقرطاجيـة، ورأي آخـر يقـول أنهـم قـدموا بـرا عبـر الهـوامش الشـمالية للصحراء.

الرأي الأول : في القرن العاشر قبل الميلاد ، أي في عصر النفوذ والتوسع الفينيقي، ابان حكم الدولة اليهودية بفلسطين. أرسل الملك النبي سليمان تجارا من بني إسرائيل الى السواحل الجنوبية لسوس ووادي نون على متن السفن الفينيقية. ويقال أنهم نزلوا برأس كريزيم أو بماسة.[1]ثم اتجهوا نحو الداخل الى افران، أو ربما جاؤوا برا بحثا عن الذهب وبأمر من الملك سليمان واستقروا بدرعة.

في القرن الثامن قبل الميلاد، وصول عناصر أخرى الى الجنوب المغربي بعد انهيار الدولة اليهودية الشمالية، فرارا من بطش الملوك الآشوريين والبابليين.[2]

الرأي الثاني: يورد اتيليو كوديو، أنهم من أصل مشرقي وصلوا الى وادي نون عقب انهيار دولة يهودة واحراق الهيكل وهو ما أدى الى فرارهم من فلسطين بعد سقوطها في يد نبوخدنصر[3].

وفيما يخص أسباب الهجرة اليهودية إلى المغرب، فهناك من يقول أنهم وصلوا كجنود تحت إمرة أحد قواد الملك داوود أو ابنه سليمان أثناء مطاردتهم للفارين من فلسطين عند قتل ملكهم جالوت في القرن العاشر قبل الميلاد[4]، وقائل آخر أنه بسبب بطش الملوك الأشوريين والبابليين[5]. ومع هذا التضارب في الآراء

---

[1]- D. Jacques Meunié, le Maroc saharien des origines au 16eme siècle,Librairie KLINCKSIECK, Paris, 1982, p 182.

[2]- ibid. p 175.

[3]- Attilio Gaudio, Maroc saharien de tafialt au rio de oro, dessin et torlo, paris 1985, p65.

[4]- Gattefassé (J)," Juifs et Chrétiens du Dra avant l'Islam",Bull, de la sté de Préhistoire du Maroc, 9è année n3-4, 1935 ; p.54.

[5]- D.Jacques MeuniéLe Maroc saharien des origines à 1670 : avec cinquante-cinq documents photographiques Inédits de l'auteur, Librairie Klincksieck , 1982,P.56

فإن ما يمكن التأكيد عليه هو أن استقرار اليهود بالمغرب قديم جدا، وتبعا لذلك، فإن اليهود والأمازيغ تعايشوا معا بالرغم من توالي حكم الإمبراطوريات على المغرب، كالقرطاجيين والرومان، والوندال والبيزنطيين، وبفضل هذا التعايش بين المجموعتين أمكن لليهودية أن تزدهر بالمغرب في فترة زمنية وصلت مدتها ألفي سنة[1].

انطلاقا مما سبق يتضح أن اليهود وبفعل الهجرات المتتالية، الممتدة لقرون عدة، استطاعوا تشييد امارات وممالك قوية لعل من أبرزها: مملكة افران ومملكة درعة.

مملكة افران :

تقع منطقة افران أو ما يصطلح عليه اليوم افران الأطلس الصغير على الساحل الأطلسي بشمال بوادي نون، وتمتد حدودها الساحلية الى مصب واد افران الكبير الذي يصب في منطقة "أسك ندعلي أعمر" المحيط الأطلسي.

تنقسم المنطقة الى وحدتين تضاريسيتين، المنخفض يتراوح ارتفاعه ما بين 620 و 920 متر، وينحدر من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي تتخلله بعض التلال المنعزلة وتخترقه شعاب مائية تنحدر من المرتفعات مكونة واد افران عند التقاءها.

تقع افران ما بين خطي الطول 9-10 وخطي العرض 23-30 عند أقدام جبال الأطلس الصغير، وتتألف من خمس مجموعات سكنية وهي تانكرت، الربع

1- حاييم الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، ترجمة أحمد شحلان، الجزء 1، مطبعة مرسم، ص.238

الوسطى، اداو شقرا-أمسرا والمركز. وتقدر مساحة منطقة افران بحوالي 128 كلم مربع.[1]

يذكر جاك مونيي أن هذه المدينة سكنها اليهود واعتبروها بمثابة "أورشليم الصغيرة" أو "القدس الصغير"[2]. وصلوا اليها بحرا بعد نزولهم برأس كريزيم أو ربما بمركز من المراكز الفينيقية أو القرطاجية، يدعى vadene على وادي نون. وغير بعيد من هناك توجد افران الأطلس الصغير. وعند وصولهم سكنوا الكهوف في البداية بعد شراء الاذن من السكان المحليين[3]. كانت افران عاصمة أول مملكة يهودية بالمغرب، وأول ملوكها يدعى Euphrati من قبيلة Ephraim (احدى القبائل الاثني عشر اليهودية) وقد حافظ خلفاءه من بعده على سلطتهم على المجال لوقت قصير، قبل أن تعود للبربر الذين استطاعوا انتزاعها من جديد.[4]

مملكة درعة :

يرى الدارسون أن اليهود وصلوا الى هذه المنطقة في عهد النبي سليمان عليه السلام خلال القرن العاشر قبل الميلاد. واستقروا على جنبات الوادي.

وبعد صراع طويل مع السكان الأصليين (الكوشيين)، استطاعوا إنشاء مركز للسلطة خاص بهم، حوالي القرن الخامس قبل الميلاد. ليستمر الى حدود القرن الحادي عشر الميلادي حيث قضى عليه المرابطون. استفاد يهود درعة من الموقع

[1]- أمنون مولاي محمد، كشف خبايا وأسرار الجنوب في ظل التسلط الاقطاعي المستمر، الجزء الأول، مطبعة بن بيزناسن، ص 32.

[2]- D. Jacques Meunié, ibid, p 114.

[3] -D. Jacques Meunié, ibid, p 177.

[4]- D. Jacques Meunié, ibid, p 176.

الاستراتيجي للمنطقة الغنية بالمناجم، من جهة، وكذا من كونها كمحطة مهمة من محطات التجارة الصحراوية التي كانت تدر عليهم عائدات ضخمة.[1]

تسجل المصادر التاريخية التي تناولت الوجود اليهودي بالجنوب المغربي أنه من المحتمل جدا أن يكون قد ظهر أو على الأقل وفد الى هذه المنطقة، أنبياء وصلحاء لبني إسرائيل، والدليل على هذا هو وجود ما يعرف بقبور الأنبياء الثلاثة بإقليم طاطا وهم :

النبي Chanaoul، سيدي الشناوي دفين تامدولت أوقا جماعة توزنين.

النبي Daniel، سيدي دنيال دفين تامكوت بني يعقوب جماعة تاكموت.

النبي Ouarknnas، والمسمى ازكيل، دفين اسافن جماعة اسافن.

يشير حاييم زعفراني الى وجود سلسلة من القرى كانت تقطنها مجموعات يهودية هامة منذ عهد بعيد بوادي درعة[2]، فقد أرسل أحد اليهود بمدينة درعة ويدعى دوناش الى الربي الفاسي اسحاق الفاسي يستفتيه في أمور عقائدية، بالإضافة الى ما أفاد به ابن ميمون في رسالته الى يهود اليمن بمعلومات عن موسى الدرعي، وهو شخص مبشر ومشهور بالمخلص المسيح، وكذا عن أخبار أعيان درعيين استقروا بالفسطاط بمصر.

هنا نطرح مجموعة من الأسئلة: كيف وصل اليهود لمنطقة وادي نون؟ ولماذا اختارت هذه المجموعات اليهودية مجال وادي نون؟ وما علاقتهم بهذا المجال؟

---

[1] - D. Jacques Meunié, ibid, p 61.

[2] حاييم زعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، شركة الهلال العربية، الطبعة الأولى، الدارالبيضاء، 1987،صص30.32. 322

1- محطات التواجد اليهودي بمنطقة وادي نون:

أستقبل الجنوب المغربي المستوطنين القدامى من اليهود بدايات القرن الثالث قبل الميلاد[1]، ولعل أقدم وثيقة معروفة عن استقرار اليهود بجنوب المغرب هي التي تم العثور عليها بإقليم سوس، على جبال الأطلس الصغير في قرية إفران، وهي عبارة عن شاهد قبر اليهودي يوسف بن ميمون[2]. وبهذا يعد ملاح إفران من أقدم الملاحات بالمنطقة[3].

هنا تقول الروايات أنهم قدموا إليها بحرا فنزلوا بماسة أو برأس كريزيم، أو ربما بمركز من المراكز الفنيقية أو القرطاجية القديمة على واد نون، ثم اتجهوا نحو الداخل ووصلوا إلى وادي إفران حيث سكنوا الكهوف في البداية بعد شراء الإذن من السكان المحليين[4]، ثم بعد ذلك بنوا مدينة سموها "أورشليم الصغيرة" والتي تعتبر الاسم القديم لإفران، وكانت هذه المدينة عاصمة أول مملكة يهودية بالمغرب[5].

غير أن الحكايات الشعبية اليهودية ترجع الوجود العبري بالمنطقة إلى فترة أقدم من ذلك، حيث ربطت بين وادي نون ونبي الله يونس الذي يحتمل أن يكون النون قد قذف به في هذه المنطقة حسبما أشار إلى ذلك دولا شابيل F.de la chapelle، ولعل ذكرى هذا النبي الإسرائيلي لا تزال محفوظة عند بني عيشة

---

[1] - علي عبدة إبراهيم وخيرية قاسمة، يهود البلاد العربية، دراسات فلسطينية، مركزالأبحاث ،بيروت، 1971،ص.269.

[2]- J.Goulven, "Origine des Israélites du Maroc", Hespéris, 1927, Tome I, P.325.

[3]- شيدهذاالملاحعلىمساحةكبيرةفيأعلىالقريةالتيتتكونمنعشيرة (ربعالوسط) الموجودة في قدم جبل الأطلس الصغير، ويعد هذا الملاح منأ قدم ملاحات سوس .

[4]- Monteil (v),""les Juifs d' Ifran", Hésperis , T.XXXV, 1948,P.177.

[5]- دانيل شروتر،تجارالصويرة (المجتمع الحضري والإمبريالية في جنوب غرب المغرب 1844-1886،تعريب خالد بن الصغير،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة نصوص وأعمال مترجمة 6،ص.215

الذين يستقرون غير بعيد عن إفران التي ساد فيها الملك اليهودي إفراني في فترة غير محددة[1].

لقد استمرت الهجرات اليهودية لجنوب المغرب حتى العهود المتأخرة، بما في ذلك الفئة القديمة التي جاءت من فلسطين بعد تحطيم معبد سليمان في القرن الأول، سكنت هذه الطائفة مغارات إفران، وكونت إمارة انقرضت بسبب حروبها مع قبائل البربر[2]، ومع نهاية القرن الثالث ميلادي حاولت مجموعة أخرى من اليهود السوريين الاستقرار بموريطانيا الطنجية، وبما أنهم لم يجدوا الاستقبال الذي كانوا ينتظرونه، فقد توجهوا نحو الجنوب الذي أسعفهم في الاستقرار والإقامة، وفي منتصف القرن الرابع ميلادي هاجر يهود العراق وفلسطين والحجاز نحو الغرب، وساروا حتى الصحراء الأطلسية، بل توغل البعض منهم في الجنوب حتى تنبوكتو ليلتقوا باليهود الآخرين[3].

[1]-F. De la chapelle,« les Tekna du sud ouest marocain » Etude géographique, historique et sociologie, Bulletin de l'Afrique , N10, octobre 1933.

[2]- أحمد التوفيق،"مادة إفران" ،معلمة المغرب،الجزء 2،مطابع سلا، الرباط، 1989،صص.448-449.

[3]- Pellabeuf (R)," Une Très ancienne communauté Israélite du Sud Marocain", C.H.E.A.M n4364. P.2.

اكني اوداين، أو جبل اليهود والذي توجد به مجوعة من المغارات والتي يعتقد أنها كانت أول مكان لاستقرار اليهود

ومن الجماعات اليهودية الأخرى التي تواجدت بالمنطقة بالعصور الحديثة، ما وثقه الرحالة مرمولكربخال عن تواجد حي يهودي بتگاوست قدر ساكنته بحوالي ثلاثمائة يتكون معظمه من الصناع والتجار، الذين يكونون فئة ذات أهمية كبرى في العمليات التجارية سواء منهم الباعة المتجولون "العطارة" الذين يقومون بجولة تجارية سنوية عبر قبائل سوس، أو أولئك المقيمون الذين يمثلون عادة تجار الصويرة ويلعبون دور الوسيط في تلك الأسواق[1].

يورد الدكتور الناني ولد الحسين في كتابه صحراء الملثمين، اشارات الى شعب البافور، فيذكر أنهم مجموعة سودانية كانوا يعمرون الصحراء وجبال الأطلس، هاجروا تحت وطأة الجفاف الى الجنوب. ونجد في نفس السياق اشارات لدى جاك مونيي حينما قال أن البافور ليسوا سوى مجموعة من يهود وادي نون

[1]- دانيل شروتر، تجارة الصويرة المجتمع الحضري والإمبريالية في جنوب غرب المغرب ...،م.س،ص.212

نزحت الى آدرار خلال فترة غير محددة لكنها قديمة، ويذكر في نفس الموضوع أن زعيمهم كان تابعا ليهود وادي نون.1

في معنى تسمية البافور، يورد حماه الله ولد السالم أن البافور ليس اسما قائما بذاته، بل هو وصف للقبائل الخمس التي تكتلت حول الملكة تين هان2. وهو مركب من مقطعين اثنين: أبا: الروح، أفار: الخفي/الغامض: القبائل الغامضة، وربما كان ذلك الغموض من توغلهم في الصحراء والتزامهم اللثام الذي نشأ بين قبائل الهوكار. وأشهر تلك القبائل الخمس: هوارة (سيتحول الى هكار)، زغاوة، لمطة، صنهاجة، هسكورة.3

ويضيف الناني: " إننا نعتقد أن حروبا عديدة قد شنت على البافور من طرف اللمتونيين قبل وأثناء وبعد قيام الحركة المرابطية، وأن تلك الحروب التي سبقت عودة أبي بكر بن عمرإلى الصحراء من المغرب، قدأضعفت البافور وألجأتهم إلى التحصن في الجبال، لكنها لم تقض عليهم أو تخضعهم بشكل نهائي ،وقد أشار الإدريسي أثناء حديثه عنهم إلى كثرة تعرضهم للحروب المتتالية فيقول ..." : وتوالت عليهم الحروب والغارات من جميع الجهات فقلوا في تلك الأرض وفروا عنها واعتصموا في الجبال وتفرقوا في الصحاري "...،ولقد أدت بهم هذه الوضعية إلى قبول التبعية لملك يهود وادي نون بعد أن كانت سلطة زعيمهم تشمل مناطق من جنوب المغرب الأقصى"4

1- D. Jacques Meunié, ibid, p 60

2- تين : ذات،هنن: الخيام ،معناه أم الخيام، أو ناصبة الخيام، لأنها كانت كثيرة الترحال، أي أنها كانت بدوية تماما مثل أحفادها من صنهاجة والطوارق. وتقول الدراسات أن تين هنان هي الأم الروحية للطوارق.

3- حماه الله ولد السالم، تاريخ الأمازيغ والهجرة الهلالية، مقتطف من كتاب العبر لابن خلدون، الجزءالأول، دار الكتب العلمية، بيروت،ص 13.

4- الناني ولد الحسين، صحراء الملثمين وعلاقاتها بشمال وغرب افريقيا من منتصف القرن 2هـ/8م الى نهاية القرن 5هـ/11م،تقديم محمد حجي، ص 78

يتحدث الباحث الموريتاني سيدي أحمد بن حبت عن معركة دارت بين جيوش المرابطين، وأقوام في مدينة كبيرة بمنطقة آدرار أطلق عليها اسم" مدينة الكلاب"،وقال إنها كانت توجد بموقع أطار حاليا بموريتانيا فقال ..." :مدينة الكلاب التي هي اليوم أطار ،وكانت عامرة كبيرة،فلما قدمها المسلمون خرجت إليهم الروم بكلابهم التي هي أشد منهم قتالا"...،و إذا ماتابعنا سير تلك المعركة في كتاب ابن حبت، الذي لايخلو من الطابع الأسطوري أحيانا ،فإننا نستشف أنه يعني بالروم أناسا متهودين أو يهودا، إذ يورد أن الإمام الحضرمي، وهو الزعيم الروحي للمرابطين في الصحراء بعدابن ياسين، قد قتل أثناء تلك المعارك بعدما سددت إليه يهودية اسمها شل سهم والدها العجوز الأعمى.1

وإذا كانت معظم المصادر تتفق على أن البافور كانو ايهودا، فإننا لانعرف بشكل قاطع ما إذا كانوا من بين مجموعات اليهود التي وصلت منطقة الصحراء وشمال إفريقيا خلال الألف الأخيرة قبل الميلاد، أم أنهم بربر تهودوا تحت تأثير تلك الهجرات ،وتنقلوا إلى أن وصلوا تلك المنطقة، ثم إننا لا نعرف بالضبط التاريخ الذي استوطنوا خلاله المواقع التي تملؤها آثارهم حاليا.

على العموم فالبافور هم مجموعة يهودية، لا يستبعد أن تكون جزءا من يهود وادي نون، هاجرت في فترات مبكرة نحو العمق الافريقي لأسباب نجهلها ولا تكاد تسعفنا الكتابات التاريخية سوى بفرضيات لا يمكن الجزم بصحتها في غياب شواهد مادية وأركيولوجية.

1- سيدي احمد بن حبت :تأليف غير معنون يذكر في بدايته القبائل التي خرجت من مراكش إلى بلاد التكرور ،مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي ،قسم المخطوطات مسجل تحت رقم 2766.

وبهذا يكون وادي نون قد عرف منذ العصر القديم تواجدا مهما لليهود، والذين تمكنوا من لعب أدوار كبيرة بالمنطقة، خاصة وأنهم يتوفرون على مؤهلات و شروط ضرورية ساهمت في تحقيق نوع من الاستقرار التجاري والحضاري.

دوافع التواجد اليهودي بمنطقة وادي نون:

سكن معظم اليهود سوس واستوطنوا القرى المتفرقة من سلسلة جبال الأطلس الصغير، والمناطق السهلية القريبة من الجبال، ليصبح بذلك وادي سوس خلال القرن التاسع عشر المجال الواسع لانتشار أحياء اليهود بالمنطقة بامتياز، وتحكمت في هذه الميزة طبيعة النظام القبلي كمكون طاغ على النسق السياسي والبنية الاجتماعية بالمنطقة. الشيء الذي نتج عنه نوع من التعايش بين اليهود وبين السكان الأصليين، الأمر الذي منحهم الهوية المغربية ثقافيا واجتماعيا[1].

[1]- Nesry De Carlos, les Israélites Marocains à l'heure de choix, Tanger, édition international, 1958, P.34.

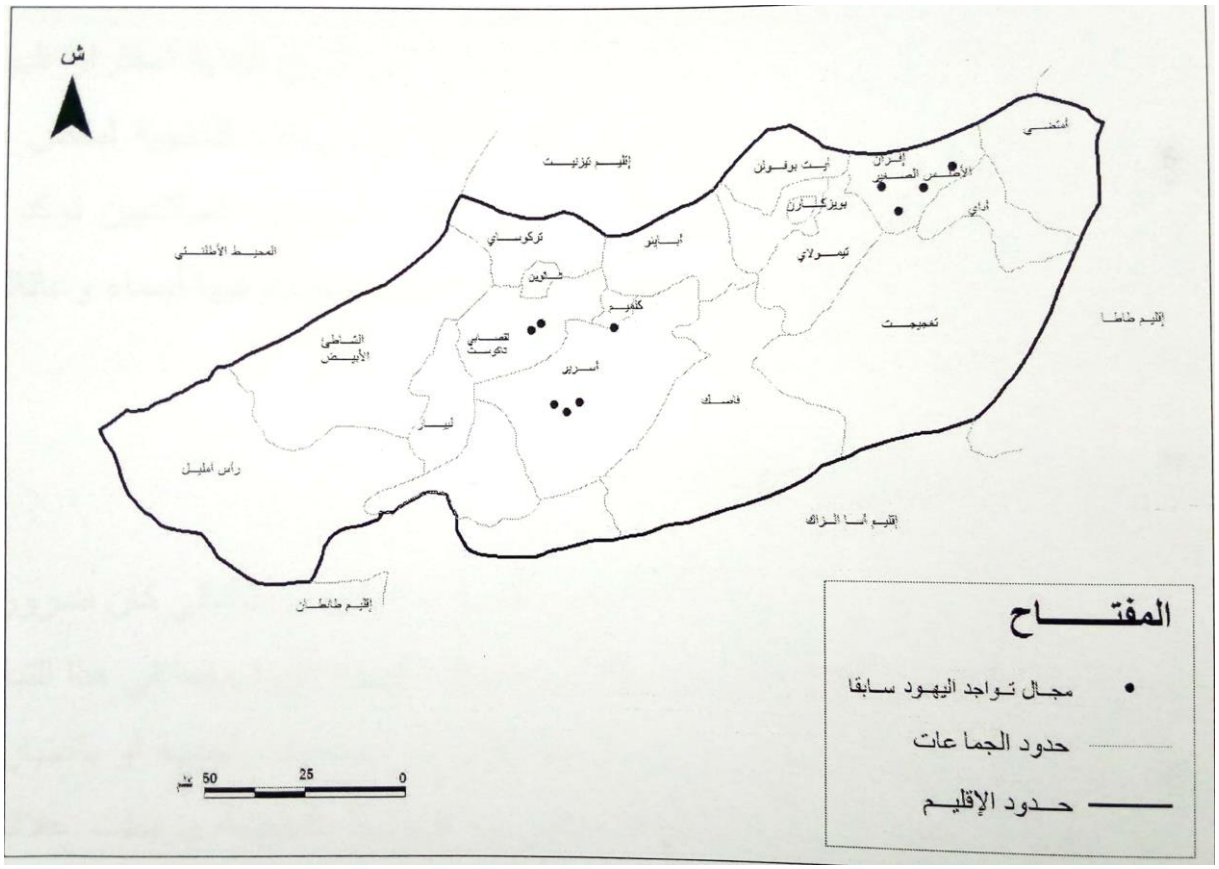

خريطة : أماكن استقرار اليهود داخل مجال وادي نون

كل هذا راجع إلى تبني سلاطين المغرب موقفا طيبا إزاءهم1، بمنحهم تسهيلات عديدة أتاحت لهم فرصة التنقل بحرية في كافة أرجاء المغرب، وتحسين أوضاعهم القانونية، مما أكسبهم مواقع تأثير داخل الجهاز المخزني، خاصة على عهد المولى سيدي محمد بن عبد الله خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر الذي نهج سياسة الانفتاح التجاري، وأصدر ظهيرا ينص على معاملة اليهود في المملكة من قبل الإداريين والمواطنين طبقا للعدل وهم متساوون أمام المحاكم، وفي نفس الاتجاه كان السلطان مولاي سليمان يصدر رسائل للقياد كتوصية بحسن المعاملة2. وكذلك على عهد المولى عبد الرحمان بن هشام العلوي وابنه المولى

1-إبن زيدان عبد الرحمان، العز والصولة في معالم الدولة ،المطبعة الملكية ،الرباط ، 1961،ص.132.

2- Brunot Louis et Malk, E.Textes Judéo –arabes de Fès, Rabat, 1939, P.8.

محمد الرابع الذي تواردت في فترة حكمه أعداد كبيرة من يهود الجزائر، حينما أقدمت الجمهورية الفرنسية على إصدار قرار بتجنيس 30.000 يهودي بالجزائر واعتبارهم وطنيين فرنسيين، فاضطر من لم يقبل منهم هذا القرار إلى أن يتجه إلى المغرب، وأصبحوا مغاربة حيث لا يطالبون بالتجنيس1.

ونتيجة لذلك تمتع يهود جنوب المغرب بحرية السكن والتملك والبيع والشراء، مما جعل العديد منهم ينجذبون نحو الطرق الرئيسة، وغيرها من المناطق التي اعتبرت مجالا حيويا للاقتصاد، كملتقى الطرق التجارية كما هو الشأن ملاحات أقا وگلميم. كما كان وجود هذه الجماعات اليهودية بالمنطقة مقترنا بمجموعة من الضوابط القانونية والاجتماعية التي كانت تخضع لها القبائل برمتها، والتي انتظمت في أشكال سياسية خاصة بها، رغم اشتراكها في كثير من الخصائص مع جيرانها المسلمين، وفي نفس الآن ظلت متماهية مع النظم الاجتماعية المسيرة بواسطة القوانين المستخلصة من الشرع والعرف، والتي تسامحت مع هذه الأقلية في ممارسة شعائرها الدينية، وتنظيم شؤونها الداخلية وسط أسوار الملاحات.تبين ذلك في ما كانت تحتضنه أسرة بيروك من اليهود والذي بلغ حوالي عشرين كانونا من اليهود داخل القبيلة، بعدما عملت هذه الأسرة على بناء "ملاحين" لليهود وبيعة لممارسة طقوسهم الدينية، هذا الملاح الذي قال عنه *ماكينزي Mackenzie* عندما وصل گلميم في يناير 1892م أنه يأوي بالإضافة إلى التجار، حرفيين يشتغلون في صياغة الفضة وستة إسكافيين وخمسة حدادين وثلاثة نجارين وبعض البناءين[2].

---

[1]- عمرأفا،" الظروف التاريخية لتطور أنماط الأطعمة المغربية منطقة سوس في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين" ،هسبريس تمودا ،العدد XXXIII 1995، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،ص..24.

[2]- D.Mackenzie, The Khalifate of the West, Being à General Description of Morocco, London, 1911,P P.2.53

طالبت المجموعات اليهودية بتوفير الأمان من بعض الزعامات المحلية ذات الثقل الاقتصادي والسياسي والديني، وقد قامت الحماية بين اليهود والأسر المحلية على أساس المصالح المشتركة بينهما، كحرية التجارة ومجموعة من الحريات والحقوق الدينية والثقافية، مقابل استخلاص الضريبة من المواد والسلع التجارية الصحراوية التي كانت تمر عبر گلميم أو تلك التي تنتج محليا[1].

ومن الأدلة التي تثبت ذلك إحدى الوثائق التي توجد بحوزتنا، وهي عبارة عن عقد شروط الحماية على اليهود من قبل الأخوين محمد والحبيب أبناء الشيخ بيروك في أوائل أكتوبر 1864، يقول نص الوثيقة :

"...**وبعد فقد عقدوا [كذا] أبناء الشيخ أمبارك على يهود ملاحهم جميع ما يعطونه من الجزية مائة وخمسون مثقالا ويعطونه ستون أكميم من الحديد وخمسة عشر رطلا من الهند ويعطونهم ريالا لكل رطل من الريش ويعطونهم خمسة عشر أوقية مثقال لكل حمل خارج من قرية أجلميم من جلد وصوف وعلك وغير ذلك، وهذا كله بين محمد بن الشيخ مبارك وأخوه الحبيب أثلاثا لمحمد ثلثين وللحبيب ثلث وجميع من ذكر عليهم من اليهود أعلاه يعطي خمسون مثقالا أضعافا ومن إشترى من اليهود سرقة يعطيهم مائة مثقال أنصافا وجعلوا نحو ذلك ثلاثة وكلاء [...]لعبد الرحمان [...]عشرة ريال لكل رطل إن بحال [كذا] وأنه ضمن عبد الرحمان بن الشيخ مبارك أخويه محمد بن الشيخ مبارك والحبيب بن الشيخ في جميع ما تلف في ملاحهم عند اليهود يعطونه مناصفة للضامن عبد الرحمان بن الشيخ مبارك وكتبه من أشهد على ذلك وهم**

[1]- محمد كنبيب، لمحة عن تطور العلاقات بين المسلمين واليهود في مغرب القرن التاسع عشر، م.س، ص.239.

بحال صحة وطوع وجواز أمر وبتاريخ أواخر ربيع الثاني عام 1281 عبيد الله محمود عبد الرحمان بن محمد الجلميمي الله وليه آمين، إستدراك، وهذا فعلوه مع اليهود يعطوه لهم في خدمة الملاح وعلى ما سلف في المقابلة في الصك الذي في مقلوبه للكبير منهم وأن التالف في الملاح أثلاثا لمحمد على محمد ثلثين وعلى الحبيب ثلث وكتبه شاهدا به مستدرك في التاريخ أعلاه محمود بنعبد الرحمان بن محمد وعبد ربه أحمد رزوق بن الحاج أحمد الفيلالي أصلا الجلميمي دارا وطنا..."[1].

ومن الأشكال التي تقوم عليها هذه الحماية أيضا ما عرف "بالذبيحة "، حيث يقوم اليهودي بذبح كبش أو ثور أمام أحد الأمازيغيين أو أمام مناصر عربي يكون هو "السيد"، وتشكل الذبيحة رابطة تسمى "مزراك"، وبعد ذلك يصير الزبون تحت حماية سيده أو تحت حماية القبيلة بكاملها، ويتوجب عليه بالتالي أن يقدم آداءات سنوية للرئيس في شكل كتان أو سكر، وتصبح مثل هذه المواثيق متوارثة من سلالتي السيد والزبون معا، وتحافظان على استمرار مفعولها محافظة قوية، وتمكن العلاقة القائمة بين الطرفين من تسهيل السفر والمبادلات التجارية طالما تمتع اليهودي بحماية السيد له، ويعتبر الهجوم على أحد اليهود انتهاكا لحرمة الرئيس أو لحرمة القبيلة التي توفر له الحماية، فيكون توجيه العقاب الشديد للمعتدي أمرا مشروعا في مثل هذه الحالة[2].

والوثيقة التالية والتي تعود إلى أحد الأسر التكنية تبرز هذا النوع من الحماية وهي كالتالي:

---

[1]- وثيقة في حوزتنا عبارة عن عقد الحماية بين أسرة آل بيروك ويهود كلميم.

[2]- دانيل شروتر، تجارة الصويرة ،م.س ، صص.177-178.

" ...أما بعد فقد أدى الذمي رين بن المسلم من يهود أجلميم أنه ذبح على برك بن أمبارك بن الأحمادي الرموشي وأنه أخ له من جيهة الذبيحة لا من جيهة الإسلام وأنه واحد من القبيلة يعمه ما يعمهم من فريضة وغيرها كما في عادة تكنة وأنه يسير في الليل وفي النهار في بلد أيت أحماد ومن كان أخ لهم هو ولا متاعه وتكفل له برك ضرورة أتته من قبيلته وهذا ما أدى على في حال الصحة والطوع وجواز أمره كتبه في ءاخر ذي الحجة الحرام عام 1290 عبد ربه محمد بن أحمد بن عثمان الجلميمي وفقه الله ءامين"[1].

إلى جانب توفير الأمان والحماية للمجموعات اليهودية، أسهمت المؤهلات والإمكانيات الاقتصادية الهامة في استمرار توافد عناصر جديدة من الجالية اليهودية على منطقة وادي نون، خاصة وأن المنطقة تزخر ببعض المعادن كالفضة والنحاس، اللذان يعدان من المواد الأولية التي يعتمد عليها اليهود في نمط عيشهم والذي يقوم أساسا على الصناعات التعدينية المرتبطة باستغلال المناجم. إضافة إلى ذلك ما تزخر به أسواق وادي نون من منتجات زراعية حيوية (تمر- حناء - أصواف)، وقطاعات شاغرة على مستوى الصناعات وتقديم الخدمات (صناعة الحلي والأسلحة – سك العملة – بناء الدور والحصون – حفر الآبار – مد القنوات)، وكذلك تجارة رابحة (ذهب – عبيد – عاج – جلود).

وبهذا أسهم كل من توفر عنصر الأمن والحماية إلى جانب المؤهلات الاقتصادية التي تتجلى في رواج التجارة وتواجد بعض المناجم المعدنية، في جلب أنظار المجموعات اليهودية لمنطقة وادي نون، والتي هي الأخرى نجحت في

[1]- وثيقة عرفية بحوزتنا، وهي لأحد الأسر الوادنونية، والتي تتحدث عن ظاهرة الذبيحة التي جمعت يهود گلميم وأحد الأسر المحلية.

دورها الاقتصادي، وتبوأت مركز الريادة على القطاعات التي أنتجت فيها خاصة التجارة والصناعة.

3- ثورة بوحلايس ومحرقة النسرافيم

اذا احتكمنا الى الايقاع الثابت لتاريخ المغرب، نلاحظ انه كلما ضعف سلطان ملوك المغرب، امتدت آمال الطامعين الى الحكم في سوس، فعندما توفي السلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة 1785 أطلت الفتنة برأسها. حينذاك ظهر بوحلايس أحد الطامعين في الحكم.

سمي بوحلايس بهذا الاسم من طرف السكان المحليين نظرا لكونه كان يلبس ملابس بالية ويحمل تمائم على ظهره باستمرار، وقد كانت مكانته عالية عند أتباعه لدرجة أنهم نصبوه ملكا عليهم.

فخلال السنتين اللتين دام فيهما حكم مولاي اليزيد (1790-1792) تميزت مواقفه بمعاداته لليهود، مرد ذلك الى خلافات شخصية مع اليهود المتنفذين لدى أبيه أيام اعلانه الثورة عليه[1]. وفي نفس الآن كان أخوه المولى هشام المتنازع معه على الحكم، يبسط سيطرته على سوس. استمرت القلاقل بعد بيعة مولاي سليمان حتى سنة 1795. ومن بين أخطر الفتن التي كان الجنوب المغربي مسرحا لها، فتنة بوحلايس التي عرفها شمالي منطقة وادي نون شهر غشت من سنة 1792، في تسريرت في ساحل أيت بعمران.

[1]- محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف تاريخ الدولة السعيدة، (1165-1233)، تحقيق وتعليق أحمد العماري، الرباط ، دار المأثورات، 1406/1986،ص 157.

بوحلايس، كان اسمه الحقيقي بن عزوز، وكان مشعوذا انتحل اسم مولاي اليزيد، ونجح في تحريض القبائل ، كان يعتمد بالخصوص على قبائل أيت بعمران وعندما وصل نكل بكل يهود المنطقة[1].

بعد كل المجازر التي اقترفها بوحلايس، أصبح رأسه مطلوبا بإلحاح، فأجمعت القبائل على ضرورة القضاء على بوحلايس. هذا الأخير الذي استشاط غضبا من أحد الفقهاء الذين كانوا يحرضون عليه ويسمى وهو سيدي محمد أوتسكات[2]. فجعل يتلاعب باسمه قائلا لا يسمى أوتسكات بل هو أوتسافوت، أي ابن النار الحارقة، أو ابن جهنم. ثم قام بالإجهاز على أحد وجهاء أيت رخا وهو سيدي علي بن براهيم، وكان يسميه أمحضار أوتسافوت أي تلميذ الشيطان[3].

يقول أحد الفقهاء الذين عاصروا وقائع النسرافيم أو المحرقة، وهو محمد بن عبد الله بن يعقوب السملالي:

"ثم أمرهم بجمع كل يهودي هناك فجمع منهم أكثر من ثلاثين فقتلوا وحرقوا وأكلت أموالهم، كل ذلك بأمره"[4]. وزحف على كلميم حيث أجبر يهودها على الاسلام، وحين رفضوا أحرق بعضهم في حين هرب الآخرون الى المناطق الأخرى وخاصة الى الصويرة. "لم يزل يأمرهم بباطله كذلك ويعدهم ويمنيهم وما يعدهم الا غرورا، فأمرهم بمسيرهم الى أكلميم فساروا معه فقتلوا فيه من الشرفاء والطلبة والذميين من كتب عليهم في الأزل القتل وخربوه وأكلوا فيه أموالا عظيمة متنوعة من عين ونعم وحبوب وبهاءم وعروض وأفسدوا فيه ما الله عالم به (...)

---

[1]- كولونيل ليوبولد جوستينار، شذرات من تاريخ سوس الأدبي والسياسي خلال القرن التاسع عشر، ترجمة وتقديم حسن الطالب وعبد السلام أقلمون، دارأبي رقراق للطباعة والنشر ،الطبعة الأولى، 2016،ص 27

[2]- وهو الفقيه النحوي محمد بن أحمد التسكاتي نزيل ماسة، المتوفى سنة 1241 هـ،وتسكات قبيلة بهلالة.

[3]- كولونيل ليوبولد جوستينار، مرجع سابق ،ص 28.

[4]- محمد بن يعقوب السملالي، الفتاوى المرضية للأنفس الزكية (نزهة الجلاس في أخبار بوحلايس)،مخ. خ. ع. 970 ك،

وخافه كل يهودي سمع به، لأنه قال لا بد من قتل كل يهودي وأكل أمواله، وأمرهم بأكل مال كل طالب غريب هناك وأوعدهم بالقتل والعقوبات..." [1].

استمر تمرد بوحلايس بعد أن نجح في تخريب كلميم ليتجه مع أتباعه نحو افران حيث يوجد ملاح لليهود، اذ "أمرهم وهم عسكر عظيم بمسيرهم الى أهل افران فنزلوا في تملي وأرسل اليهم أن يدخلوا في طاعته وحزبه الشيطاني ويسلموا له مرابطهم الذي هو عالمهم السيد أحمد بن سعيد وكل يهودي بماله هناك، فأبوا وقاتل الفريقان قتالا عظيما. فوقعت الهزيمة تارة في هؤلاء وتارة في هؤلاء، حتى قتل منهم خلق كثير ووقع من الفساد من هتك الحريم وسبيه، وأكل أموالا عظيمة متنوعة من عين ونعم وحبوب وبهائم وعروض وخلط الموتى بعضهم ببعض وعدم دفنهم وافساد النبات وغير ذلك..."[2]

ادعى بوحلايس كونه السلطان المولى اليزيد، مستغلا العداء الذي يضمره هذا الأخير لليهود بالمدن الكبرى.[3] فاستهدف من جهة اليهود لكونهم مصدر سلطة مادية لقواد المنطقة وبالتالي السلطة المركزية، والفقهاء والعلماء من جهة أخرى لما يشكلون من خطورة في فض الجموع من حوله ولدفاعهم عن أهل الذمة، وبالتالي ضياع فرصة استحلال أموالهم الموجهة لتموين حركته. وقد كانت معظم قواته من العامة وفقراء القبائل وقطاع الطرق، وهذا نجد تفسيره في كونهم كلما حلوا بمكان الا ونهبوه.

أدت هذه الأحداث المتسارعة والدامية الى هروب عدد كبير من يهود افران وكلميم نحو الصويرة، فشاعت بذلك أخبار بوحلايس وتمرده، وكذا محرقة النسرافيم، فشكلت نوعا من الأمثولة لدى يهود المنطقة فيما بعد ولمدة طويلة. لدرجة أنها

---

[1]- المصدرنفسه،ص 445.

[2]- المصدرنفسه،ص 449.

[3]- A.I. Laredo, Berberes y Hebreos en Marruecos, Madrid, 1954, p 132.

جعلت قرية افران تكتسب شهرة واسعة بفضل مقبرتها التي تحوي رفات أولئك الضحايا بالإضافة الى قبر ابن ميمون الذي يعد من أقدم القبور المؤرخة للوجود اليهودي بالمغرب.

هذه الشهرة التي اكتسبتها افران دفعت بمجموعة من الدارسين والمؤرخين وكذا الأدباء الى كتابة العديد من الدراسات والأعمال الأدبية عن يهود المنطقة، ومن بين هذه الأعمال نجد رواية "صبي من افران" والتي تورد أحداثا تاريخية - رغم طابعها التخييلي- لكاتبها آشر كنافو1 المنحدر من أصول يهودية افرانية، وحيث أن الرواية تقول ما يمتنع التاريخ عن قوله كما يعبر عن ذلك فونتيس، فقد أورد كنافو تفاصيل كثيرة سبقت اقدام بوحلايس على المحرقة، كالمفاوضات بين الربي يهوذا والقاضي والباشا بوحلايس كما سمته الرواية.

لم يسعفنا نص الرواية في معرفة أسباب وحيثيات القتل الذي مارسه مدعي المهدوية بوحلايس ضد اليهود والمسلمين، بيد أنه يثبت واقعة ارتكاب مجزرة أودت بحياة حوالي ثلاثين أو أكثر من اليهود، وهو ذات العدد الذي ذكرة مونتاي فانسون الذي زار المعارة/المقبرة أو مقبرة النسرافيم أواخر أربعينيات القرن الماضي، وذكر أنهم خمسون أحرقوا سنة 1775[2].

ارتبط تزايد نفوذ أهل بيروك بوادي نون بمجموعة من العوامل، لعل أهمها يتمثل في معارضة عبد الله بن سالم للثائر بوحلايس، على عكس زعماء تكنيين آخرين فضلوا الانضمام للحركة التي كان لها تأثير كبير على منطقة وادي نون. ومن هؤلاء الزعماء أحماد اهيري زعيم قبيلة أيت لحسن.3 وبسبب هذا الموقف المعارض اضطر عبد الله الى اللجوء الى السودان، الى أن تم القضاء على الحركة

---

[1]- ولد بالصويرة سنة 1935 قبل أن يهاجر الى فلسطين عام 1951،من عائلة افرانية.

[2]- آشر كنافو، صبي من افران الأطلس الصغير، ترجمة عبد الرحيم حيمد، مراجعة وتقديم أحمد شحلان ، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة ابن زهر،أكادير،الطبعةالأولى، 2014،ص 229.

[3]- ناعمي مصطفى ، مادة بيروك ، معلمة المغرب، 1992،ص 1936.

ومقتل بوحلايس بتمكديشت. يقول السوسي : فكان ما تقدم من عدم الانصياع للثائر هو السبب حتى ظهرت أسرته في هذا الجو، فكانت احدى العمد التي تعتمد عليها الحكومة هناك (عهد المولى سليمان).[1]

[1]- محمدالمختارالسوسي،المعسول،الجزء 19،مطبعةالجامعة،الدارالبيضاء، 1961،ص 275.

القسم الثاني : البنيات الاقتصادية والاجتماعية لليهود بوادي نون خلال القرن التاسع عشر

الفصل الأول :مكانة اليهود داخل النشاط الاقتصادي بوادي نون

يعتبر البحث في البنيات الاقتصادية ليهود وادي نون أمرا في غاية الصعوبة، فباستثناء بعض الاشارات المقتضبة والواردة في مونوغرافيات استعمارية، فان الباحث في هذا الحقل لا يجد ما يشفي الغليل في باقي المصادر الاخرى بما فيها الوثيقة المحلية التي حتى وان وجدت، فتبقى افادتها في هذا الجانب ضئيلة نظرا لتركيزها على مواضيع بعينها مع اهمالها لباقي المواضيع الاخرى.

ولتلك الوضعية ما يسوغها من الناحيتين الموضوعية والذاتية في بلد لقاح كانت جل ساكنته تعرف ظاهرة الترحال بحثا عن الماء والكلأ، وظروف الصحراء القاسية التي كان لها أكبر الأثر في عدم الاعتناء بالتوثيق ولا سيما في مجالات التاريخ وبالذات الاقتصادي منه الذي لم يكن يتصدر اهتمام القيمين على التوثيق في ذلك المجتمع، ومن شأن ذلك أن يحد من ادراكنا للديناميكية الداخلية للمكون اليهودي بوادي نون في كل أبعادها بعدما أصبح التاريخ في عالم اليوم تاريخ بنى وتنظيمات وليس تاريخ وقائع وأفراد.

يقترن اسم وادي نون في المصادر التاريخية بالتجارة، فقد أشار الرحالة الاسباني خواكيم كاتيل أن كل سكان منطقة وادي نون وبالدرجة الأولى كلميم سواء اليهود أو المسلمين هم تجار[1]. ووصف القنصل الأمريكي ماتيوز سكان وادي نون بأنهم تجار مغامرون وأذكياء[2]، كما أن الباحثة غزلان ليدن، عندما سألت الشيوخ في

1-Gattell Joachim, le Tekna et l'oued Noun, société de géographie, paris 1869, p264

2-Mathews, « rapport sur la partie des côtes d'Afrique de l'ouest englobant les territoires du sus Aitbamaran, Wadnoon et du nord-ouest du Sahara » in enjeux sahariens, centre de recherches et d'études sur les sociétés méditerranéennes, paris, 1984, p 112. A.D.N cercle Guelmim, fiche tribus Ait Moussa ou Ali, DAI 410 ? P 2

موريتانيا عن التجارة أجابها معظمهم بأن أول من بدأ التجارة هم تكنة وأولاد بسبع[1].

تمتع تجار تكنة بمميزات مكنتهم من تجاوز لعب دور الوسيط التجاري بين تجار الشمال والجنوب، والاكتفاء بعائدات التجارة الصحراوية عبر أسواق ومواسم وادي نون، الى أبعد من ذلك أي خلق شبكة تجارية تتجاوز وادي نون الى المراكز الصحراوية والسودانية، وتنظيم القوافل التجارية.

وفي هدا السياق يورد دولاشابيل: العديد من تكنة هم تجار ومنظمو قوافل، وتتمحور سياستهم حول خلق حاجة عند الرحل الصحراويين والتمكن من تلبيتها، ودلك من أجل احكام السيطرة عليهم.

المبحث الأول : وادي نون مركز تجاري

لدراسة موضوع التجارة بوادي نون، يستحسن البحث في الكتابات التاريخية التي تناولت هذا الموضوع. وابن خلدون يعتبر من المؤرخين الذين أرخوا لمجتمعنا المغربي وخرجوا بنظريات حوله، وكتب عن التجارة وعلاقتها بالدولة والمجتمع.

يتحدث ابن خلدون عن التجارة في مجالين: المجال الأول أثناء حديثه عن الدولة والعمران والثاني في مجال حديثه عن أوجه المعاش. ففي الموضع الأول كتب فصلا بعنوان : "في أن التجارة من السلطان مضرة بالرعايا مفسدة في الجباية"[2] وقد أبرز هذا الفصل علاقة التجارة بالدولة ولكن الحديث هنا عن الدولة يرتبط بهرمها وأسباب ضعفها وانهيارها. وفي الموضع الثاني تحدث عن التجارة كوجه من وجوه المعاش الحضري وفي هذا الاطار خصص عدة فصول للتجارة[3] وفيها

1- Leydon Ghizlane, On Trans Trails, Publisher Cambridge University Press, 2009, p24

2- ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دار الفكر، بيروت ، 1981،ص 346.

3- خصص ابن خلدون في هذا الصدد سبعة فصول في الباب الخامس من الكتاب الأول وهي :

يبرز علاقة التجارة بالمجتمع حيث يبرز التجارة كوجه لمعاش فئة اجتماعية تتطبع بطبائع خاصة و تتحكمها مجموعة من القوانين المرتبطة بطبيعة العمران، ولكن يجب التنبيه أن ابن خلدون عندما يتحدث عن العمران الحضري وأوجه معاشه فانه يربطه بنهاية العصبية أو بداية تفسخها.[1]

لعبت منطقة وادي نون أدوارا طلائعية في تاريخ التجارة الصحراوية. فقد كانت المنطقة ملتقى للطرق التجارية الرابطة بين المغرب وافريقيا جنوب الصحراء، ونقطة عبور لا يمكن الحياد عنها، الأمر الذي سمح لها بمراقبة الطرق وضمان أمن القوافل. وبالتالي فكانت المنطقة حلقة للوصل بين تجارة المغرب وتجارة السودان الغربي، ما جعل منها منطقة للتبادل والتفاعل والتأثير المتبادل. هذا الظهور بمظهر القطب التجاري المهم، هو من سيكون دافعا لتأسيس عدة مراكز تجارية غاية في الأهمية نذكر منها نول لمطة، وتكاوست وكلميم.

لم يكن اهتمام قبائل منطقة وادي نون بالتجارة وليد القرنين الثامن والتاسع عشر، بل هو راجع الى فترات سحيقة من تاريخ المغرب عامة وتاريخ وادي نون خاصة. فقد ارتبطت المنطقة بعلاقات تجارية بحضارات وشعوب عدة. وكان الفينيقيون هم الوافدون الأوائل الذين وصلوا المنطقة عبر المحيط الأطلسي بعد عبورهم لمدخل صغير توقف عند بلاد تكنة.2محملين ببضائعهم من مرمر وفخار وأواني خزفية. وقد كان الغرض من قدومهم دون شك هو البحث عن فرص لإقامة علاقات تجارية مع سكان المنطقة الذين يمكنهم توفير أسواق واعدة لتصريف البضائع الفينيقية. واللافت في المسألة هو أن وصول الفينيقيين للمنطقة ترافق

- في معنى التجارة ومذاهبها وأصنافها ص 494.
- في أي أصناف الناس يحترف بالتجارة وأيهم ينبغي لها اجتناب صرفها ص 495.

1- الكبير بزاوي، التجارة من خلال كتابات ابن خلدون، ضمن أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، القسم الأول، جامعة الحسن الأول، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الدارالبيضاء، فبراير 1989،ص 33.
2- ناعيمي مصطفى، الصحراء من خلال بلاد تكنة : العلاقات التجارية والسياسية ،الرباط ، 1988،ص 22.

لأول مرة مع وفود عنصر جديد ألا وهو العنصر اليهودي الذي انصهر في التشكيلة الاجتماعية وأصبح جزءا من المجتمع الوادنوني.

بعد أفول نجم الفينيقيين، تعامل سكان منطقة وادي نون مع قرطاج وريثة الفينيقيين، والتي أبدت اهتماما كبيرا بالمنطقة تتويجا لتطلعاتها وطموحاتها التوسعية. وقد أكد حانون ذلك بتأسيسه لخمس وكالات تجارية من بينها وكالة أساكا بوادي نون، وكان هدفه من الخطوة هو احتكار تجارة الذهب بالمنطقة وتحقيق أكبر قدر من الأرباح.1 وبعد ذلك عرفت المنطقة قدوم الرومان الذين كان لهم الفضل في تعميم الجمل كمطية حرب ووسيلة نقل الى المنطقة. ما كان له الأثر الايجابي على النشاط التجاري بالمنطقة. ونتيجة للتعامل مع قوى اقتصادية من هذا الحجم قام سكان وادي نون بتأسيس مراكز تجارية من أجل استقطاب التجارة الصحراوية، ولعب دور الوساطة بين الأسواق الافريقية وهذه القوى الكبرى.2

هكذا ظل الطابع التجاري هو السمة الغالبة التي ميزت وادي نون عبر مختلف مراحل التطور التاريخية. ولعل أوضح مثال ما بلغته نول لمكة في عهد الامبراطورية المرابطية، حيث تمتعت بشهرة واسعة جعلت منها احدى أكبر العواصم الافريقية بعد سجلماسة.

ورغم الغموض الحاصل نتيجة تضارب الروايات التاريخية عن ظروف وملابسات انشاء مدينة نول لمطة، فان موقعها الاستراتيجي، "كآخر مدن الاسلام"3 أهلها لاحتلا مكانة تاريخية مهمة اقتصاديا وسياسيا خلال الفترة المرابطية، كما شكل الطابع الحيادي للمدينة مسألة حيوية بالغة الحساسية لمختلف

1- نفسه،ص 24.
2- نفسه،ص 26.
3- البكري أبو عبيد الله، المعرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب مرجع سابق ،ص 161.

الفروع الصنهاجية، وانخفاض تكاليف الأمن عاملين أساسيين لانعاش مسالك المنطقة.1

الا أنه مع وصول السلطة الموحدية، تراجع دورها وكانت نهايتها على أيديهم في أواخر النصف الأول من القرن الثاني عشر.

هذه النهاية الدراماتيكية لمركز نول لمطة كان مدعاة لظهور مركز تجاري جديد تمثل في تكاوست، أواخر القرن السادس عشر الميلادي، والذي اقترن ظهوره بتحول طرق التجارة نحو الساحل، مما أكسبه أهمية بالغة، غير أن ازدهار تكاوست سرعان ما بدأ في الاضمحلال، نتيجة ظهور مركز آخر أواخر القرن الثامن عشر، استرعى انتباه التجار، ويتعلق الأمر بمركز كلميم الذي استطاع أن يحتكر تجارة تمبكتو.2

ويعتبر القاسم المشترك بين هذه المراكز الثلاث : نول لمطة، تكاوست، كلميم هو وجود أسواق ومواسم كبرى بها، كان لها الأثر الفعال في تنشيط التجارة بالمنطقة، كما كانت عاملا أساسيا في بروز مجموعة من المجموعات والأسر التجارية بالمنطقة، نالت اشعاعا وشهرة بفضل علاقاتها التجارية المتميزة مع جهات ومراكز اعتبرت من العواصم الاقتصادية الكبرى بإفريقيا حينئذ (تمبكتو – الصويرة- تندوف...)

الأسواق والمواسم بمنطقة وادي نون:

"الأسواق موائد الله فمن أتاها أصاب منها"، من خلال هذا التعريف الذي يورده الفقهاء، يتضح جليا أن ما يعرض في الأسواق من سلع ومواد أشبه بالموائد، في

1- ناعيمي مصطفى، الصحراء من خلال بلاد تكنة : العلاقات التجارية والسياسية ،مرجع سابق،ص 80.
2- نفسه ، ص 170.

المقابل نجد تعريفا آخر يقارن بين مكانين على مستوى الوصف، ففي حديث للإمام مسلم في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، "خير البقاع المساجد، وشر البقاع الأسواق" وفي هذا النص دلالة الوقار والسكينة التي تميز المساجد بخلاف الأسواق التي تعرف صخبا ولغطا يصاحب عملية البيع والشراء التي تكون بها.

أما التعريف الحديث للسوق أو الموسم، فهو مؤسسة مبنية على مبدأ العرض والطلب، يشكل هاذان المبدئان أساس فعالية السوق. وتميزت الأسواق في القرن التاسع عشر بالمزاحمة والمنافسة الحرة، حيث وجود حرية الدخول الى السوق وتنوع أشكال الانتاج، مما أعطى للمنتج حق الاتصال المباشر بالمستهلك وبيع منتوجه بالثمن الذي يريده، فكانت هذه الحرية تسمح بالمساومة، وهي ذات مردود ايجابي على المنتج والمستهلك على حد السواء.1

واذا كان معنى السوق واضحا بحيث أنه ينعقد في أحد أيام الأسبوع، فان الموسم يعني "أمكار" كما يعني وقتا معينا من السنة أو فصلا من الفصول. وفي المغرب تستعمل الكلمة نفسها بمعنى موسم الحصاد أو وقته. ولا يكون للمواسم وقعها الكبير على التجارة الا حينما تتطابق مواقيتها مع الدورات الفلاحية، أو قدوم القوافل التجارية (أكوابير) المحملة بأصناف المنتوجات والسلع الافريقية.

تنعقد في منطقة وادي نون أسواق ومواسم هامة، تعد قبلة للرحل ومستقري الأطلس الصغير، يفدون اليها من أجل التزود بحاجياتهم من السلع السودانية والأوربية والمنتوجات المحلية. ويتزامن انعقادها مع قدوم القوافل الكبرى، ونهاية الموسم الفلاحي. وقد استطاعت كبرى قبائل وادي نون ضمان أمن الأسواق والمواسم التي تنعقد بمجالها بفضل أعراف قبلية وأحلاف تهدف لضمان الأمن.

1- وهيا الحسين، الأسواق الأسبوعية بوادي نون، دراسة جغرافية، بحث لنيل شهادة الماستر في الجغرافيا، كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة ابن زهر،أكادير، 1995،ص 78.

وتمكن التجار من حضورها نتيجة انعقادها وفق تاريخ منتظم يتجاوز مجال وادي نون الى مجال أوسع وهو سوس الأقصى. وفي هذا السياق يورد القنصل الأمريكي ماتيوس "أن العديد من الأشخاص في مناطق وقبائل مختلفة، وأحيانا بينهم عداوات وصراعات دموية، الا أنهم يرتادون السوق بشكل آمن دون حدوث أية اصطدامات"1

سوق كلميم :

كلميم ، كليميم، أكولميم، كولمين، تختلف اجابات الاخباريين حول كيفية النطق باسم المدينة. نجد نطق المتحدثين بالعربية، ونطق المتحدثين بالأمازيغية، اضافة الى الاسم الرسمي للمدينة "كلميم". ويعود ذلك الى اختلاف التشكيلات القبلية المكونة للنسيج الاجتماعي بوادي نون بشكل خاص وبلاد تكنة والصحراء بشكل عام.

وبالعودة الى بعض الكتابات الأجنبية نصادف أن اسم المدينة قد كتب بأشكال مختلفة : Glimi, Guellimen, Glimim, Aouguelmim……

ارتبط هذا المكان بالولي الصالح سيدي الغازي، الذي يوجد ضريحه بأحد الأحياء القديمة للمدينة، وتعتقد أحد الروايات أنه كان رجلا صالحا وثوقا، توفي بالقرب من وادي الصياد، واجتمعت حوله القبائل كل واحدة تريد أن يدفن بمجال ترابها للتبرك به، الا أن أحدهم وهو الشخص الذي يقود البغلة التي تحمل جثمان الولي الصالح اقترح على الحضور وتفاديا لأي خلاف أن يتركوا البغلة تمشي ليدفن في المكان الذي اتجهت نحوه وتوقفت به. وتركوا البغلة حتى وصلت الى المكان الذي

1- Mathews Felix, Rapport sur la partie des côtes d'Afrique de l'ouest englobant les territoires du Sus, Ait Bamran, Wadnoon et du Nord-ouest du Sahara, Microfilms, série, T61-dobine 12 archives nationales des Etats-Unis d'Amérique, i, enjeux saharien, p 112.

توجد به قبته اليوم ودفن هناك. ومن تم ارتبط السيد بالمكان وارتبطت كلميم بسيدي الغازي.1

ينعقد بكلميم كل يوم أحد سوق رائج تتم فيه الكثير من عمليات البيع والشراء، وقد كتب بونيلي في هذا الصدد : "لأكلمين سوق تتردد عليه مختلف القبائل، وتعرض فيه بضائع كثيرة، وهو مرتبط بميناء الصويرة Mogador والسلع المعروضة فيه جيدة الى جانب المنتجات المحلية"2كما وصفت الباحثة غزلان ليدن سوق كلميم بالبازار الذي يمكن للشخص أن يجد فيه أي شيء.3

خضع سوق كلميم لتأثير كبير من الشيخ بيروك، الذي كان يوظف جاهه للاستئثار بجل المعاملات التجارية التي تتم في السوق، ومنها المعاملات المتعلقة بالرقيق، اذ أشار كولشيه أن الشيخ بيروك يحصل على العبيد بدون مقابل أو بأدنى سعر ممكن. كما أن أهل بيروك يستخلصون الضرائب على السلع التي تدخل السوق. وهذا ما تؤكده وثيقة تعود للشيخ محمد ولد بيروك مؤرخة بأوائل محرم عام 1295هـ / يناير 1877 م.

"الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله

وبعد فقد جعلت جماعة بني به بن يحيى البعمرانيين نخص منهم الأعيان كالفقير بكريم بن أيت ايتسلان والشيخ بهي بن بحلس والشيخ علي بن بهي والكاتب والحسن بن عبد الله من بني داوود السمورسسن والحاج بن محمد بن براهيم االنفلوس السمهوري ومحمد بن عد بن ابلخ البعلاوي وغيرهم صاعا من الزرع لكل جمل ممن باع الزرع في سوق أحد أجلميم من الرفاكية

1- شرايمي محمد، المدن الصحراوية النشأة والتطور،طوبريس،الرباط، 2015،ص39.

2- دحمان محمد ، الساقية الحمراء ووادي الذهب في الكتابات الاسبانية، 1885-1933، طوبريس،الطبعة 1، 2014،ص 72.

3- Leydon Ghislane, On Trans Trails, Publisher Cambridge University Press, 2009, p165.

أعني صاع الخمسين ونصف صاع من الزرع لكل حمل زرع الى الأحد جعلوا ذلك للشيخ محمد بن الشيخ مبارك بن عبد الله بن سالم الجلميمي رفقا لهم به واعانة له قصدوا بذلك وجه الله العضيم وثوابه الجسيم والله لايضيع أجر من أحسن عملا وبه كتب عن اذنهم واتفاقهم على ذلك بتاريخ أواءل محرم عام 1295 هـ (يناير 1877) عبيد ربه محمد بن عبد الوسي بن عبد الله السموري وفقه الله لصالح العمل وأذاقه حلاوة الايمان بجاه النبي آمين. وعبيد ربه الحسن بن محمد بن براهيم أنفلوس الاسمهري البعمراني لطف الله به آمين" [1]

لا شك أن تأثير بيروك لا يرجع الى مكانته الاجتماعية كزعيم لقبيلة أيت موسى وعلي وشيخ للف أيت الجمل فحسب، بل يرجع الأمر كذلك لدور الشيخ في تنشيط المبادلات التجارية في السوق من خلال تنظيم القوافل التي تصل بانتظام لكلميم.[2]

وعن باقي الأسواق التي تنعقد بمجال وادي نون خصوصا ومجال السوس الأقصى على وجه التعميم، يورد عمر أفا في معرض حديثه عن الأسواق والمواسم بمجال سوس، أنه كما هو الشأن لسوق الاثنين بايليغ بتازروالت وسوق ثلاثاء صبويا بأيت بعمران وسوق أربعاء مستي قرب افني وسوق الخميس بتغجيجت وسوق الجمعة بتيمولاي وسوق الأحد بوادي نون.[3]

تجدر الاشارة الى أن جل ان لم نقل كل هذه الأسواق لا زالت الى يومنا هذا تنعقد بهاته المناطق، غير أنه ما يسترعي الوقوف عنده هو تحول سوق كلميم من يوم الأحد الى السبت، وعند بحثنا في هذا الأمر من خلال عدة حوارات مع شيوخ القبائل والباحثين في تاريخ المنطقة، استنتجنا أن سبب هذا التغيير من يوم الأحد

1- عبد الهادي المدن، التجارة في وادي نون خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، نيكوسكوم ،الطبعة الأولى، 2018،ص 273.

2- Abitbol Michel, le Maroc et le commerce transsaharien du XVII au debut de XIX siecle, in Revue musulman et la méditerranée, N°30, 1980, p9.

3- عمر أفا، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر، سوس 1822-1906، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية ، جامعة ابن زهر، أكادير ، الطبعةالأولى ، 1988،ص 92.

الى يوم السبت يرجع الى كون اليهود في مرحلة من المراحل سيطروا على عصب التجارة بهذا السوق (كلميم) وتحديدا ما بين سنتي 1930 و 1935، وتحت طلبات التجار المسلمين من القبائل المحلية واشتكاءهم من هذا المستجد الذي ألحق بهم أضرارا مالية كبيرة، ومن أجل انهاء الاحتكار الذي كان يمارسه اليهود على التجارة بالسوق، اتفقت القبائل مع الشيخ بيروك على نقل السوق من يوم الأحد الى يوم السبت الذي يعتبر يوما مقدسا لدى اليهود، في المقابل قام اليهود وحتى لا يفوتهم موعد السوق الذي أصبح واقعا مفروضا، قاموا بمنح بعض الأفراد من قبيلة الشيخ بيروك (أيت موسى وعلي) المال والسلع للمتاجرة لهم مقابل منحهم هامشا من الأرباح.

كان اليهود يعرضون في هذه الأسواق منتوجات استهلاكية كالحبوب والتمور والسكر والشاي والأحذية والأسلحة والأثواب والألبسة. وكان الحضور اليهودي الحرفي لافتا وفعالا من خلال عرض المنتجات الحرفية أو القيام بأعمال الصيانة. وكان الحرفيون يعرضون مواد مصنعة محليا كالحلي الفضية والشموع والفنارات والأواني الخزفية والسروج، والأفرشة المصنوعة من الريش أو الصوف.[1]

أما محلات العرض في هذه الأسواق فهي عبارة عن خيام أو على الأرجح في الفضاءات المفتوحة خاصة أثناء المواسم. وهذا ما يؤكده محمد كنبيب بقوله: "كان اليهود يمارسون التجارة اما داخل بيوتهم، أو في دكاكين صغيرة مستأجرة، أو تحت الخيام في الأسواق الحضرية والقروية، بل في الهواء الطلق"[2]

- **المواسم :**

[1]- الطاهربلمهدي، اليهود: غرباء وافدون في خدمة منطقة وادي نون في القرن التاسع عشر ،دفاتر البحث العلمي، مختبر الحضارة المدينية بالحوض المتوسط الغرباء في تاريخ المجال الحضري بالمغرب، تنسيق عبد الرزاق العسري، جامعة الحسن الثاني، كلية الاداب والعلوم الانسانية المحمدية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعةالأولى، 2016،ص 95.
[2]- محمد كنبيب، مذكرات من التراث المغربي، الرباط، 1984،ج8،ص 121.

تنظم في منطقة وادي نون مجموعة من المواسم، وغالبها تنعقد بالقرب من أضرحة الأولياء الذين يحظون بقدسية وتوقير قبائل المنطقة. وتسمى بأمكاكير ومفرها أمكار، والكلمة كما يرى بول باسكون، صيغة معربة مبنية على فعل أمازيغي "نموكر" أي الالتقاء، مرادف الكلمة العربية الملقى، التي تجدها في كل النصوص العربية في سوس عند الموسم، هذه الكلمة الأخيرة موسم وجمعها مواسم، تحيل على فكرة التظاهرة أي الحدث، أو شيء عظيم يتكرر بانتظام وفي كل سنة، يتضح من خلال تعريف باسكون أن الموسم أو أمكار هو حدث هام يتكرر بانتظام ويلتقي خلاله جمع غفير.[1]

وبدوره يقترح دانييل شروتر تعريفا اخر للموسم قريب من تعريف باسكون في الجزء المتعلق بالالتقاء خلال وقت معين من السنة، ويضيف أن كلمة موسم تستعمل في المغرب بمعنى وقت الحصاد، ويحل توقيت هذا النوع من المواسم في الوقت نفسه من كل سنة تقريبا، حيث تنظم المواسم الرئيسية في الجنوب المغربي ما بين شهري مارس وأكتوبر.[2]

من خلال ما سبق، يمكن تعريف المكار بأنه حدث هام تلتقي خلاله القبائل بهدف التبادل التجاري وكذا التداول في الشؤون القبلية وصلة الأرحام، ويتم تنظيمه نهاية كل موسم فلاحي قرب مكان مقدس، ضريح ولي أو مقر زاوية.

المبحث الثاني :التوزيع الجغرافي للأسواق والمواسم بوادي نون خلال القرن التاسع عشر :

1- Paul Pascon, la maison d'Iligh, Société Marocaine des Editeurs Réunis, 1984, p 145.

2- دانييل شروتر، مرجع سابق ،ص 186.

كان التوزيع الزماني للأسواق موازيا للتوزيع المكاني، وقد مكن انتشار هذه الأسواق بكل التراب الوادنوني من توفير المنتوجات المحلية، بالإضافة الى مواد الصناعة التقليدية من الجلد والنسيج وكذا البضائع المستوردة.

تتخلل منطقة وادي نون طرق ومسالك تصل الأسواق الأسبوعية ببعضها، والملاحظ أن هذه الطرق كانت مسايرة للأشكال التضاريسية المسهلة للمرور مثل الأودية والمنخفضات الناتجة عن عوامل التعرية، التي تمكن من تخطي المناطق المرتفعة، غير أن التلازم بين الطرق والأودية يغدو عاملا سلبيا في الأشهر الممطرة - على قلتها – كلما ارتفع حجم الماء في مجرى الوادي بسبب تهاطل الأمطار، الأمر الذي يتسبب في انقطاع الطرق من كثرة الأوحال. ومن هنا فالفصول الممطرة يحمل مشاكل، غير أنه يخلق ظروفا تخفي مشاكل أخرى لا يبرز أثرها الا في فصل الصيف، مثل ارتفاع درجة الحرارة وشدة الظمأ اللذان يؤثران على التجار والدواب على حد السواء.

واكب ازدهار المنطقة على مستوى التجارة الصحراوية، ازدهار مماثل للتجارة المحلية، حيث مكن الموقع الاستراتيجي للمنطقة كونها ممرا للقوافل التجارية، من امكانات ضخمة لممارسة النشاط التجاري، وكذا الاستفادة منه عن طريق التعاطي لمهنة التدليل والارشاد والزطاطة على طرق القوافل، كما ساعد أيضا هذا العامل على ضهور أسواق ومواسم، والتي حددها الباحث الفرنسي فانسون مونطاي كالآتي :

- **موسم أسرير:**

يعتبر موسم أسرير من أقدم المواسم بوادي نون، استمر منذ بداية العهد المرابطي الى يومنا هذا، ويوجد بالقرب من زاوية الشيخ سيدي محمد بن عمرو الأسريري،

يسمى كذلك بموسم الولي الصالح سيدي محمد بن عمر اللمطي اللمتوني، وينعقد مرتين في السنة، الأول في بداية شهر يونيو وهو موسم تجاري خالص، أما الثاني ويسمى "المعيليل" فهو يجمع بين الصبغتين التجارية والدينية وينعقد أواخر شهر يوليوز، وفيه يتم الاحتفال بقدوم الولي الصالح سيدي محمد بن عمر اعترافا بمكانته، وبهذا الموسم تختتم كل مواسم وادي نون.

تفد على الموسم سلعا وبضائع متنوعة، من أثواب (الكتان ، الخنط) وحبوب اضافة الى المواشي كالإبل والغنم والماعز وغيرها من الدواب، وكانت المعاملات التجارية بين مختلف الأطراف تتخذ شكل قروض نقدية أو عينية أو بيع أو شراء، كان الجميع يسعى الى توثيقها من طرف فقهاء محليين كأهل البعقيلي جاعلين الموسم القادم ميثاقا دينيا لتسديدها أو ردها.

- **موسم تغمرت :**

كشفت الدراسات والتحريات الميدانية بتغمرت أنه بحي السوق القديم المعروف لحد الآن باسم "تامسوقت" آثار ومعالم حي تجاري وصناعي بحجم مهم يتوسطه مسجد كبير، ويحده موقع السوق الأسبوعي الذي يقام كل خميس، ويورد المختار السوسي اشارة قديمة عن هذا السوق فيقول : "شخص يسمى محمد من آل بيروك أن أتسوق معه يوم الخميس في تغمرت من قبيلة ازفاضن لنشتري منها تمرا نربح فيه لأنه هناك رخيص وفي بلدنا غالي..."[1]

بالإضافة الى الموسمين السالفي الذكر، نجد مجموعة من المواسم بالمنطقة، مثل موسم لقصابي (تكاوست) المسمى بموسم سيدي أعمر أوعمران وينعقد في منتصف شهر يونيو، وموسم تغجيجت، المعروف بموسم أكادير مقورن، ويقام في

1- السوسي،المعسول،م.س،ص 8

مستهل شهر شتنبر من كل سنة، وشرقا موسم آسا الذي يتزامن وعيد المولد النبوي الشريف والذي تحج اليه القبائل من كل حدب وصوب.

1- وادي نون والتجارة الصحراوية :

تعتبر منطقة وادنون من أقدم المناطق تعميرا في الصحراء، فقد عرف سكانها الاستقرار منذ عدة قرون، والشواهد على ذلك كثيرة، وقد مارس سكانها العمل التجاري وأجادوه، إذ استغلوا الموقع الجغرافي المتميز لمنطقتهم المتموضع بين ميناء الصويرة وبين أسواق إفريقيا جنوب الصحراء عموما وأسواق تينبكتو على الخصوص، فاشتغلوا في ممارسة الوساطة التجارية بين المدينتين المذكورتين، مما خلق دينامية اقتصادية واجتماعية خاصة في وادنون، وتسعفنا وثائق عديدة في التوقف على بعض تفاصيل هذه الحركية، وعلى بعض تفاصيل هذه الوساطة، من حيث أنواع السلع المتاجر فيها، وأسعارها، ووسائل الاتصال والمواصلات المستعملة في الربط بين المدينتين.

- **تجارة القوافل :**

تعتبر القافلة الوسيلة الوسيلة الأنجع التي اعتمدها التجار بوادي نون والصحراء، لنقل البضائع من نقط الانتاج من السودان الغربي نحو وادي نون، وكذا من وادي نون نحو الصويرة.

فالرحلة من وادي نون نحو تومبكتو قد تستغرق حوالي شهرين وتقطع خلالها القافلة ما يقارب من 2500 كلم، أي بمعدل 50 كيلومترا في اليوم الواحد. بينما تستغرق الرحلة من وادي نون الى الصويرة ما بين 10 و 15 يوما.

يورد شروتر أن أحجام القوافل تتباين، فقد تتراوح ما بين شخصين وثلاثة أشخاص مصحوبين بحميرهم، وعدة الاف من الناس والجمال، وتسمى هذه التجمعات بالقافلة، وان كانت القافلة التي تتجه سنويا الى تومبكتو تعرف أيضا بالقافلة الكبرى أو أكبار[1].

قامت التجارة بوادي نون على تجارة القافلة، أو ما يصطلح عليه بالتجارة البعيدة، لذلك عملت مختلف البنيات الاجتماعية على صون الأسس التي تقوم عليها هذه التجارة، معتمدة على المقومات الطبيعية لوادي نون، خاصة الموقع الاستراتيجي، والحزام الواحي، وعلى العنصر البشري، أي الأسر التجارية ووكلاؤها المنشرون على طول المحاور التجارية، يهودا كانوا أو مسلمين. فكانت قبائل وادي نون بزعامة أهل بيروك وأهل العرابي من أهم منظمي القوافل خلال القرن التاسع عشر.[2]

اختلف الدارسون في تحديد تاريخ ظهور التجارة البعيدة العابرة للصحراء الكبرى، فأرجعها البعض الى العصر القديم، حين كانت العربات التي تجرها الجياد تربط ما بين شمال وغرب افريقيا، أي قبل جفاف الصحراء، في حين أرجعها البعض الآخر، الى فترة الفتوحات الاسلامية، وبداية وصول التجار المسلمين الأوائل الى السودان الغربي.3وبالرجوع الى المصادر التاريخية نجد أن أول من تحدث عن التجارة الصحراوية هو ابن حوقل في كتابه صورة الأرض، وقد عرفت التجارة الصحراوية حدثين شكلا منعرجا حاسما وهما: دخول الجمل وانتشار الاسلام.

انطلاقا من أواسط القرن التاسع عشر، اعتبر السلطان نفسه من مصادر الحماية والأمان لأن ما تنص عليه العلاقة التعاقدية القائمة بينه وبين تجاره أن يوفر

1- دانييل شروتر، تجارالصويرة ، م.س ،ص 180.
2- عبد الهادي المدن، التجارة في وادي نون ، م.س، ص 184.
3- الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،تونس، 1987،ص 94.

الحماية الكاملة للتجار وبضائعهم عبر الطرق التجارية، "وبينما كان في وسع السلطان الحفاظ على درجة من المشروعية في المناطق الواقعة خارج نفوذه، فان المناطق الموجودة تحت المراقبة المباشرة للمخزن المركزي قد أنشأت بها محطات وقائية تسمى النزايل أو النزلات"1، كان لهذه المحطات دور مهم في توفير محلات يبيت فيها التجار مقابل مبلغ مالي رمزي، يفرض على الأفراد والدواب والسلع.

كان للقافلة تنظيم محكم، اذ نجد على رأس كل قافلة قائد، يعين تبعا لمكانته التجارية وامتلاكه أكبر عدد من الابل المشكلة للقافلة، وكانت تجمعه مع باقي أعضاء القافلة المصلحة العامة والرغبة في وصول القافلة الى وجهتها في أحسن الظروف. ومن أبرز أعضاء القافلة كذلك نجد الدليل، أو المرشد، وهو الذي ترتبط سلامة القافلة به، لهذا كان من أبرز شروط الدليل أن يكون ذا معرفة كبيرة بالطرق والمسالك، وذا خبرة طويلة في مرافقة القوافل. وقد كان الدليل الذي رافق أوسكار لينز الى تندوف وتومبكتو عارفا بالصحراء ومطباتها، اذ قطعها خمسين مرة2، كما يعتبر الالمام بمعرفة الطب والأعشاب شرطا مهما لهذه المهمة، فضلا عن حنكته وذكاءه في المفاوضة، ومعرفة الطريق عن طريق النجوم. وقد كان الدليل الذي رافق قافلة دوماس يعتمد على مبدأ المصاهرة في تعزيز علاقاته بالقبائل التي تتواجد في طريق قوافله، اذ كان يتزوج من بناتهم.3 وقد برزت مجموعة من القبائل في توفير هذه الخدمة للقبائل مثل عريب وتجكانت والركيبات.

1- دانييل شروتر،تجار الصويرة ،م.س،ص 175.

2 - O.Lenz, Timbouctou, voyage au Maroc, au Sahara et au soudan, Paris, Librairie Hachette, 1887, T2, p25

3- الزهرة طموح، تنظيم القافلة خلال القرن التاسع عشر، ضمن التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، الجزءالثاني، منشورات كلية الآداب عين الشق، الدارالبيضاء، 1998،ص 294.

تضم القافلة كذلك موثقين وعدول، مهمتهم توثيق المعاملات التجارية، وتسجيل بعض الأحداث كالوفاة، وتضم أيضا "الرفاكين" الذين يتم استئجارهم لمرافقة القافلة حتى وصولها الى وجهتها، وقد كانوا يتقاضون أجورا مرتفعة، تزداد تبعا لصعوبة المسالك وغياب الأمن في المحاور التجارية. بالإضافة الى أشخاص مهمتهم تتلخص في شحن الحمولة عند انطلاق القافلة وافراغها في كل نزول، ناهيك عن عناصر الأمن، وهم أشخاص مسلحون يرافقون القافلة، خاصة في السنوات والمناطق التي يغيب فيها الأمن. ونجد في هذا الصدد اشارة عند فيدرب، يشير فيها الى أن القافلة التي انطلقت من كليميم في اتجاه آدرار، كان من ضمنها خمسة وخمسون مسلحا تابعون للشيخ بيروك.1

الفصل الثاني : التجار اليهود بوادي نون و الزعامات المحلية

المبحث الأول : علاقة يهود وادي نون بالسلطة الحاكمة:

عرف عن اليهود بحثهم الدائم عن المكان الذي يتوفر فيه عنصر الأمان، الذي يعتبرونه شرطا أساسيا للاستقرار والسعي وراء الكسب المادي والانتعاش الاقتصادي، وكانت الحماية التي توفرها السلطة النافذة، سواء تلك التي تمثلها السلطة الحاكمة أو تلك التي تجسدها بعض الزعامات المحلية من أهم ما كان يهود المنطقة ينشدون إليه للقيام بأنشطتهم بكل أرْيَّحية.

وكان للسياسة التي نهجها سلاطين المغرب خلال القرن التاسع عشر دور هام في تشجيع اليهود على الاستقرار، وتوارد أفواج كبيرة منهم إليه2، خاصة من خلال

1- Faidherbe, « renseignements » op.cit, p 142.

2- من هذه الأفواج التي توارد على المغرب خلال القرن التاسع عشر، نذكر تلك الأعداد الكبيرة التي توارد عليه بعهد المولى عبد الرحمان بن هشام العلوي (1822-1859)،وابنه المولى محمد الرابع (1859-1873)،من يهود الجزائر خاصة بعد إقدام فرنسا سنة 1870على إصدار قرار بتجنيس 30.000 يهودي بالجزائر، ومن لم يقبل منهم هذا القرار أخذ المغرب وجهة له هروبا من هذا القرار، حيث أصبحوا مغاربة ولا يطالبون بالتجنيس

إصدار ظهائر ضامنة لحقوق هذه الفئة وسط المجتمع المغربي، منها الظهير الذي أصدره المولى سيدي محمد بن عبد اللهسنة 1764/1178م، والذي ينص على معاملة اليهود كبقية أفراد المجتمع المغربي، مع المساواة بينهم أمام المحاكم1، أو من خلال إصدار توصيات بحمايتهم وضمان حقهم في حرية التنقل وفي المسكن، كما هو الشأن على عهد المولى سليمان(1792-1822م)الذي أمر بتوسيع الملاحات، الموجودة أو إنشاء أخرى جديدة2. وكذلك المولى الحسن الأول الذي عين وزيرا للشكايات للنظر في الدعاوى التي يرفعها اليهود من أجل توفير الحماية لهم من المعتدين3.

ولأن الطائفة اليهودية المنتشرة في هذه المناطق وفي مناطق تنبوكتو منذ القدم كان لها دور حاسم في تجارة القوافل عبر الصحراء وذلك لقرون عدة، فقد شجع السلاطين توافد اليهود على أهم المراكز التجارية، نظرا لخبرتهم الواسعة في هذا المجال، حيث عرفت الساكنة اليهودية تزايدا مستمرا في المدن الساحلية، وبوضوح منذ أواخر القرن الثامن عشر حتى العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، ومن ذلك ما قام به المولى سيدي محمد بن عبد الله، بعد إعماره لمدينة الصويرة سنة 1765م، لتصبح المرسى الأول للبلاد والمنفذ البحري الوحيد للتجارة، بعدما أغلق ميناء أكادير نهائيا4، حيث قام بنقل يهود باقي المدن المغربية إليها، كفاس، ومراكش وتطوان، ومثلت أكادير5لضمان التطورالاقتصادي بهذه

ينظر: عمرأفا، "الظروف التاريخية لتطور أنماط الأطعمة المغربية منطقة سوس في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين"، هسبريس تمودا،العددXXXIII 1995، منشورات كليةالآداب والعلوم الإنسانية ،ص:24.

[1]- عمرآفا، "اليهود في منطقة سوس ودورهم الاقتصادي وعلاقتهم بالصويرة"،م.س،ص.134.

[2]- عبد الله لغمائيد، جماعات يهود سوس،م.س،ص.54

[3]- رسالة من نائب السلطان المولى الحسن الأول محمد بركاش إلى نواب الدول الأوربية بتاريخ 8 يناير 1881م.

[4]- محمد بوكبوط، "مراسلات تجار تطوانيين مع عامل الصويرة الأمين الحاج علي بن الحاج في أواخر القرن التاسع عشر"، مجلة هسبريس تمودا، العدد 40، 2005،ص.57.

[5]- عمر أفا، "الأبعاد التاريخية لاقتصاد أكادير في القرن التاسع عشر"، أعمال ندوة مدينة أكادير الكبرى المحور التاريخي، جامعة إبن زهر كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، 1990،ص.316.

المدينة الجديدة، فاجتمع عدد هائل من التجار اليهود المهتمين بتجارة التصدير والاستيراد بها1،خصوصا والوافدون من سوس وإفران2، لدرجة أن اليهود بالصويرة أصبحوا يمثلون ما بين 30و40 في المائة من السكان. كما قام بتشجيع النصارى على تعميرها لنفس الغاية، وهذا ما يوضحه الناصري بقوله:"...جلب إليها تجار النصارى بقصد التجارة بها، وأسقط عنهم وظيف الأعشار ترغيبا لهم فيها فأهرعوا إليها من كل أوب(...) فعمرت في الحين واستمر الترخيص لهم فيها مدة من السنين..."3.

ونفس الأمر عرفته مدينة تزنيت حيث استقطبت هي الأخرى بعد بناءها يهودا قدموا إليها من الأطلس الصغير (إفران،وجان، تازروالت...)، أو من مراكز أبعد مثل تارودانت والصويرة. وشكل هؤلاء الوافدون " ملاحا" بالمدينة، فنشطوا في صياغة الفضة، وبيع الأثواب، كما لعبوا دورا تجاريا مهما بين البلدة والصويرة التي يجلبون منها السكر والشاي والمواد المصنعة4.

وبذلك تبوء اليهود مكانة اجتماعية وسياسية متميزة، عن طريق التقاء مصالحهم مع مصالح السلطة الحاكمة، بعد أن حققوا درجات من النجاح الاقتصادي، بفضل نمو التجارة مع أوربا وتطورها. وهكذا بدأت تبرز إلى الوجود جماعات يهودية مزدهرة الأحوال على طول الطرق الداخلية للقوافل التجارية5. منها بعض الأسر التي اشتهرت ولمع اسمها في مجال التصدير والاستيراد، والوساطة مع

1- محمد المنصور، (مادة تجارالسلطان)،معلمة المغرب،الجزء7 ،مطابع سلا، 1995،ص. 2279-2280

2- مصطفى ناعيمي، (مادة افران) ،معلمة المغرب،م.س،ص.548

3- أحمد خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج.8، تحقيق محمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، الرباط 2001،ص.21-20.

4- حمدي أنوش وجامع بيضا، (مادة تزنيت) ، معلمة المغرب،الجزء8 ، مطابع سلا، 1995،ص.2681

5- دانييل شروتر،تجارالصويرة،م.س،ص.111

الأوربيين، أمثال: أفرياط، ومخلوف بوغانم، وسلام مفتالي، وأبراميبيطون، ومنان بوطبول...[1].

وهكذا دخلت عدد من هذه الأسر في علاقات مباشرة مع المخزن بصفتهم تجارا للسلطان، أو بصفتهم متعاقدين مع المخزن في إطار نظام الالتزام لتحصيل الضرائب والرسوم[2]. فكانت العلاقة بين السلطان والتاجر علاقة مباشرة تقوم على تبادل المصالح والخدمات[3]، لدرجة أن بعضهم تمكن من الوصول إلى مركز السلطة[4]، وذلك بتأديتهم في كثير من الأحيان لأدوار سياسية ودبلوماسية. فالسلاطين كانوا عادة ما يرسلون التجار لاقتناء السلع والعتاد الحربي من أوربا، لكنهم كانوا في نفس الوقت يكلفونهم بمهمات سياسية، كتسليم خطابات رسمية، أو التفاوض مع مسئولي الدول الأوربية حول قضايا مختلفة[5].

وكان كل من آل قرقوز و آل أفرياط بصفتهم تجارا للسلطان من أهم التجار الرئيسيين الذين يتصدرون حياة الصويرة التجارية والمهمين فيها، ويتمتعون بحركية كبرى بسبب استثمارهم في الخارج وارتباطهم الحميمي بوسطائهم في جنوب غرب المغرب، وكذلك من أهم مزودي القصر بحاجياته من الكماليات ووسائل الترف[6].

في مقابل هذه الخدمات التي كان يقدمها تجار السلطان اليهود للمخزن، كان المخزن يوفر لهم الأموال والحماية الضرورية لهم، ويقدم لهم امتيازات عدة

---

[1]- محمد إبن عزوزحكيم ، (مادة الإليغي الحسين بنهاشم)، معلمةالمغرب، الجزء2،مطابع سلا،الرباط ، 1989،ص.665.
[2]- دانييل شروتر، نفسه ،ص.111.
[3]- محمد المنصور، (مادة تجار السلطان)، معلمةالمغرب، م.س،ص. 2279-2280

[4]- محمد المنصور، المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين (1792-1822)،م.س،ص.42.
[5]- محمد المنصور،(مادة تجارالسلطان)،معلمة المغرب،م.س،ص. 2279-2280.

[6]- دانييل شروتر، نفسه،ص.92-93

كالاستفادة من القروض المخزنية أو أداء رسوم جمركية منخفضة مع تسهيلات في تسديديها على دفعات1، وهناك بعض التجار اليهود من ذوي الامتيازات أمثال عمران المليح2 الذين يستفيدون من تخفيضات للرسوم الجمركية على الصادرات أيضا3، أو احتكار بعض المواد مقابل مبلغ يدفعونه لبيت المال، وكانت هذه الاحتكارات تشمل بالأساس استيراد مواد أساسية، كالشاي والقهوة والسكر، أو تصدير مواد محلية، كالصوف والجلود وغيرها، أو الحصول على مخازن ومحلات سكنية من الأملاك المخزنية4.

لقد اتفقت مصالح اليهود مع مصالح المخزن هذا الأخير الذي لم يفوت استغلال خبرت هذه الطائفة الواسعة في الجانب الاقتصادي، بصفتهم من أهم منعشي الحركة التجارية لينتقلوا بفضل تفانيهم في خدمة مصالح السلطة المركزية، وبفضل إتقانهم لمهارات عدة من تقلد مناصب سياسية فوضها لهم المخزن، كمترجمين ومفاوضين ووسطاء بين المغرب والدول الأوربية أو مع القوى المحلية.

المبحث الثاني : علاقة يهود وادي نون بالزعامات المحلية:

لعبت بعض الأسر والزعامات المحلية أدوارا كبرى في تسيير التجارة العابرة للصحراء نظرا لتأثيرهم في القبائل5، وشكلت مراكز سوس الأقصى "كطاطا" و"أقا"، و"دار إليغ" في عهد السملاليين، وآل بيروك في كولميم، والدور التجارية

1- كمثال على ذلك من حال مخزن لمجموعة من اليهود المراكشيين امتياز استغلال مكوس أبواب الصويرة وأكادير بمقدار 85000 مثقال عن ثلاث سنوات منذ أوائل 1872سنة. رسالة من السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن إلى خليفته ونجله المولى الحسن 1872/1288م.

2- عرفت عائلة آل المليح بتعدد أنشطتها وتزعمها الديني للطائفة اليهودية بالصويرة، وتمكنها من إقامة علاقات تجارية واسعة مع بريطانيا والتحكم في المبادلات التجارية بين المغرب وبريطانيا منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

3- دانييل شروتر، تجارالصويرة، م.س،ص.235

4- دانييل شروتر،نفسه،ص.96

5 - Bonelli , El Sahara , op.cit , P :75 .

الصويرية أطرافا فاعلة وأجزاء أصيلة داخل شبكة تبادلية محكمة، ومكنت هذه السلسلة من العلاقات القائمة على الثقة والسلف من جعل التجارة العابرة للصحراء تصبح واقعا حقيقيا1.

هيأت المعطيات الجغرافية مجمل الفرص التي مكنت إليغ وكلميم خلال القرن التاسع عشر من احتكار تجارة القوافل2. فكان من الطبيعي أن يسعى يهود الجنوب المغربي إلى الاستفادة من أهمية هاذين المركزين لتحصيل المزيد من الأرباح ، وذلك لا يمكن أن يتأتى لهم إلا بتقربهم من القوى النافذة بالمنطقة، والتي مثلتها كل من شرفاء إليغ، وأسرة آل بيروك التكنية، الأمر الذي يمكنهم من تحقيق نوع من الاطمئنان والأمن خلال ممارستهم لنشاطهم التجاري بالمنطقة وخارجها3.

1- شرفاء إليغ :

ساهمت أسرة أبي حسون السملالي ابن مؤسس زاوية سيدي أحماد أموسى[4]، الملقب "ببودميعة"[5]، دورا كبيرا في هذه التجارة منذ القرن السابع عشر الميلادي، حيث تمكن هذا الأخير من مراقبة محور تغازة، وتوجيه البضائع السودانية المنقولة عبره في اتجاه ميناء ماسة الذي كانت تقصده السفن الإنجليزية والفرنسية والهولندية[6]، وورثه أحد حفدته في أداء هذا الدور التجاري وهو الحسين أوهاشم،

---

1 - دانييل شروتر،تجارالصويرة، م.س،ص : 213 .

2- محمد إبن عزوزحكيم، (مادة الاليغي الحسين بنهاشم) ،معلمة المغرب،الجزء2،م.س،ص.665

3- عثمان المنصوري،ا لتجارة بالمغرب في القرن السادس عشر : مساهمة في تاريخ المغرب الاقتصادي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة– البيضاء، الطبعة 1، 2001 ،ص.361.

4- Le Colonel Justinard," Notes Sur Le Tazeroualt Au XVIIe Siècle "in, Hesperis Tamuda ,To.XXXVII ,Paris ,1950, p:114.

5- هوعلي المشهور بأبي حسون السملالي والمكنى ببودميعة بن امحمد بن امحمد بن سيدي احماد أوموسى دفين تازروالت، وهومن بنى مدينة إليغ عاصمة إمارة تازروالت السملالية في القرن 17م. للمزيد من المعلومات حول هذه الشخصية ينظر: محمد إبن عزوزحكيم، معلمة المغرب،ج 2،م.س،صص : 661- 663.

6-نور الدين صادق، حركة الشيخ يحيى الحاحي وقيام إمارة تارودانت: من الدعوة إلى الإمارة، الجزء1، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية ،مطبعة المعارف الجديدة-الرباط،ا لطبعة2010،1،ص: 24.

الـذي جمـع بـين الزعامـة المحليـة، والقيـام بمهـام بنكيـة وتقـديم السـلفيات وتمويـل القوافل التجارية[1].

وتؤكد دراسة بول باسكون لحسابات دار إليغ بتزروالت بين 1850-1875م أن هذه الشخصية كانت هي المسيطر على هذه المبادلات بالتجارة الصحراوية[2]، نظرا لتوفره على أموال طائلة غذت القوافل التجارية الموجهة نحو تمبكتو وبلاد السودان وأكادير لتأتي محملة منها بالعاج وريش النعام، والعبيد والذهب والتبر والفضة، ثم يوجهها إلى سوق التجار من أصحابه في الصويرة، فيبيع لهم كل تلك السلع ويدفعون له مقابلها سلعا أخرى: كالحرير والحديد الصلب واللوبان والمرجان والقرنفل والسنبل والخزامى والفخار والزجاج، وكل السلع الأوربية المتوفرة بهذا الميناء، وعندما ترد إليه يجتمع عليه التجار من المسلمين واليهود فيشترونها منه كلها[3]. مستفيدا من وصول العدد الضخم من الزوار إلى ضريح الولي الصالح سيدي أحماد أوموسى[4]، بتحويل الموسم إلى أكثر الأسواق التجارية أهمية في الجنوب المغربي[5]، وبذلك لم يبق على زعيمها الحسين أوهاشم إلا الشراء حسب شروط العرض، أو التدخل كوسيط لبيع هذه السلع، بعد أن يتم

---

[1] -Le Colonel Justinard ,Un Petit Royaume Berbère, Le Tazeroualt ,Un Saint Berbère Sidi Ahmed Ou Moussa ,Maisonneuve ,Paris, 1954, p : 64.

[2]-Caratini ,Les Rgaybats (1610-1934), T· 1,des Chameliers a la Conquête d'un Territoire De L'Harmattan , 1989, p: 95.

3-سيدي إبراهيم الماسي، أخبار سيدي إبراهيم الماسي، ترجمة: عمرأفا، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، مطبعة المعارف الجديدة- الرباط، الطبعة2004،1،ص: 47.

[4]-Arsene Roux ," Les Aventures Extraordinaires De Sidi Hmad-U-Musa : Patron Du Tazerwalt "in, Hesperis Tamuda ,Tome XXXIX ,Paris , 1952 , p : 75.

[5]- Paul Pascon ,Mohammed Ennaji , Le Makhzen et Le Sous Al –Aqsa La correspondance Politique De La Maison D'Iligh (1821-1894), Edition du CNRS , Paris , Les Editions Toubkal Casablanca , 1988, P : 15.

شراؤها من طرف التجار الآخرين. فيتصدر بذلك ميدان المبادلات بالوساطة مع الأوربيين، وتكون إليغ محطة سلعية للتمرير من الصويرة وإليها[1].

ومن أوجه اهتمام شرفاء إليغ بتنمية دور اليهود التجاري والذي يعود عليهم بمنافع كبرى، حرص زعاماتها المتوالين على احتواء إليغ على طائفة يهودية هامة تبرز معالمها كمدينة تجارية وحرفية[2]. حيث قام هاشم بن علي حفيد أبي حسون السملالي بعد تزعمه لتازروالت بإرساء واسترداد نفوذ دار إليغ الحديثة، عبر الاهتمام بزيادة الأعمال التجارية بها وتوسيع رقعة نفوذها، وكان استقباله ليهود إفران الفارين من بطش الثائر "بوحلاس" وعتوه، والاستفادة مما نقلوه من مال، ومن خبرتهم التجارية من أهم وسائله في ذلك[3].

وخلال تزعم سيدي الحسين أوهاشم المرابط القوي النفوذ لإليغ، سمح لليهود بالدخول لأول مرة إلى موسم سيدي أحماد أوموسى بتازروالت[4]، ولأجل ذلك كان يبني للقادمين منهم إلى تزروالت دكاكين في سوق إيليغ[5]، ويحيط الباعة المتجولين منهم عند توجههم للموسم بالحماية والأمان على طول الطرق التي يمرون بها[6].

وقد تحدث الملاحظون الأوروبيون بهذا الخصوص، عن ثروات اليهود الذين هم تحت حماية الحسين أوهاشم، والذين كان يستثمر أمواله على أيديهم، على شكل قروض بالفائدة. وبفعل نفوذ الحسين أوهاشم على تجارة إفريقيا، وما له من أثر على مداخيل المخزن التجارية فقد منحه هذا الأخير أكبر دار بنيت بالصويرة سنة

---

[1]- محمد إبن عزوزحكيم، (مادة الاليغي الحسين بنهاشم)، معلمة المغرب،م .س،ص.665

[2]- مصطفى ناعيمي، (مادة إليغ) ،معلمة المغرب،الجزء2 ،مطابع سلا، 1989،ص.660

[3]- عمر أفا، (بو دميعة الحسين أوهاشم) ،معلمة المغرب،الجزء5،مطابعسلا، 1992،ص.1672

[4]- محمد إبن عزوزحكيم،نفسه

[5]- عمرأفا، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر (1822 -1906 سوس)،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، سلسلة أطروحات ورسائل 1، 1988،ص.99

[6]- دانييل شروتر،تجار الصويرة،م.س،ص.179

1860[1]، ليضعها هذا الأخير تحت تصرف وكلائه اليهود بنفس المدينة، أمثال: ال أفرياط خدمة لمصالح أفراد أسرته[2]. حيث كان التجار اليهود بهذه المدينة يلعبون دورا محوريا في ازدهار التجارة بها وفي الربط بين الصويرة وأطار، وذلك منذ أن قرر السلطان سيدي محمد بن عبد الله إنشاءها سنة 1765م قصد مراقبة الجهات الجنوبية.

ولذلك حرصت الزعامات المحلية بدورها على الدخول في علاقات وطيدة مع كبار التجار اليهود بها، بصفتهم مستثمرين ووكلاء ووسطاء، وفي أغلب الأحيان منظمين للقوافل التجارية بها[3]، حيث كانوا هم المزودين لها بالسلع، وهم أرباب قوافل الجنوب، وهم مكترو وأصحاب الإبل. فضلا على قيامهم بأدوار أخرى، كاختيار الأدلاء، وأداء المكوس، والتفاوض بخصوص حماية القافلة التجارية، وذلك لحرصهم الكبير على الاستفادة قدر الإمكان من هذه التجارة العابرة للصحراء[4]. وذلك ما عبر عنه روبير مونطاني **Robert Montagnie** ***بقوله***:

"...اليهود من ضمن الأقليات في الجنوب التي حظيت بإمكانيات مكنتهم من السيطرة على جوانب من تجارة المنطقة إلى درجة إنهم يصفون بالمحتكرين للصحراء"[5].

---

[1]- عمر أفا، مسألة النقود...،نفسه،ص.100

[2]- دانييل شروتر،نفسه،ص.96

[3]- Meunie.D.Jaque, Le Maroc Saharien des Origines Au XVI Siècle A 1670, Librairie Klincksieck, Paris ,198 , p : 402.

[4]-De la Chappelle ," Esquisse d'un Histoire du Sahara Occidental "in, Hesperis Tamuda ,XI,Rabat ,1930, p:77 .

[5]- Robert Montagne, Les Berbères Et Le Makhzen Dans Le Sud du Maroc, Collection. Archives Casablanca Afrique orient, 1931,P.104.

وكـان التجـار اليهـود أيضـا يحرصـون علـى المشـاركة فـي كافـة المواسـم والأسواق التجارية بالمنطقة لتصريف بضـائعهم وتنمية مكتسباتهم، وعلـى رأسـها موسم إليغ[1]، وبخاصة للتمكن من أهم المواد التـي كـان يتحصـل عليهـا زعيم هذا المركز الحسين أوهاشم من أصحاب القوافل القادمة من إفريقيا السوداء جنوب الصحراء، كريش النعام والتبر والعلك وغيرها، والتـي يبيعهـا فـي الغالـب لليهود الذين يوجهونها إلى الصويرة أو تارودانت ومراكش أو إلى فاس[2].

أسرة عبيد الله أوسالم:

تؤكد جل المصادر والمراجع أن أسرة أهل عبيد الله السالم[3]، احتكرت تجارة المغرب مع الصحراء بسبب غنى هذه الأسرة التكنية[4]،ووزن عائلتهم التاريخي وأسلحتهم الباهضة الثمن[5]، وقدرتهم المادية على دفع السلفيات الضرورية لكل القوافل المتجهة إلى تيشيت والسودان، والحفاظ على أمنها ومالها، إذ تمتلك أزيد من 1200 بندقية[6]، فكان الانتماء لهذه القبيلة أو لاتحاديتها التكنية يعتبر حسب

---

[1]- دانييل شروتر،نفسه،ص.189.

[2]- محمد حنداين، المخزن وسوس 1672-1822 مساهمة في دراسة تاريخ علاقة الدولة بالجهة، منوغرافية سوس، دار أبي رقراق للطباعة والنشر،الرباط،الطبعة1،يوليوز 2005،ص.232.

3- حسب المختار السوسي (المعسول ،ج9،ص : 273) ،فهي أسرة تنتمي للشيخ مبارك بن عبد الله أُسالم بن عبد القادر بن الحسين بن محمد بن سعود بن عبد الرحمان بن يوسف بن عبد الله بن سليمان بن علي، من قبيلة ايت موسوعلي المنتمية لحلف قبائل تكنة لف ايت جمل، وكان أول شيخ في هذه العائلة هو عبد القادر بن الحسين الذي مهد لابنه سالم إمكانية الاتجار مع تنبكتو باقي بلاد السودان، بعدها سيتألق عبيد الله أوسالم داخل هذه العائلة وقد كانت أمه هي أخت فاطمة بنت بوكرن أم السلطان المولى عبدالرحمان، الذي كان وراء تحويل كلميم إلى سوق مفتوح في وجه تجارة الصحراء، اشتهرت هذه الأسرة فيما بعد باسم أهل بيروك نسبة لبيروك (امبارك) ابن عبيد الله أوسالم نظرا لدوره البارز في تاريخ هذه الأسرة. للتوسع أكثرحول تاريخ هذه العائلة الاقتصادي، ينظر: مصطفى ناعيمي، (مادة الشيخ بيروك)، معلمة المغرب،ج 6،مطابع سلا، 1992، صص : 1935- 1939.

[4] -Douls Camille , Voyages dans le Sahara Occidental, op.cit , p : 32.

[5]-F. De la Chappelle ,Les Tekna du Sud Ouest Marocaine ,Étude Géographique, Historique et Sociologique, B.A.F, Publication du Comité de l'Afrique Française, Paris, 1934, p:47 .

[6] -Alfrid LeChatellier,Tribus du Sud-ouest Marocain:Bassins Côtiers Entre Sous et Draa , Ed . Ernest-Leroux , Paris , 1891, p : 9.

الباحثةالأمريكيـة غـزلان ليـدن Ghislaine Lydon بمثابـة جـواز سـفر لعبـور إفريقيا1.

فقد تمكنت أسرة عبيد الله أوسـالمالمنتمية لقبيلـة ايـت موسـى أوعلـي التكنيـة2، من لعب دور محوري في هذه التجـارة أيضـا مـن خـلال تنظيمهـا لأسـواق ومواسـم تجارية هامة بمجالها بانتظام3، فبفضل هذه الأسرة، سـتحتل كلميم مكانـة تكاوسـت ثم أسرير فيما بعد4، كسوق منفتح غني بالسلع والبضـائع، وكمركـز تجمـع القوافـل التجارية الكبرى الآتية من الشمال والشرق المغربـي، وكمسـتقطب لتجـارة تنبوكتـو وتيشـيت وشـنقيط، ولممـوني تجـار الصـحراء وتجـار الصـوف الـذين يـأتون إليهـا لمقايضـة سلعهم بسلع أهل واد نون المتنوعة وغيرهامن السلع5.

1-Ghislaine Lydon ,On Trans-Saharan Trails: Islamic Law ,Trade Networks , and Cross – Cultural Exchange in Nineteenth–Century Western Africa,First Published, First Paperback,Cambridge University Press, Edition 2009, p : 181.

2- يرتبط نسب قبيلة ايتموسوعلي حسب ما ذكره أحمد بن محمد المقري التلمساني في مخطوطه حول المنتسبين لآل البيت بجدهم موسى ابن علي الذي يتصل نسبه بالدوحة النبوية، وتنتمي هذه القبيلة في الأصل إلى منطقة توات التي قدم منها أحد أجدادهم وهو المدعو يوسف بن عبد الله قاصدا واد نون في أوائل القرن الحادي عشر ودخلت ضمن اتحادية تكنة بل تعتبر من أقوى القبائل المحاربة داخلها، فاستقرت في كلميم منذ بداية القرن السابع عشر الميلادي، وهي من أهم مداشرهم بالإضافة إلى لبيار. وهي منا لقبائل المستقرة التي لاتهتم بالترحال وتربية الماشية، وذلك راجع إلى تعاطيها للنشاط التجاري منذ القدم أي منذ أن كانت في توات، ونظرا لغنى أفرادها وتحكمهم في التجارة بواد نون فقد ربطوا علاقات تجارية واسعة مع الأجانب، وتعد عائلة أهل بيروك من أشهر العائلات في هذه القبيلة. ينظر: أحمد ابن محمد المقري التلمساني، زهرة الأخبار في كنز الأسرار ومعدن الأنوار في البيت النبي المختار، مخطوط، الخزانة العامة، الرباط، الرقم 784. المختار السوسي ،المعسول ،الجزء 19، مطبعة النجاح، البيضاء،ص:274.

- Alfrid LeChatellier ,Tribus du Sud-Ouest Marocain,op.cit,p:50 .De La. Chapelle ,Les Tekna du Sud Ouest Marocaine ,op.cit, P:46 .

3- Mustapha Naimi ," Nomades – Sédentaires dans L'Évolution Historique de L' Ensemble Confédéral Tekna "in, Bulletin Économique Et Social du Maroc, Imprimerie Najah Eljdida ,Casblanca , 1986 , p : 141.

4- Meunié ,Le Maroc Saharien des Origines Au XVI Siècle A 1670, op.cit, P746:.

5 - Bonelli , El Sahara , op.cit , P :187.

إلا أن تجارة كلميم خلال القرن التاسع عشر ارتبطت بصفة خاصة بالشيخ بيروك ابن عبيد الله أوسالم وذريته من بعده، فكانت "دار بيروك" بكلميم لوحدها تعد مركزا تجاريا نشطا ونقطة تبادل ما بين الصحراء وسوس1، وذلك ما جعل بول مارتي Paul Martyيصفه بالعاهل المستقل لوادي نون2.

كما كانت هذه الأسرة تحمي عددا من التجار اليهود، حتى أصبحت تعرف باسم "يهود تكنة"3، مقابل استخلاص الضريبة من المواد والسلع التجارية الصحراوية التي كانت تمر عبر كلميم،أو تلك التي تنتج محليا4، خاصة وأن كلاهما كان ينشط في تجارة العبيد والذهب والعاج5.وذلك ما يؤكده التاجر الانجليزي دونالد ماكنزي الذي لاحظ أن "يهود كلميم، خلال القرن التاسع كانوا يمتهنون كلهم التجارة على نطاق واسع مع الصحراء والسودان والصويرة، ومن أشهر المنتوجات التي يتاجرون بها الصمغ، وريش النعام، والعبيد، والتبر"6.

فاشتدت المنافسة بين اليهود مثلا، على ريش النعام، وتمكنوا من احتكار تجارته، ، مما سبب في الرفع من قيمته، خاصة الصنف المفضل منه المسمى: زومار Zumar. ففي سنة 1879- 1880م مرت ثلاثة وثلاثون قنطارا فقط من الريش عبر الديوانة المغربية، وقدرت قيمتها بنحو 105750 دولارا7،وكان

---

[1] - محمد دحمان ،دينامية القبيلة الصحراوية في المغارب بين الترحال والإقامة– دراسة سوسيو-أنتروبولجية حول أولاد بالسباع، طبع : طوببريس، الرباط، الطبعةالأولى، 2012،ص: 169 .

[2]- Paul Marty, Les Tribus de la Haute Mauritanie,Publication du Comite De L'Afrique Française, Paris, 1915,P :65 .

[3]-Vincent. Monteil, Notes sur les Tekna, Edition Larose, Paris, 1948, P:7.

[4]- عبد الله لغمائيد،جماعات يهودسوس... م.س،صص.146- 147.

[5]-De la Chappelle ," Esquisse d'un Histoire du Sahara Occidental " , op.cit , p : 90.

[6]- D.Mackenzie, The Khalifate of the West, Op-cit, P.243.

[7]-عبد الهادي التازي، "الصحراء بين تقريرين لمبعوثين أمريكيين بالمغرب: باركلي وماثيوس"، ثقافةالصحراء: مقوماتها المغربية وخصوصياتها، ندوة لجنة القيم الروحية والفكرية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2002،صص : (49-58)،ص: 55.

ابرهام قرقوز، وحاييم، ودينار أوحنا، من أهم تجار هذه المادة وسماسرتها بالصويرة1.

وأمام الأزمة التجارية التي عانى منها مركز وادي نون إثر فتح المخزن لميناء الصويرة، وما ارتبط به من تحولات طارئة باستمرار، على معدلات الفائدة وأسعار الصرف2، وتحول القوافل التجارية نحو مراكش لقربها من هذا الميناء، رأى الشيخ بيروك أن الحل في إعادة الحيوية لمركز وادي نون، هو بإنشاء ميناء محلي تحت حماية إحدى القوى البحرية الأوربية3، لذلك سعى كثيرا وراء تحقيق هذه الغاية ولسنين متوالية4، من خلال دخوله في مفاوضات مع الأوروبيين بقصد فتح بعض المراكز التجارية على هذا الساحل5.

وهكذا حرص الشيخ بيروك على القيام بذلك من خلال وكلائه التجاريين اليهود الذين يستقرون بصفة دائمة بالصويرة6، أو العائلات اليهودية الوادنونية أمثال: قرقوز والمليح، وأفرياط، الذين كانوا يتولون تنظيم تجارته وعلاقاته7.ومن هؤلاء الوكلاء في كلميم نجد أفراد أسرة النفتالي أفرياط التي كانت لها أيضا صلات بالقصر بصفتهم تجارا للسلطان8. ففي سنة 1837م حل يوسف بن الحزان النفتالي بالصويرة وكيلا لبيروك للتفاوض على تسوية سرية مع الفرنسيين تسمح

---

[1] - رسالة من التاجر الانجليزي جورج بروم إلى الشيخ الحبيب بن بيروك سنة 1875.

[2]-Mustapha Naimi ,"La Politique Des Chefs de La Confédération Tekna Face à L'Expansionnisme Commercial Européen",Revue d'Histoire Maghrébine II ,N.35-36,1984 , p: 169-171 .

3 - مصطفى ناعيمي، (مادة الشيخ بيروك)،معلمة المغرب،الجزء 6 ،م.س،ص :1937 .

[4] - M , Le Glay ," Musulmans et Juifs Marocains"in, BCAF , Quarante-troisième année, N 11 , Novembre 1933 , p : 642.

[5]- عمر أفا، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر (1822 -1906 سوس)،م.س،ص.100

[6]- من أهم التجار اليهود بالصويرة أمثال: يوسف وعمران المالح .عمر أفا، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر،نفسه،ص.100

[7]- أحمد بومزكو، "وادنون من خلال وثائق دارإيليغ"، أعمال ندوة: الصحراء وسوس من خلال الوثائق والمخطوطات: التواصل والآفاق، جامعة الخامس- منشورات كلية الآداب -الرباط، مطبعة النجاح - الدارالبيضاء 2001،ص: 250.

[8]- دانييل شروتر، تجارالصويرة،م.س،ص.92

بقيام نشاط تجاري على ساحل واد نون[1]، وبوساطة منه وقع الشيخ بيروك سنة 1840م اتفاقية مع بعض التجار الفرنسيين2.

الأمر الذي أصبح يهدد مداخيل المخزن في تجارة الصويرة، وهو ما عبر عنه ليوبول باني.Panet L بقوله: إن تجارة نون هي التي صنعت أهمية الصويرة"[3]، وتلافيا لذلك قدم المخزن لأسرة آل بيروك نسبة من مداخيل صادرات الصويرة سنة 1847م[4]، كما منحه حق التصدير للخارج مقابل أداء ربع مقدار التعريفة الجاري بها العمل في المرسى. ومن باب الانتفاع من منح المخزن، أقدم الشيخ بيروك على منح وكلائه اليهود في نفس المدينة حق استغلال الدار التي منحها له المخزن بها، حيث يتولون فيها جمع الرسوم له، ومن بينهم أفراد من عائلة أفرياط[5].

ومن الأدوار الأخرى التي لعبها هؤلاء الوكلاء أيضا استخلاص الديون بأمر من آل بيروك من بقية التجار اليهود الآخرين، كما تبين ذلك هذه الوثيقة:

"من الصويرة جناب المقام الأفخم القائد دحمان بن بيروك باركه الله ببركات عرشه الجليل في واد نون (...) أعرض أنه بناءا على طلب سيادتكم عن يد التاجر المحبة روبين صورة لحكم (...) بإلزام اليهودي الذمي داوود بوغانم دفع ما بذمته لهذا الداعي (...) لتصير مراجعته ودفع الشك من حقانية وضبط الحكم المسار إليه على قوانين الحكم المصون. فها نحن نقدم لحضرتكم

---

[1]- نفسه،ص.93

[2]- Paul Marty, Les Tribus de la Haute Mauritanie, op.cit,P :14 .

[3] -Panet Léopold, Première Exploration du Sahara occidental, Relation d'un Voyage du Sénégal au Maroc, Le livre africain, Paris, 1986, P.142.

[4]- عمر أفا،نفسه،ص.100

[5]- دانييل شروتر،تجار الصويرة،م.س،ص.96

جواب أمركم ملفوقا بصورة الحكم (...) أفدنا ذلك بكل خضوع وطلب المسامحة عن تأخيرنا حيث الأعياد ومزاحمة الأشغال مدد ذلك...عام جمادا الثاني 1316 كاتبه إلياهو حتويل"[1].

واحتضنت أسرة بيروك مجموعة من المحميين اليهود بمدينة كلميم، بعد أن ساعد الشيخ بيروك آخر اليهود المستقرين ببقايا تكاوست على بناء ملاح تحت حماية قصبته التي شكلت نواة المدينة2، قدر عددهم جواكيم كاطيل Joachim Gatell بمائة فرد3، مما مكنهم من ممارسة نشاطهم التجاري، وبعض الحرف التقليدية بكل ارتياح داخل دكاكينهم بالملاح4، كالحدادة والصياغة والنجارة والبناء5، مقابل أداءهم لجزية سنوية لآل بيروك والتي تعد موردا آخر من موارد الأسرة، يضاف في نفس الإطار لمكاسبهم من عمليات فداء الأسرى الواقعين تحت أيديهم، والتي كثيرا ما كان اليهود يتدخلون باسم السلطان أو القوى الأوربية كوسيط لدى زعماء هذه الأسرة لتحريرهم6.

---

[1]- رسالة مؤرخة بتاريخ 25 جمادى 1316هـ من تاجر يهودي المدعو إلياهو حتويل إلى القائد دحمان بن بيروك بخبره فيها باستخلاصه لدين القائد من يهودي اخر يدعى داوود بوغانم.

[2] - عبد الله أولباز، "اليهود بالجنوب المغربي في العصرالقديم: أية شواهد"،م.س،ص :53

[3] - Joachim Gatell , L'Ouad- Noun et le Tekna à la Cote Occidental du Maroc , in B.S.G.P,Octobre 1869, p : 265-266.

4-Ghislaine Lydon ,On Trans-Saharan Trails, Op-cit, p : 183.

[5]- D.Mackenzie, The Khalifate of the West, Op-cit, pp 195-243.

[6]- أمثال الاسبان الذين وقعوا تحت أسر الشيخ الحبيب بن بيروك سنة 1878 ولم يتم إطلاق سراحهم إلا بعد أن دفعت فدية للشيخ دحمان قدرها 28.000 ريال. وكان أبراهام قرقوز من المتدخلين لدى زعماء هذه الأسرة لفك أسرهم بتفويض من القنصليات الأجنبية بالصويرة .خالد بن الصغير، بريطانيا وإشكالية الإصلاح في المغرب :1886-1904، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2003،ص:189.

الفصل الثالث: أشكال التعامل التجاري لليهود بوادي نون، من المحلي نحو العالمي

المبحث الأول : يهود واد نون والتجارة الصحراوية :

يعتبر تواجد اليهود منذ قرون في مناطق العبور من شمال افريقيا الى بلاد السودان الغربي (سوس ، درعة ، سجلماسة ، تومبكتو)، شجع التجار اليهود في القرن التاسع عشر في منطقة سوس ووادي نون على اختيار هذه الأخيرة كمحطة لترويج بضاعتهم عبر العالم. كما أن أغلبية المصادر التاريخية تشير الى أن يهود الجنوب المغربي لعبوا دورا في التبادل التجاري بين المغرب وبلاد السودان، فكانت سجلماسة قبل القضاء على طائفتها اليهودية من طرف الموحدين حاضرة للعلماء اليهود لها علاقات متواصلة مع المدارس التلموذية في مصر وفي شمال افريقيا واسبانيا.[1] كما كانت مدينة لأغنياء التجار ونذكر منهم على سبيل المثال "أبو زكري هاكوهن" الذي اختير في القرن الثاني عشر الميلادي وكيلا لتجار شمال افريقيا في القاهرة.[2]

اجمالا، يلاحظ أن الغالبية العظمى من اليهود تمركزت اما في الحواضر الكبرى ذات الأهمية الاقتصادية، أو في المراكز التجارية سواء منها الواقعة على مشارف طرق تجارة القوافل الصحراوية، اذن فما هي تجليات هذا الحضور وما هي أهم الأدوار التي لعبها يهود الجنوب عامة ووادي نون خاصة في عمليات التبادل التجاري بين وادي نون والحواضر التجارية الكبرى بالسودان الغربي

النشاط التجاري بين وادي نون وتومبكتو

[1] -H.Z.Hirschberg : Histoire des juifs d'Afrique du nord, vol 1, p 90.

[2] - S.D Goitein, A Mediterranean society, vol 1, Economoic foundations, University of California Press, 1987, p 192.

تنوعت الصادرات المغربية الى تومبكتو، فلم تكن مقتصرة على البضائع المحلية، بل تنوعت لتشمل مواد مستوردة من المشرق وأخرى من أوربا مثل الزجاج والمنسوجات الحريرية والكتب والأواني الخزفية والرخامية.

مكن الموقع الاستراتيجي لوادي نون، كمنطقة صلة بين تومبكتو والصويرة، التجار بوادي نون من توفير كل البضائع المفقودة بأسواق تومبكتو، وتتحدث الوثائق عن العديد من البضائع التي تحملها القوافل الوادنونية الى تومبكتو ومنها الأثواب السكر والشاي.

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله

محبنا وأعز ما لدينا السيد محمد العرابي بن سيد أحمد سلام عليكم ورحمة الله وبركاته بوجود سيدنا نصره الله أما بعد فمكن من خير والوصيف مبارك من حملين من السكر ولابد ويكون معها اثني عشر رطلا من الأتاي ولابد واعلم أني اشتريت جملا بسبعة عشر ريالا عندنا منها تسعة ريال والثانية الباقية منهم من أحمد بن سالم الزفاطي في يوم الأحد غدوة واجمع رأس مال الجميع وزد عليه ثلثه واكتبه علينا بارك الله فيك والأمانة التي ذكرت أنك تريد أن ترسلها للسيد بن محمد بن براهيم اكتب براوتها واكتبها بنفسها ومكنها من الوصيف مبارك وحيد الساكن معنا في الدار ونحن ذهبنا الى الأقصاب والتقينا مع ال الناجم وقالوا أنهم يريدون السفر يوم الاثنين الاتية وهذا ما يجب به الاعلام اليك وعلى العمر والمحبة والسلام من علي فال بن المقدم مبارك بن احماد أمنه الله بمنه. وجزاك الله عنا خيرا جزاك الله عنا خيرا.

يشير فليكس ماثيوس الى مواد أخرى تدخل ضمن المبادلات مثل الحديد على شكل قضبان حديدية كبيرة، والملح والبارود والقطن.[1] ومما يجب الاشارة اليه أن

1- Felix mathews, Rapport sur la parties des cotes d'Afrique de l'ouest englobant les territoires du Sus, Ait Baamran, Wadnoon et du Nord-ouest du sahara, 1882, Madrid, p515.

المقايضة كانت هي الطريقة الأساسية التي يتم بواسطتها التعامل التجاري بين المغاربة وأهالي تمبوكتو، خاصة في الفترة التي سبقت مجيء الاستعمار، بالإضافة الى الاستعمال المحدود للنقود واعتمد أهالي تمبوكتو كذلك في تعاملاتهم التجارية مع تجار وادي نون على مادة الودع[1].

ورغم الرواج التجاري الذي تمتعت به تومبكتو الا أنها عانت من المحيط العدائي الذي أسست فيه، فكانت دائما تحت رحمة القبائل التي تهاجم المركز نتيجة غياب أسوار تحمي المدينة، كما أشار لانز. وكذا غياب حامية عسكرية توفر الحماية للساكنة، وفي هذا الصدد يورد كايي: "تتأثر تجارة تومبكتو كثيرا بمجاورتها للطوارق، الذين يجعلون من سكان المدينة تابعين لهم، ويفرضون عليهم مجموعة من الاتاوات والضرائب، لأنهم كثيرو العددن وبامكانهم قطع الامداد ومحاصرة تومبكتو من كل الجهات خاصة جهة كبرا. وهو مادفع سكان تومبكتو لوصف الطوارق بالنصارى..."[2]، وهو نفس ما ذهب اليه لانز حين اعتبر أن سكان تومبكتو قد اعتادوا دفع الاتاوات لكل من الفولاني والطوارق حسب تزايد نفوذ كل منهما داخل المدينة.[3]

طغت المنتوجات المطلوبة بالسوق الأوربية على واردات وادنون من تومبكتو ، فالفرق بين سعر شرائها من أسواق تومبكتو وسعر بيعها بميناء الصويرة شكل مطمحا لكل تجار وادنون، ذلك أنه ربح له نصيب محترم من الإغراء، وهو ما تثبته الوثائق المعتمدة في هذه الدراسة، و الملاحظ عموما في هذه الدراسة، والملاحظ عموما في هذه الواردات هو استمرار المتاجرة في نفس البضائع تقريبا خلال القرنين التاسع عشر والعشرون، فمادة العلك مثلا وهي المعروفة بالصمغ

1- عبارة عن عقيق باهض الثمن، كان يستعمله أهالي افريقيا كزينة ،وكذا في تعاملاتهم التجارية.
2- Caillé René, voyage à Tombouctou et à travers l'Afrique: 1814-1828, Plon, 1932, p215.
3- Oscar Lenz, Toumbouctou :voyage au Maroc, au Sahara et au Soudan, tome 1, p 155.

العربي استمرت كإحدى السلع الرئيسية في واردات تومبكتو إلى كلميم، وإلى ذلك تشير إحدى الوثائق إلى كون أحد التجار وهو مولود بن محمد بن عبد الرحمان كان قد اشترى قنطارا ونصف من العلك من عند أحد أهم المستوردين وهو محمد بن الشيخ بيروك.

1- دور يهود وادي نون في النشاط التجاري بأسواق تيندوف:

كان لليهود دور كبير في تنشيط الحركة التجارية بتيندوف عبر تجارة القوافل، وقد تصاعد هذا النشاط خلال القرنين 19 و 20 م من خلال سيطرتهم على حركة الموانئ المغربية نتيجة انخراطهم للاستفادة من المخطط الأوروبي التوسعي الذي سعى للسيطرة على التجارة المغربية الداخلية بأسواق المغرب والخارجية والتي تتمثل في المبادلات التجارية مع مدينة تيندوف.

ولقد عرفت أسواق مدينة تيندوف وتجارتها تواجد العنصر اليهودي في التعاملات التجارية والاقتصادية من خلال المراسلات الاستطلاعية لأحوال التجارة، ووثائق استخبار أحوال السلع والبضائع، ومن خلال عقود الوكالات وعقود البيع بالدين، ولأن اليهود مغرمون بالكسب وتحقيق مزيد من الأرباح، فقد لعبوا دورا فعالا في العلاقات التجارية ما بين تيندوف والمغرب .وقد خالط يهود المغرب كبار تجار تيندوف واكتسبوا ثقتهم، ثم اشتهروا بترويج بعض البضائع الخاصة لهم سواء منها المستوردة أو القابلة للتصدير، وخاصة المواد الغذائية ولا سيما المستوردة منها من أوروبا عن طريق موانئ الصويرة وطرفاية ووادي درعة مثل السكر والشاي، وكذلك الأثواب من الكتان، و" الخنط"،والشمع والفضة ،أو المجلوبة من الصحراء والبلدان الإفريقية عن طريق تيندوف مثلا لذهب، وريش النعام، والعاج،

والعنبر،والعلك) ،أو المواد المحلية الصنع بالمغرب مثل الزيت ،شمع النحل، والحبوب،واللوز.[1]

وكانت لهم تجارة كبيرة بالقياس مع التجار المسلمين،إذ كانوا يمتلكون الإبل يكترون سواقها الذين يدعون" إرفاكن"، فكانوا يقومون بدور الوسيط سواء مع التجار الوافدين من المغرب نحو تيندوف أو مع تجار القوافل الواردين من الصحراء وبلدان افريقيا نحو أسواق المغرب عبر تيندوف .يوجد عدد لا بأس به من الوثائق المحلية التي عثرنا عليها تتحدث عن العلاقة التجارية بين تجار تيندوف وتجار يهود وادي نون و الصويرة نظرا لأن الصويرة كانت من أكبر الموانئ المعروفة بالنشاط التجاري المتفوق في المغرب حيث كانوا يوجهون سائر السلع الأجنبية المستوردة إلى أكادير ثم سوس وصولا إلى كلميم ومنها إلى تيندوف.

وقد عرفت العلاقة بين التجار اليهود وتجار تندوف قدرا عاليا من الاحترام والثقة المتبادلة، لدرجة أن نجد تاجرا يهوديا من الصويرة يوكل تاجرا آخر هناك بتندوف من أجل أن يحصل له بعض الأموال من تندوف وأزواد.

[1]- يمكن الرجوع الى اللائحة الكاملة لهذه المواد من سجل الديوانة بمرسى الصويرة رقم 120 بالخزانة الحسنية بالرباط

المبحث الثاني :دور اليهود في تنشيط المبادلات التجارية

استفاد اليهود من وضعيتهم داخل مجتمع وادي نون، بفضل حماية زعماء القبائل والقوانين العرفية، ليتحركوا بكل أريحية داخل المجال لممارسة أنشطتهم التجارية بعدما ظلوا لسنوات مرتبطين بدكاكينهم لممارسة الحرف مثل الحدادة والصياغة وغيرها، مستغلين تقاليدهم القديمة في هذا المجال التي ترجع لبداية استقرارهم في وادي نون. وتؤكد الباحثة منييه Meunié ما ذهبنا إليه حين كتبت:" اعتنى اليهود بالأنشطة الحرفية (الحدادة الصياغة وتجارة الذهب) منذ قدومهم من الشرق، بالإضافة إلى ممارسة حفر الآبار والخطارات إلى جانب السود. ويقر الحدادون البربر أن سر مهنتهم يعود إلى اليهودي دفيد"[1]. ومن الأنشطة الحرفية التي مارسها يهود وادي نون أيضا، النجارة وصناعة الأقفال وصناعة حقائب السفر (لغراير) وحبال الخيام والشباك المعدة لحمل المواد الفلاحية في العربات[2].

وتزخر أرشيفات الأسر التجارية في وادي نون بوثائق تبين حجم الأنشطة التجارية التي كان اليهود طرفا فيها، كما تؤكد المصادر التاريخية خاصة كتب الرحلات على ديناميكية التجار اليهود، إذ أشار ماكنزي: "أن يهود وادي نون وعلى نحو قريب كل أولئك الذين ينتسبون إلى المدينة، كما هو الحال بالنسبة للرجال المهمين بالمناطق الريفية، يمتهنون التجارة"[3]. وبتتبع هذه الأنشطة التجارية يمكن التمييز بين مرحلتين: مرحلة أولى مارس خلالها اليهود تجارة محلية، جالوا خلالها التجار بين القبائل والقصور لعرض سلعهم المنيفاكتورية،

[1] - Meunié, Le Maroc, Op.cit, P 60

[2].-Marty Paul, Les Tribus De La Haute Mauritanie, Dakar, 1914, P

[3]- الغمائد،يهود،مس،ص

وقد خبروا خلال هذه المرحلة المجال وضبطوا حاجيات القبائل، وتعرفوا على مواسم وأسواق المنطقة في وادي نون وسوس. أما المرحلة الثانية والأهم فهي ممارسة التجار اليهود دور وكلاء الدور التجارية الكبرى في سوس والصويرة.

ومن أشهر الوكلاء اليهود في الصويرة نذكر يعقوب بن المفتالي، الذي حظي بثقة كبار تجار وادي نون من أمثال محمد العرابي وأهل بيروك، الذين يبعثون له السلع المحلية والسودانية كالريش وبيض الأمهر والعلك، فيما يتكفل الوكيل بتسويقها في الصويرة[1]، ويبعث بدوره بسلع إلى وادي نون، وهي في أغلبها ذات مصدر أوربي كالسكر والشاي والخنط (الأثواب)[2]. وبالإضافة إلى التاجر يعقوب تفصح الوثائق التجارية في وادي نون، عن أسماء وكلاء آخرين مثل شمعون بن الحزان إبراهيم الصويري، مسعود بن سوسان، مردخاي بن سوسان، الذمي هارون، رفئيل لمليح، السخر لوكاشي، الذمي داوود بوغانيم، الياهو حنوبل، برهم شلوم[3]. وقد أكد باسكون بدوره في دراسته لأرشيف دار ايليغ على دور اليهود في تنشيط التجارة الصحراوية وفي تسويقها النهائي في الموانئ الاطلنتية[4].

1- اليهود والتجارة الصحراوية

استطاع اليهود بفضل ديناميكيتهم في أسواق ومواسم سوس ووادي نون، تحقيق مكاسب تجارية هامة، وقد طوروا أعمالهم بفضل علاقتهم بالدور التجارية الكبرى كدار بيروك ودار أهل العرابي. إلا أن هذه الانجازات لم ترض طموح

---

[1]- وثائق محمد سالم اللمطي: رسالة من التاجر يعقوب بن المفتالي إلى محمد العرابي مؤرخة ب 27 جمادى الاولى 1297/ 7 ماي 1880- وثائق الراجي العروصي: رسالة من يعقوب بن النفتالي إلى محمد العرابي ،مؤرخة ب 3 رجب 1298/ 1 يونيو 1881

[2]- وثائق محمد سالم اللمطي، رسالة من يعقوب بن المفتالي إلى محمد العرابي مؤرخة ب 27 جمادى الاولى 1297/ 3 ماي 1880. وثائق الراجي العروصي من يعقوببنالمفتاليإلىمحمدالعرابيمؤرخةب 14 جمادىالثانية 24/1297 ماي 1880

[3]- وثائقالراجيالعروصيمؤرخةب 16 جمادىالثانية 1325/ 27 يوليوز 1909

[4]- Pascon, La Maison, P 80

التجار اليهود في ظل عجزهم عن اختراق أهم الأسواق التجارية خلال القرن التاسع عشر، ونعني هنا أسواق السودان الغربي والصحراء. فقد كانت تنبكتو، أهم مركز التجارة الصحراوية، وإلى حدود 1804م، مدينة محرمة على اليهود[1] . وكانوا عرضة للنهب والقتل إذا ما تجرأ بعضهم على مرافقة القوافل لعبور الصحراء.

لم ينحصر دور التجار اليهود في تزويد السكان بمتطلباتهم من السلع، بل تعداه إلى إعطاء إشعاع اقتصادي لوادي نون من خلال انخراطهم في التجارة بعيدة المدى، وتوريد السلع وتصريفها في الأسواق والمواسم؛ إذ استعان بهم تجار المنطقة خاصة الشيخ بيروك وأحفاده، في تيسير وتسهيل العمليات التجارية من خلال دورهم كوسطاء تجاريين ووكلاء ضمن نظام التجارة القافلية التي ساهم هؤلاء في تطويرها بشكل فعال، وكانوا يمتلكون الإبل ويكترون سواقها من الملمين بدروب ومسالك الصحراء.

وكان للتجار المنتسبين لعائلات يهودية وادنونية، مثل قرقوز، والمليح[2]، وأفرياط التي تنتمي إليها أسرة النفتالي، العديد من الوكلاء والسماسرة المرتبطين بشكل مباشر بدار الشيخ بيروك المالية، وهو ما مثل عاملا مسهلا لمعاملاتها التجارية بمدينة الصويرة، كما أسهم هؤلاء في توطيد علاقات وادي نون التجارية مع الخارج.

---

[1] - Mathews, « Rapport sur la partie des côtes d'Afrique de l'ouest englobant les territoires de Sus Aitbamaran, Wadnoon et du nord-ouest du Sahara*» in Enjeux sahariens,* centre de recherches et d'études sur les socités mediterraneennes, Paris, 1984, P 112 .A.D.N cercle guelmim, Fiche tribus Ait moussa ou ali, DAI 410, P 129

[2]- تركت عائلة آل المليح بصمات واضحة في حياة اليهود بالصويرة. فقد عرفت هذه العائلة بتزعمها للطائفة اليهودية بالصويرة وتعدد أنشطتها ووظائفها، فقد قامت بتأدية وظائف دينية ساهمت في تنويع مصادر الدخل لديها، كما اشتهرت بعلاقاتها التجارية الواسعة مع بريطانيا،حيث استطاع عمران المليح التحكم في المبادلات التجارية بين المغرب وبريطانيا خلال أربعينيات القرن التاسع عشر.

وبحكم انتمائها إلى المنطقة تمتعت عائلة آل أفرياط بعلاقات واسعة مع تجار المنطقة خاصة آل بيروك، حيث تمكن أفرادها من التأقلم مع تجارة الصحراء شمال-جنوب، وتمرسوا في معاملاتها التقليدية، وعرف عنهم ارتباطهم الوثيق بكَليميم بوصفهم تجارا للشيخ بيروك، وعرف عنهم براعتهم في ملائمة التجارة الصحراوية مع نظيرتها الأوربية. وبعد انتقال هذه الأسرة إلى الصويرة في أعقاب ثورة بوحلايس، أصبح أفرادها وسطاء أساسيين للشيخ المذكور في تصريف تجارته بميناء الصويرة، وفي سنة 1837م حل جوزيف ابن الحزان النفتالي بهذه الأخيرة وكيلا عنه من أجل التفاوض على تسوية سرية مع الفرنسيين تسمح بقيام تجارة واسعة على ساحل وادي نون بعيدا عن أعين المخزن[1].

وعُرف أبراهام أفرياط المعروف بـ "لْحَزَّانْ بِيهِي" المولود بكَليميم سنة 1820م، ومسّان خْنَافُو المنتمي هو الآخر لنفس المدينة، كأكبر مروجي تجارة الشيخ بيروك من مادة العلك وريش النعام والصمغ التي كانت رائجة خلال العقود الأولى من القرن التاسع عشر[2]. وخلال سنة 1875م تمكن الشخصان المذكوران من توريد ريش النعام من تجار وادي نون إلى ميناء الصويرة بصفتهما محميين، حيث تم بيع هذه السلعة بثمن قدره 30.000 ريال دون أداء مكوس عنها. ولعل هذه الصفة هي التي خولت لبعض التجار اليهود حق المتاجرة في الأسلحة، وحدث سنة 1934م أن قتل أحد اليهود وأحرقت كل ممتلكاته، بسبب تجارته الواسعة في الأسلحة[3].

---

[1]- شراوتر،دانييل،م.س،ص. 93.

[2]- نفسه،ص. 70.

[3]- كارو باروخا، دراسات صحراوية، ترجمة أحمد صابر ورحال بوبريك، منشورات مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر،الطبعة الأولى 2015.،ص. 153.

لم يكن اشتغال اليهود كسماسرة ووكلاء حكرا على آل بيروك فقط، بل شمل كذلك بعض الأسر التجارية الأخرى بالمنطقة كأسرة سيدي عبد الواسع اللمطي. إذ بالعودة إلى الوثائق التي في حوزة هذه الأسرة نجد تعامل تجاري مكثف بين محمد بن عبد الواسع ويعقوب النفتالي الذي اشتغل وكيلا له بميناء الصويرة، ومخبرا بأحوال أسعار السلع هناك. وفي رسالة بتاريخ 1879م نجد يعقوب النفتالي يطلب من محمد بن عبد الواسع إخباره بثمن ريش النعام والذهب[1]؛ بينما يرد في رسالة أخرى مؤرخة في 1880م بينهما، إخبار يعقوب النفتالي لمحمد العرابي باكتساب النصارى لطيور النعام، كما يحذره من التعامل معهم[2].

ومن خلال مجموعة من الوثائق المحلية المتوفرة لدينا، نورد جدولا مفصلا عن أهم مضامينها، والسلع والمواد التي كان اليهود يتاجرون فيها.

رقم الوثيقة	تاريخ الوثيقة	المضمون	أسماء الأماكن	أسماء الأعلام	البضاعة والعملة
01	أواخر ربيع الثاني 1864/1281	عقد بين أبناء الشيخ مبارك ويهود ملاحهم، بموجبه سيعطي اليهود لأبناء الشيخ مبارك جزية سنوية مقابل استفادتهم من الملاح.	كلميم الملاح	الشيخ مبارك محمد بن الشيخ مبارك الحبيب بن الشيخ مبارك اليهود (يهود ملاح واد	الحديد الهند الريش الجلد الصوف العلك

[1]- رسالة من يعقوب النفتالي إلى محمد بنسيدي عبد الواسع بتاريخ 1879.
[2]- رسالة من يعقوب النفتالي إلى محمد العرابي بتاريخ 1880.

				نون)	
02	1881	رسالة من التاجر يعقوب النفتالي الذي ينحدر من أغنى الأسر اليهودية بالمنطقة الى التاجر أحمد بن محمد بن أحمد العربي بن عبد الواسع الوادنوني يطمئنه فيها عن الريش الذي تركه لديه كما يدعوه لأن يوصل اليه الريش بنفسه لأنه سيسافر.	الصويرة بر النصارى كلميم	التاجر يعقوب النفتالي محمد بن أحمد العربي بن عبد الواسع الوادنوني الشيخ دحمان	ريش النعام
03	1881	رسالة من التاجر يعقوب النفتالي الى التاجر الجلميمي اللمطي يطلب منه أن يرسل له الباقي من الحساب ويطمئنه على الريش الذي تركه عنده	الصويرة بر النصارى كلميم	الجلميمي اللمطي يعقوب النفتالي	35 الف ريال
04	1951	حكم صادر عن محكمة كلميم يقضي بفض النزاع القائم بين اليهودي مسعود بن موشي واحمد بن فاضل العريبي	كلميم	اليهودي مسعود بن موشي احمد بن فاضل العريبي	35 الف ريال
05	1899	رسالة من التاجر الياهو حتويل الى القائد دحمان	الصويرة	داوود بوغانم	بضاعة

		بن بيروك مرفوقة بحكم صدر في حق داوود ويطلب منه أن يرسل اليه بضاعة محجوزة من طرفه.	واد نون	الحزان مسعود الياهو حتويل روبين	
06	1899	رسالة من روبين المليح الى القائد دحمان ليتوسط له عند المسمى عبد الله ليستخرج له بضاعة استولى عليها هذا الأخير أو اللجوء الى المخزن.	الصويرة كلميم	دحمان عبد الله روبين المليح	الريش العلك الملح الريال
07	1950	حكم في قضية اليهودي مسعود بن موشي مع احميد بن محمد فاضل	كلميم	اليهودي مسعود بن موشي احميد بن محمد فاضل	
08	1948	عقد يشهد فيه احميد بن محمد فاضل العريبي انه اقترض مالا من مسعود بن موشي للتجارة على أن يقتسما الأرباح بينهما مناصفة	كلميم	احميد بن محمد فاضل العريبي مسعود بن موشي	
09	1846	عقد شراء نخلتين بين اليهودي اعيش بن مخلوف بن اسحاق والمسلم ابراهيم	افران	اعيش بن مخلوف بن	31 أوقية فضة سكة

		بن عبد الله الادزي السوقي الافراني		اسحاق ابراهيم بن عبد الله الادزي السوقي الافراني	المولى عبد الرحمن نخلتين

لقد تمكن يهود المنطقة من لعب دور ريادي في مختلف المعاملات والمبادلات التي استندت عليهاتجارة وادي نون، وذلك بفضل توظيف علاقاتهم الفردية واستغلال مهارتهم في تنمية الأموال وتوسيع شبكاتهم ووساطتهم[1]. حيث تمثل دورهم في مستويين: أحدهما الانخراط في التجارة البعيدة المدى وضمان تدفق المواد الاستوائية والمصنوعات الأوربية ومبادلتها بين الصويرة وجنوب الصحراء، والثاني في توريد السلع المستوردة من أوربا مثل: السكر والشاي والأثواب والنسيج والحبوب[2].من جانب آخر استفاد اليهود من الحماية والعناية التي كانوا يحظون بها من طرف القبائل والمخزن.

مارس اليهود التجارة في مختلف المواد منذ القرن السادس عشر، وعرف عنهم متاجرتهم في المواد الغذائية، ولاسيما المستوردة منها من أوربا مثل السكر والشاي وكذلك الأثواب من الكتّان و"الْخَنْطْ" والشمع والفضة، أو تلك المجلوبة من الصحراء والبلدان الإفريقية كالذهب وريش النعام والعاج والعنبر والعلك

[1]-لغمائيد، عبدالله،م. س،ص.72.

[2]- الزعفراني،حاييم،م. س،ص. 149.

(الصّمغ)، أو بعض المواد المحلية مثل الزيت وشمع النحل والحبوب واللوز. ولم تقتصر هيمنتهم على محور تجاري واحد، بل نشطوا في جميع المحاور سواء الأوربية أو الأفريقية أو المحلية، كما لعبوا دور الوسيط التجاري حيث كانوا يمتلكون الإبل ويكترون سواقها الذين يدعون (إِرْفَاكَنْ)، وكانوا يتوصلون بالسلع بواسطة سفن التجار الأوربيين التي ترد على موانئ ماسة وأكَادير قبل تأسيس الصويرة، وفيما بعد إلى ساحل طرفاية. وبذلك يقومون بدور الوسيط سواء مع الأجانب الوافدين إلى هذه الموانئ، أو مع تجار القوافل الواردين من الصحراء وبلدان إفريقيا الغربية.

ونتيجة لدورهم الكبير في تجارة آل بيروك استفاد آل أفرياط من دار منحها لهم الشيخ بيروك مكافأة لدورهم الكبير في تعزيز علاقاته التجارية مع الدول الأوربية بميناء الصويرة، ومن جملتها الاتفاقية التجارية التي وقعها الشيخ بيروك مع بعض الفرنسيين بالصويرة سنة 1840م بوساطة ممثله الرسمي هناك جوزيف المعروف[1]. وقد واصل الحبيب ولد بيروك تزويد تجار الصويرة بالريش ومنتجات أخرى خلال الفترة الممتدة ما بين 1865م و1875م، عبر وكيله أبراهيم قرقوز الذي اضطلع بعمليات تصدير هذه المادة إلى أوربا عبر ميناء الصويرة، كما اعتبر التاجران دينار أوحنا وحاييم من أكبر مستقدميها من تجار وادي نون بواسطة الجمال[2].

وكان مسعود النفتالي من أهم الوسطاء التجاريين لدار بيروك بمدينة الصويرة، وممثلا للعديد من الأسر التجارية بوادي نون، وعرف عنه احتكاره لتجارة المواد الغذائية المستوردة من أوربا التي كان جزء كبير منها يصرف بأسواق وادي نون.

---

[1]- Marty, Paul, Les Tribus de la Haute Mauritanie, Comité de L'Afrique Française, N° 5, 1915, p. 14.

[2]- لغمائيد، عبدالله، م. س، ص. 74.

وتذكر غزلان لايدن (Ghislaine Lydon) أن هذا التاجر اليهودي المنتمي لوادي نون قد باع هذه المواد بأكثر من 97 مثقالا لوكالات تجارية تابعة لقبيلة أولاد ابن السباع المقيمة بوادي نون بواسطة السلف[1].

اشتهر يهود وادي نون بهذا الأسلوب من معاملات البيع والشراء على نطاق واسع، إلى جانب استعمال المقايضة والقروض بالفائدة والقراض الذي يجمع بين عنصرين اثنين هما السلف والشراكة[2]. كما عرف عنهم الاعتماد على أسلوب الاحتكار باقتناء البضائع في أوقات العرض وتخزينها إلى فترات ارتفاع الطلب عليها. ويذكر أن شالوم الذي تزعم الطائفة اليهودية داخل ملاح كَليميم كان يتوفر على استثمارات تجارية هامة، وكان يعتبر الوكيل الحصري لمادة الملح بنفس المدينة، ومعروف ببيع هذه المادة بالسلف مقابل فائدة يحددها تبعا للمهلة الزمنية المتفق عليها، حيث نجده في سنة 1850م يمنح قرضا مقداره 100 مثقال من الذهب إلى أحد تجار وادي نون مع تمديد مهلة محددة للسداد مقابل فوائد متفق عليها، كما قام بتقديم قرض قدره 137 مثقال لتاجر وادنوني آخر يدعى عالي بن حماد[3].

هكذا اقتصرت في الغالب مساهمة اليهود في التجارة القافلية على إرسال القوافل وانتظار عودتها محملة بما يحتاجونه من سلع وبضائع غرب إفريقيا، وهو ما يشير إلى غياب التجار اليهود عن مرافقة القوافل التجارية المتجهة نحو جنوب

---

[1]- Lydon, G, op.cit, p. 185.

[2]- هو اتفاق بين مستثمر واحد أو مجموعة من المستثمرين يعهدون بقدر من رأس المال أو ببضائع إلى أحد الوكلاء القيّمين لتأمينه على المتاجرة بها، فيرد هذا القيم إلى الممول أو الممولين رأس المال الأصلي وحصة الأرباح المتفق عليها مسبقا. ومكافأة له عن عمله،يحصل الوكيل المذكور على الحصة المتبقية من الأرباح. وأي خسارة ناتجة عن صرورات السفر وإكراهاته أو عن إخفاق في تدبير المشروع التجاري إلا ويتكبدها المستثمر أوالمستثمرون فقط؛ ولا يتحمل الوكيل القيّم، بأي حال من الأحوال،المسؤولية عن وقوع خسارة من هذاالنوع، ولا يضيع من هو الحالة هذه إلا ما أنفقه من وقته وجهده فقط. أنظر: بوم،عمر،م. س،ص. 95.

[3]- Lydon, G, op.cit, p. 185.

الصحراء، وقد حاولت الباحثة الأمريكية غزلان لايدن (G. Lydon) تبرير ذلك بالتمييز الذي كان يمارس على اليهود في تلك الأسواق القصية. لكن هذا الأمر يمكن اعتباره نسبيا، خاصة عندما نستحضر بعض الحالات التي كان فيها التجار اليهود المنتمون لوادي نون يسيرون القوافل ويرافقونها في تنقلها بين أسواق غرب إفريقيا حاملين بضائعهم وسلعهم لترويجها هناك، ولا سيما خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فقد أثبتت بعض التقارير التي اعتمدتها نفس الباحثة أن أحد اليهود الذي يدعى "بيدجوخ" سافر مع بعض التجار من تكنة وأولاد أبي السباع في قافلة تجارية بمناسبة تصدير أول شحنة كبيرة من الشاي الأخضر إلى موريتانيا الحالية، كما أكدت أن أحد يهود كَليميم يدعى يهودا قد رافق باني (Panet) أثناء رحلته جنوبا نحو أدرار بموريتانيا الحالية[1]. الأمر الذي يثبت خبرة هؤلاء بطرق ومسالك الصحراء، ومعرفتهم بأسواق ومحطات القوافل التجارية. وفي سنة 1860م، أصبح المدعو "أبي سرور مردخاي"[2] أول من تم تسجيل وصوله من التجار اليهود إلى تينبكتو منذ إصدار المغيلي لفتواه[3]، بل حقق أكثر من ذلك حين حالفه النجاح في وضع لبنات استقرار أول طائف يهودية في المدينة المذكورة على الرغم من الرفض الذي أبداه التجار المسلمين والعلماء. وقد سبق لأبي سرور أن أكد في تقرير له موجه إلى بوميي (Beaumier) القنصل الفرنسي

---

[1]- Ibid, p. 184.

[2]- هو حاخام ومستكشف وتاجر يهودي ولد سنة 1826 بمدشر تاكديرت بمنطقة أقا جنوب- شرق المغرب. اشتغل كمراسل للجمعية الجغرافية الفرنسية بباريس وكدليل لشارل دو فوكو في رحلته الاستكشافية بالمغرب، عمل أبي سرور على إقامة اللبنات الأولى لإقامة أول جالية يهودية بتومبكتو، حيث يحسب له نقل العديد من اليهود من منطقة آقا إليها، وانتهى به الأمر كحبر في أحد البيع بالجزائر.

[3]- هي الفتوى التي أصدرها محمد بن عبد الكريم المغيلي التي إدعى فيها أن اليهود أقدموا على إرشاء النخبة المسلمة ذات النفوذ بدلا من دفع الجزية، وهو ما يلغي حقهم الشرعي في الحماية التي كانوا يتمتعون بها في إطار وضع الخنوع والتبعية للمسلمين. وبإشهار المغيلي لفتوا ه ضد يهود توات والطوائف الصحراوية الأخرى، عرقل هذا الفقيه حركية اليهود وقوض فعاليتها المعهودة عبرعبور الصحراء على امتداد قرون. أنظر: بوم،عمر،م. س،ص. 47-48.

في الصويرة، أنه لم يغامر أي يهودي بالسفر جنوب الحد الشمالي للمجال الخاص بالتجارة العابرة للصحراء منذ صدور فتوى المغيلي[1].

ويرى بعض الباحثين أن اللحظة التي ستؤثر على اليهود والتجارة الصحراوية هي تلك التي تلت حملة "التحريض" التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي(ت 909ه/1503م)، مما نتج عنه بعض المضايقات والمطاردات امتدت إلى تمبكتو. وقد ذكر الوزان أن صاحب تمبكتو عدو لدود لليهود. لا يريد أن يقطن أحد منهم فيها. وإذا علم أن تاجرا خالطهم صادر أمواله. وقد انخرطت بعض القبائل في حملة معاداة اليهود، ومن بينها قبيلة كنتة الذين عادوا يهود وادان[2].

وهنا وجبت الإشارة إلى أن هذه الأحداث التاريخية لا تنم عن معاداة عرقية بقدر ما تعني رغبة في إقصاء منافسين محتملين على موارد التجارة الصحراوية. وذلك ما يؤكده القنصل الأمريكي في الصويرة في تقريره عن التجارة الصحراوية، إذ أرجع سبب تحريم تمبكتو على اليهود إلى رفض المغاربة المسلمون اقتسام أرباح التجارة مع منافسين آخرين[3]، سواء كانوا يهودا أو نصارى. فقد تعرض النصارى بدورهم للإبعاد من مراكز السودان الغربي، بفضل اللوبي التجاري المغربي، الذي فرض على حكام هذه المراكز عدم السماح للأجانب النصارى بالمكوث داخل المدينة خشية منافستهم في التجارة. وذلك ما حدث للرحالة الألماني هنري بارث الذي طرد من تبمكتو بعدما حرض التجار

---

[1]- بوم،عمر،م. س،ص. 48.

[2]- أحمدمولودولدأيدهلال،*مدنموريتانياالعتيقة*،منشوراتمركزالدراساتالصحراوية،ط 1، 2014 دارأبيرقراق،الرباط،ص 219-218.

[3]- Mathews, Rapport, Op.cit, P 129

المغاربة بالمدينة الكاهية والبكاي على ذلك[1]. ولنفس الأسباب اضطر أغلب الرحالة الذي رغبوا في استكشاف الصحراء إلى تغيير أسمائهم وملتهم لتجنب الإبعاد وحتى القتل، كما كان مصير الرحالة الكسندر لينغ سنة 1826[2]م والطبيب البريطاني دفيدسن سنة 1835م[3]. فقد أطلق كايي الذي زار المنطقة سنة 1828م على نفسه اسم عبد الله، وادعى بارث أن اسمه عبد الكريم حين زار تمبكتو سنة 1850م[4].

ورغم الصعوبات الأمنية التي عانى منها التجار اليهود، تجرأ بعضهم على خوض غمار التجارة الصحراوية. وكان من ابرز هؤلاء الربي مردخاي أبي السرور. الذي قام برحلة تجارية من مسقط رأسه بأقا إلى مدينة تمبكتو، سالكا الطريق الشرقي الرابط بين درعة والسودان الغربي مرورا بتندوف وأروان. وقد تكونت القافلة التي رافقها مردخاي ما بين 500 و 900 جمل. واستغرقت شهران للوصول إلى تمبكتو[5]. إلا أن التاجر اليهودي كان عليه حفظ حياته بعدما حاول شيخ البرابيش محمد الحبيب قتله هو وأخوه إسحاق، مما اضطر مردخاي إلى دفع نصف بضاعته لتجنب القتل أو اعتناق الإسلام كأحد الخيارين المطروحين أمامه[6]. وبعد أن وصل إلى تمبكتو، كان على أبي السرور مواجهة تحدي آخر تمثل في التجار المغاربة المسلمون في المدينة، ومن أبرزهم

1 - Heinrich Barth, Voyage et découverte dans l'Afrique septentrionale et centrale, P 49-50

2 - Oliel Jacob , De Jérusalem à Tombouctou, L'Odyssée saharienne de Rabbin Mardochée 1826-1886, Edition olibia, Paris, 1998 , P 34-35

3- خالدبنالصغير،بريطانيا،مس،ص

4 - Oliel, De Jérusalem,Op.cit, P 38

5 - Ibid, P 26

6 - Ibid , P 34-35

الطالب محمد بن التلموذي الذي رفض وجود مردخاي بالمدينة ورفض الدخول في أي تعامل معه[1].

2- اليهود والوكالات التجارية الأجنبية :

محاولة منها لتجاوز دور الوسيط الذي كانت تلعبه قباءل وادي نون، وأيضا بهدف استغلال الموقع الاستراتيجي للمنطقة القريبة من منابع التجارة الصحراوية، قامت الدول الأوربية بمحاولات حثيثة لاقامة علاقات تجارية مع ساكنة وادي نون، وكان طبيعيا أن يتركز اهتمامها بالأساس على التجار والسماسرة والوكلاء اليهود لاختيار النقط الساحلية التي تمكنهم من انشاء وكالات تجارية.

وبالعودة الى المصادر التاريخية، نجد أن الاسبان هم أول من ارتبط بسكان وادي نون، عبر علاقات تجارية قديمة تعود الى ما قبل القرن الخامس عشر. فقد تمكنوا من انشاء أول ميناء بالمنطقة وهو المعروف بسانتا كروز دي ماربيكينيا وذلك حوالي 1476. وقد استمرت العلاقة التجارية بين أهالي وادي نون والاسبان لمدة تزيد عن نصف قرن، لتنحسر هذه العلاقة سريعا بعدما قام السكان بتخريب الميناء سنة 1524. غير أن موقع وادي نون التجاري وجودة المواد الأولية المتوفرة بالمنطقة جعلت الاسبان يحاولون اعادة احياء هذه العلاقة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر اقتداء بالفرنسيين والانجليز الذي أصبحوا على علاقات حسنة مع الساكنة المحلية.

كان الانجليز مصممين على انشاء وكالات تجارية بالمنطقة ولذا حاولوا أولا دراسة الساحل لتحديد أفضل المواقع لهذا الغرض، ولهذا نزل الرحالة الانجليزي دافيدسون بمصب وادي أساكا سنة 1835 ضيفا على أحد أعيان المنطقة وهو

[1] - Ibid, P 39-40

الشيخ بيروك، حيث استطاع الاثنان تحديد المكان المناسب لاقامة وكالة تجارية وهي نقطة غير بعيدة عن مصب واد أساكا، أي واد نون وتعرف باسم "ديك" Dyk.[1] لم يتوقف دافيدسون عند هذا الحد بل تابع رحلته نحو مصادر التجارة الافريقية في اتجاه تومبكتو، الا أن مسيرته توقفت باغتياله سنة 1836. لم يثن هذا الحادث الانجليز عن اتمام المهمة، ليبعثوا مستكشفا آخر وهو دونالد ماكينزي ليقوم بعمل ما عجز عنه سالفه. وصل المنطقة سنة 1876 كله شغف بإنشاء وكالة تجارية وكذا ضبط المسالك الرابطة بين وادي نون وتومبكتو. استثمر دونالد علاقاته فاستطاع في وقت وجيز وبتنسيق مسبق مع الزعامات المحلية بالمنطقة ممثلة في الشيخ بيروك من تحديد موقع ملاءم لوكالته بين رأس بوجدور ووادي نون. وذلك من أجل وضع اليد على شريان التجارة الصحراوية وكذلك تقليص كلفة التجارة بميناء الصويرة.

اعتمدت هذه الدول الأوربية بشكل كبير على العنصر اليهودي كصلة وصل بينها وبين ساكنة المنطقة لإتقانهم اللهجة المحلية ودرايتهم الكبيرة بالمجال، فقد كانوا يشترون المواد المحلية بأثمان بخسة ويبيعونها بالمقابل للأوربيين مع هامش ربح كبير. وفي هذا السياق نورد رسالة من تاجر بالصويرة الى القايد دحمان يخبره فيها عن وضع ثمن الريش والعلك في البلدان الأوربية.

الحمد لله وحده

صاحبنا الشيخ دحمان الوادنوني السلام عليك وحمة الله وبركاته وبعد وصلني كتابك من عند الذمي هارون من عندك من البلاد وذكر لنا فيه بأنك أردت أن تعمل معنا في البيع والشراء ....في بر النصارى وتأتيك ثمنه سلعة على يد

[1] - Marty, Paul, les Tribus de la Haute Mauritanie, Comité de L'Afrique Française, N° 5, p 139.

وقبل تبع معنا وتشتري في الصويرة ونحبك تكتب الي وتظهر لنا ما في خاطرك لنكون على بصيرة بما نجاوبك به ونعلمك على الريش اليوم سوقه بارد في بلاد النصارى والبيع فيه قليل وأما العلك مطلوب الملح يسوي حتي لعشرين اريال في بلاد النصارى والسلام في 22 جمادى الأولى عام 1264.

عن اذن التاجر النجليز

3- الشبكات التجارية والنموذج التجاري اليهودي

استثمر اليهود وضعهم داخل المجتمع الذي عاشوا بين ظهرانيه، إذ لم يكونوا متجذرين به، ولا تربطهم أية علاقة قرابية أو أية انتماءات قبلية و لا يشكلون أي تهديد سياسي. وعلى نحو لا يخلو من التناقض، فإن خاصية التهميش هذه التي تميز بها اليهود ضمانة للحياد الذي كان من مصلحة جميع الاطراف المعنية أن تحافظ عليه في الظروف العادية. ، كان الباعة المتجولون اليهود هامشيين ومحايدين في الوقت نفسه. وفي الوقت الذي لا يمكن فيه تصور حدوث أي تعامل بين رجل مسلم وامرأة غريبة في وسطه الأسري، فإن اليهودي بحكم وضعيته الدونية يستطيع الدخول إلى دار إحدى النساء المسلمات لأغراض تجارية[1]. فكون اليهود بادئ الأمر، مجموعات مهنية مكونة من باعة متجولين، ربطت الصلة بين المدن وبواديها في جهات كثيرة من بلدان شمال إفريقيا. وساعدهم في ذلك توفرهم على مؤهلات خاصة منها على سبيل المثال الإلمام بأساليب التبادل التجاري وتقنياته، وتمرسهم بالمفاوضات وطرق البيع والشراء والخدمات المرتبطة بها، والتوظيف الأمثل للمال - مهما ضؤل قدره- من أجل

[1]- شروتر،تجار،مس،ص 167

الربح بكفاءة عالية، والتعامل بطرق لا يستطيع المسلمون التعامل بها كالقروض الربوية والرهن[1].

كانت هذه الفئة –أي التجار اليهود الجوالون- تقوم بعرض بضائعها على ظهور الدواب، بل حتى سيرا على الأقدام، في تنقل دؤوب بين القرى و المداشر المتناثرة بوادي نون، وحسب الرواية الشفهية فان أغلب هذه السلع لا يخرج عن أدوات الزينة للنساء والحلي والعطور والمرايا والأثواب. ولم يكن هؤلاء التجار الجوالون يبالون بالأخطار المحدقة بهم في الطرقات والمسالك وذلك مرده الى نوع الحماية التي توفرها قبائل المنطقة وخاصة قبيلة آيت موسى أوعلي.

كانت لهؤلاء الجوالين طقوس وتقاليد متميزة في التعامل مع الساكنة النائية، فكانوا يحصلون ثمن سلعهم اما نقدا واما عينا، أو يقايضونها ببضائع أخرى. وكان التاجر الجوال عادة ما يقرض زبناءه بضاعة على أساس أن يؤدوا ثمنها أقساطا مع فوائد. وقد استطاع هؤلاء الجوالون من اقامة علاقات عميقة وودية مع سائر القبائل التي يترددون عليها، وفي هذا الصدد يورد محمد كنبيب: "فامتاز صغار المتجولين بعدم ترددهم أمام المصاعب الطبيعية أو غيرها، لزيارة المداشر والأسواق القروية القريبة منها والنائية محملين بغالهم ببضائع متنوعة، وبما حصلوا عليه من صوف ومنتوجات فلاحية، وفي حال تعذر على أحدهم الرجوع قبل يوم الجمعة بسبب بعد المسافة أو الأمطار أو متطلبات البيع والشراء، كان ينزل ضيفا على صديق مسلم ولا يستأنف نشاطه ودورانه الا صبيحة يوم الأحد"[2]

---

[1]- المنصوريعثمان،التجارةفيالمغربخلالالقرنالسادسعشر،منشوراتكليةالآدابالرباط،سلسلةرسائلوأطروحاترقم 50،ط 1، 2001،ص 385

[2]- كنبيب محمد،مذكرات من التراث المغاربي،م.س،ص 121.

ومع توالي السنوات تطورت أنشطة التجار اليهود ليشكلوا خلال القرن التاسع عشر فئة من التجار تتميز بالحيوية وتنشط في المراكز التجارية الشمالية إلى حدود وادي نون[1]. واستطاعوا تجاوز كل المصاعب الداخلية سواء الإجراءات والمجاعات وأمن الطرق والحفاظ على مشاريعهم .

ويقدم يهود وادي نون نموذجا معبرا لما أشرنا إليه. إذ استطاعت اسر تنحدر من إفران التحول من مجرد تجار محليين ووكلاء تجاريين لأهل بيروك وأهل العرابي، والوصول إلى الصويرة والتأسيس لمشاريعهم التجارية الخاصة. ومن أهم هذه الأسر، آل أفرياط، التي وإن كنا نجهل الظروف والملابسات التي وقع فيها انتقالهم من إفران إلى الصويرة، إلا أن معرفة مراحل تطور وضعية الأسرة متاحة من خلال استقراء الأرشيف الوثائقي المحفوظ لدى الأسر التجارية بوادي نون وأرشيفات الوثائق المخزنية. ويذكر شروتر أن النفتالي ابن الحزان يهودة قد انتقل من گليميم أثناء تمرد بوحلايس أو في السنوات التي لحقته، وربما صادف ذلك الازدهار المتزايد لأحوال أسرة أهل بيروك في وادي نون، ذلك الازدهار الذي ارتبط بتطور المبادلات التجارية مع أوربا انطلاقا من مرسى الصويرة. وقد أصبح أفراد أسرة النفتالي افرياط التجار الأساسيين عند الشيخ بيروك في گليميم. وفي سنة 1837م حل يوسف ابن النفتالي بالصويرة وكيلا لبيروك للتفاوض على تسوية سرية مع الفرنسيين تسمح بقيام نشاط تجاري على ساحل وادي نون[2]. في حين يرى ابتبول Abitbol أن أول من قدم من أسرة آل افرياط إلى الصويرة هو جوزيف سنة 1837م قادما من گليميم، ليقوم بأعمال تجارية لصالح الشيخ بيروك، لأنه كان محل ثقة الشيخ، وعلى علاقة حسنة بممثلي القنصلية الفرنسية. وقد التحق

[1]- Miège (J.L), *Le Marocet l'Europe*, Edition la porte, Rabat, 1996, TIII, Op.cit, P 143

[2]- شروتر،تجار،مس،ص 93

به سنوات بعد ذلك، أخويه ابرهام وجكوب[1].ولم تكن اسرة آل افرياط الوحيدة التي انتقلت من افران نحو الشمال بل حذا حذوها اسر اخرى وهي: قدوش وسوسان وبوگنين وتيدگي وسباغ وسراق والگباص وإمار والصراف وكوهن وابيتبول والزعفراني والربيب وأبقشيش وايهيون وأحنافو والريبوه ولحرار وكيدوسيم وإفرگان[2].

وقد لعبت الأسر التجارية اليهودية في بداية استقرارها في الصويرة وغيرها من مدن الشمال، دور الوكلاء التجاريين لكبار تجار وادي نون، مستغلين ثقة هؤلاء ومستثمرين أموالهم. فقد قطن أفرياط في أحد الدور التي منحها السلطان لبيروك في الصويرة، وظل يعمل لصالحه، وكذلك فعل أخويه أبراهام وجاكوب[3]، يسوقون السلع التي يبعث بها شيخ وادي نون، ويشترون السلع الأوربية ويرسلوونها إلى الدار في وادي نون. إلا أن هذه العلاقة لم تدم طويلا إذ تحول آل أفرياط وغيرهم من التجار اليهود كآل قرقوز إلى تجار السلطان، بعد أن طوروا أنشطتهم التجارية بفضل الشبكات الممتدة من الصويرة وعلى طول المحاور التجارية إل حدود الصحراء.

ولم يكن تحول آل أفرياط من مجرد تجار للشيخ بيروك في گليميم إلى تجار معروفين في الصويرة ومرسيليا ولندن وليدة الصدفة، بل بني على أسس تجارية دقيقة، وعلى تراكم سنوات من الخبرة في أسواق ومواسم المنطقة. والأهم من ذلك على شبكة تجارية قائمة على معطى القرابة التي تجمع بين الأسرة، وهم هارون

[1] - Abitbol, *Les commerçants du Roi*, Maisonneuve et Larose, Paris, 1998, P9
[2]- Monteil, Les Juifs, Op.cit, P 154
[3] - Ibid.

أفرياط وأخواه محلوف وسلام وكيلا المؤسسة الرئيسيان ومهمتهما توزيع السلع الأوربية وتصريفها في المغرب مقابل الحصول على منتجات مغربية محلية[1].

تدخل هذه الشبكة التجارية لآل أفرياط في إطار ما اصطلح عليه بالشتات التجاري Trading Diaspora وهو مصطلح صاغه ابنير كوهن Abner Cohen وكان هذا النظام من أهم أسباب تطور أنشطة التجار اليهود، وتمكنهم من تجاوز صعوبات التجارة البعيدة، خاصة مسألة التواصل بين أفراد الشبكة. وقد وصف ابيتبول هذه الشبكة حين كتب:" نادرا ما يشتغلون بشكل فردي، يكون التجار اليهود شبكة حقيقية تمتد على طول البلاد، من الصحراء إلى حوض الأبيض المتوسط، ومن طنجة إلى مرسيليا ولندن عبر جبل طارق والجزائر ووهران. في كل مرحلة تجد مراسل، وكيل أو شريك يمكن الاعتماد عليه، لأنه أخ أو ابن عم زعيم الشبكة التي يقع مقرها في الصويرة أو مراكش أو طنجة"[2].

وقد اختص التجار اليهود في نوع معين من السلع الرئيسية، واستقروا في أهم المراكز التجارية لهذه الغاية، كلفورن بالنسبة لريش النعام، ومرسيليا بالنسبة للعلك، وجبل طارق للشاي ولفربول من أجل تجارة النسيج المصدر إلى السودان، وفي لندن من أجل تجارة العاج[3]. لهذا أصبحنا نتحدث خلال القرن التاسع عشر عن سلع محتكرة من طرف التجار اليهود، وكان ما يسمى "أتاي أفرياط" من أصناف الشاي ذائعة الصيت. ونالت أصناف كتان "الانديكو" أي الأزرق، والتي تصنع في مانشستر، وتجلبها مؤسسة أفرياط، شهرة واسعة في جنوب المغرب وصحرائه. وفي لندن كان العنوان البرقي لهارون افرياط وشركاؤه هو "أورال"

---

[1]- شروتر،تجار،مس،ص 96

[2]- Abitbol, Les commerçants, Op.cit, P 9

[3] - Miège j.l, Le commerce transsaharien au 19 siècle, revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, 1981, V 32, P 96

وهو نوع من الصمغ، دلالة على أن ثروتهم تكونت بفضل تجارة الصمغ العربي[1] .

وهكذا، فقد تمكن التجار اليهود بفضل خبرتهم التجارية الطويلة في سوس ووادي نون من التحول من وكلاء للدور التجارية الكبرى في الجنوب كأهل بيروك وهل عبد الواسع والحسين أهاشم. وتكوين شبكات تجارية ممتدة على أهم مفاتيح التجارة الصحراوية، واحتكار جزء هام منها حتى اصطبغ الاقتصاد المغربي، كما يرى ميج، بالنظام التجاري اليهودي، بل تجاوزه إلى كل بلدان حوض الأبيض المتوسط[2].

4- تجار السلطان

ركز المؤرخون الذين كتبوا عن تجار السلطان في القرن التاسع عشر الميلادي، على اعتبار اليهود من عوامل الانتقال والتحول، اذ جعلتهم علاقتهم بالتجارة الأجنبية في موقع الوسيط فعلا، فأصبحوا قادرين على المساهمة في التحفيز على تغيير بنيات المغرب الاقتصادية.[3]

كان تجار السلطان يشكلون مجموعة متحدة يستلزم الالتحاق بصفوفها نيل حظوة السلطان والحصول على موافقة رسمية منه، وتعزز روابط اعتماد السلطان على التاجر والتاجر على السلطان بعلاقات مالية من نوع خاص، يحصل التاجر على سلفات مالية من القصر دون فوائد مقابل أن يدفع ديونه للسلطان بأداء أقساط شهرية، ويتوقع المخزن من تشجيعه للتجار على تحقيق مشاريعهم وعملياتهم

---

[1]- دانييل شروتر،تجارالصويرة،مس، 99-100

[2]- Miège, Le commerce, Op.cit, P 98

[3]- دانييل شروتر،تجارالصويرة،مس،ص 52.

التجارية أن يحصل على عائدات مالية مهمة مصدرها الواجبات الجمركية التي يؤديها التاجر لأمناء المخزن في المراسي.[1]

التجار	ديوان (1841)	التجار	ديوان (1865)
أفلالو	96.600	حاييم بن بخاش	1.400
شهول كوهين	37.200	اسحاق أفرياط	8.400
عمران المليح	163.300	موسر أفلالو	34.300
بوطبول	19.000	شهول كوهين	11.900
ابراهام قرقوز	19.00		

ديون سلطانية في ذمم التجار اليهود بالريال[2]

السنوات	اليهود	المسلمون	المسيحيون	المجموع
1841	14	2	3	19
1866-1865	19	14	2	35
1884-1881	31	16	4	51

يتبين من خلال الجدولين أن غالبية تجار السلطان هم يهود كما يتضح أيضا أن السلطان يخضع التجار لتبعيته ويجعلهم تحت مراقبته عن طريق علاقات الدين والسلف القاءمة بينهما. لقد كان هناك 13 تاجرا يهوديا متخصصين في التصدير والاستيراد الذين أدوا أكبر قدر من الرسوم الجمركية في سنوات 1862-1864،

[1]- دانييل شروتر،تجار الصويرة،مس،ص 52
[2]- دانييل شروتر،تجار الصويرة،مس،ص 58

كما كان هناك العديد منهم يدين بمبالغ كبيرة لشخص السلطان أمثال قرقوز ويوسف بن عمران المليح، وذلك في الصويرة وحدها.

وصلت حظوة التجار اليهود لدى المخزن أن تجديد اقرار التجار في وضعيتهم تجارا للسلطان لا يتحقق عند اعلان البيعة لسلطان جديد فحسب، بل يمكن أن يرثه أبناء التاجر السلطاني أيضا[1]. وهكذا تمكن تجار السلطان من توسيع نفوذهم وتنمية ثرواتهم فتحكموا في معظم أجهزة ودواليب المخزن وبذلك حافظوا على امتيازاتهم ومصالحهم الاقتصادية.

كانت مرحلة "تجار السلطان" من أهم المراحل التي تحتم على التجار اليهود اجتيازها في طريقهم نحو الوصول إلى التجارة العالمية، إلا أن هذه المرحلة كانت شديدة الحساسية وبالغة الخطورة من شأنها تقويض المشروع التجاري اليهودي برمته. فالجمع بين عدة مستويات ومنها دور الكبمرادورات من جهة أولى وتجار السلطان من جهة ثانية، وكذا دور الوكلاء التجاريين للشركات الملاحية الأجنبية، وممونو القوافل التجارية العابرة للصحراء، لم يكن يسيرا، بل يبدو التوفيق بينها مستحيلا أي بين عالم التجارة الرأسمالية الأوربية وعالم التجارة السلطانية الاحتكارية، وبين وسيلة النقل التقليدية المتمثلة في الجمل والمراكب البخاري بكل ما تتسم من قدرات وحداثة، إنها عوامل تتداخل عناصرها تداخلا متشابكا في نسق شديد التعقيد[2].

وقد اصطدم التجار اليهود أول الأمر بالنظام التجاري المخزني القائم على الاحتكار والقيود المفروضة على التجارة الخارجية، في مرحلة اشتغالهم كوكلاء

---

[1]- روجي لوطورنو،فاس قبل الحماية،ترجمة محمدحجي ومحمد الأخضر،الجزءالأول،دارالغربالاسلامي، 1992،بيروت،لبنان،ص 165.

[2]- دانييلشروتر،تجار،مس،ص 100

للدور التجارية بوادي نون. فكان على التجار اليهود الاقتراب رويدا رويدا من دائرة المخزن وكسب ثقة السلطان، مستغلين في البدء وضعيتهم كوكلاء لأهل بيروك، إذ أقام مثلا النفتالي افرياط في الدار التي منحها السلطان لبيروك، وقام بالإشراف على معاملات الدار التجارية، ولا شك أن هذه المرحلة كانت أساسية لفهم خصوصيات النظام التجاري المخزني، القائمة على سياسة الاحتكارت التي سنها المولى عبد الرحمن ابن هشام[1]، التي إن كانت قد حققت مكاسب مالية طائلة لبيت مال المخزن قدرها جون درموند هاي بمليون دولار[2]، فإنها خلفت خسائر فادحة للشركات التجارية الأوربية. وقد أكد قنصل فرنسا في غشت 1851م أن كل المنتجات المغربية محتكرة سواء من السلطان أو من المغاربة أو اليهود التابعين له[3].

وبذلك استطاع التجار اليهود اكتساب مكانة هامة لدى المخزن، وهذا ما يوازيه احتلال مكانة بارزة في تجارة المغرب الخارجية، إذ كلما تمكن اليهودي من تمتين علاقته مع السلطان إلا واستطاع بذلك تعزيز نفوذه الشخصي ومكاسبه المادية. وقد واكب تطور وضعية اليهود الاعتبارية لدى المخزن، تطور في حجمهم الديموغرافي في المرسى السلطاني خلال القرن التاسع عشر. ففي سنة 1841م بلغ عدد التجار في الصويرة 19 من بينهم 14 تاجرا يهوديا و 3 نصارى 2 مسلمان. وفي منتصف سنة 1850م تضاعف العدد ووصل إلى 39 من بينهم 24 يهوديا و 10 مسلمين و 5 أوربيين. وفي بداية سنة 1880م وصل عدد التجار إلى 51 من بينهم 31 يهوديا و 16 مسلما 4 أوربيين[4]. وقد كان على رأس التجار

[1]-Miège, Le Maroc, Op.cit, P 234
[2] - Miège, Le Maroc, Op.cit, P 238
[3] - Ibid, P 236
[4] - Abitbol, Les commerçants, Op.cit, P 9

اليهود في الصويرة أسرة آل قرقوز وآل الملاح وآل افرياط الذين شكلوا على حد تعبير ابيتبول الصنف الجديد لتجار السلطان وطبقة اجتماعية جديدة[1].

5- تغير وضعية اليهود

شهد أواخر القرن التاسع عشر تغيرا جذريا في وضعية اليهود داخل المجتمع المغربي. وكان ذلك نتيجة تحولات عميقة عرفها المغرب بفعل متغيرات عديدة. وكان للعامل الخارجي دور أساسي في خلقها. وقد كتب شروتر في هذا الصدد:" وتسارعت التحولات الاجتماعية في الحواضر المغربية ما قبل الاستعمار تسارعا قويا، نظرا لتزايد اعتماد المغرب على أوربا. ويمكن اعتبار التوسع التجاري الاوربي مرحلة أولى في عملية الهيمنة الاقتصادية الأجنبية، شبيهة لما حصل في بلدان الشرق الأوسط. وكانت للمدن المرسي، بصفة خاصة، قابلية التحول الاجتماعي، لأنها شكلت نقطة الاتصال الرئيسية بين الأوربيين والسكان المحليين. وأهم من ذلك أن المراسي اعتبرت من أهم عوامل التغيير، بل مواقع متقدمة مكنت من إخضاع البلد بأكمله لهيمنة الأنماط الغربية"[2]. وقد كان اليهود دون أدنى شك أهم فئات المجتمع المغربي استعدادا للتغير بفعل وضعيتهم وكذا بفعل احتكاكهم المبكر بالأوربيين في المراسي.

فابتداء من سنة 1860م سيستفيد اليهود من الحماية القنصلية في المدن المغربية، وسيتأثرون بثقافة اليهودية العالمية، وهو ما سيؤثر على وضعية الذمي بالمغرب وبلاد الإسلام[3]. وسيستغلون الأوضاع العامة بالمغرب التي كان من أبرزها تضعضع أجهزة المخزن التقليدي، وتراجع موارد التجارة والفلاحة في

---

[1] - Ibid, P 7

[2]- شروتر،تجار،ص 19

[3] - Abitbol, Les commerçants, Op.cit, P 12

مناطق سوس ووادي نون، ليواصلوا مسلسل تغيير وضعيتهم التي تتجلى حسب هاي في ما يلي:

- لم يعد اليهود مجبرين على خلع أحذيتهم عند المرور أمام المساجد
- بإمكانهم الذهاب إلى أي مكان بالمدينة
- لا يدفعون الضرائب (الجزية)
- لا يتم إدخالهم للسجن[1]

وبالإضافة إلى التغيير في الوضعية الاجتماعية والثقافية، شمل التغيير الجانب الاقتصادي أيضا، إذ أصبح اليهود يمتلكون العقارات سواء عن طريق الرهن أو بيع الثنيا، مستغلين تراكم الديون في أيدي ملاك الأرض المسلمين[2]. وتكشف إحدى وثائق وادي نون هذا التغيير، فقد اشترى شلوم بن هارون وهو من يهود عين ايت جرار أرضا بقرية تيغمرت من محمد فاضل بن أحمد الزفاطي[3].

من جهة ثانية تكشف الوثائق التجارية التي درسنا عن تحول وضعية اليهود من وكلاء تجاريين إلى شركاء أو بنكيين، مستغلين وضعهم الجديد كمحميين أو ممثلين للدبلوماسية الأوربية في الصويرة، وكذا مستفيدين من الأزمة المالية التي عانى منها تجار وادي نون. فكثيرة هي الرسائل التي بعث بها اليهود وخاصة رفائيل المليح، الذي كان يشغل في الآن نفسه منصب قنصل النمسا والمجر في الصويرة، إلى دحمان بن بيروك، يحثه فيها على استخلاص ما بذمة تجار وادي نون من ديون لفائدة التاجر اليهودي. ولعل في طبيعة أسلوب الذي استعمله رفائيل، المتسم بالنبرة الشديدة وإصدار الأوامر، خير دليل على تغير وضعية اليهود الذين كانوا

[1] - Abitbol, Les commerçants, Op.cit, P 13-14

[2]- الغمائد،يهود منطقة سوس،ص 130-131

[3]- وثائق محمد البشير اللمطي،مؤرخة ب 21 رمضان 1349/ 9 فبراير 1931

إلى أمد طويل وكلاء لدار أهل بيروك، فقد جاء في إحدى الرسائل:" وكتبنا لك لتقف معنا قبل أن يخرج منا شيئا سيئا"[1].

لقد تحتم على اليهود، كما أشرنا سابقا، كسب ثقة المخزن، وكان من أهم الخطوات التي اتبعوها لهذه الغاية، لعب دور المخبرين أو عيون السلطان على الجنوب، مستغلين حاجة المخزن لمعرفة أوضاع منطقة شديدة التوتر خلال القرن التاسع عشر، ومستثمرين شبكاتهم التجارية الممتدة من الصويرة إلى عمق الصحراء. وقد تعددت المراسلات بين اليهود والجهاز المخزني في شأن أوضاع الجنوب، كالصراع بين كنته من جهة وأولاد بسبع والركيبات وتكنة من جهة ثانية[2]. والقتال الذي نشب بين الحسين اوهاشم ودحمان بن بيروك[3]. وتأزم الأوضاع بسوس وانعكاس ذلك على التجارة في الصويرة[4]. والظاهر أن اهتمام التجار اليهود بنقل أخبار الجنوب لا يرجع إلى رغبتهم في كسب ود المخزن فحسب، بل يعود إلى حرصهم على استتباب الأوضاع في المنطقة (سوس ووادي نون والصحراء) التي إن اختلت فيها الأوضاع ستؤثر سلبا على أنشطتهم التجارية.

---

[1]- وثائق محمد سالم اللمطي، رسالة من رفئيل المليح إلى دحمان ولد بيروك،مؤرختب 28 ربيعالاول 1316/ 16 غشت 1898.

[2]- رسالة من الطيبب ناليماني إلى التاجرابرهام قرقوزمؤرختب 11 محرم 1282/ 6.6.1865 اوردهاأبيتلولفي Abitbol, Les Commerçants, Op.Cit, P 101 doc 57

[3]-رسالةمنموسبناحمدإلىالتاجرابراهمقرقوز،مؤرختب 5 ربيعالأول 1288/ 1971/5/25 Abitbol, Les Commerçants, Op.Cit, P 185

[4]رسالةمنالطيببناليمانيإلىالتاجرابرهامقرقوزمؤرختبمتمربيعالثاني 1286/ 8.8.1869 اوردهاأبيتلولفي Abitbol, Les Commerçants, Op.Cit, P 159 doc 96

المبحث الثالث : يهود وادي نون: افتكاك الأسرى ومراقبة المجال

1- افتكاك الأسرى الأوربيين مصدر من مصادر ثروة يهود وادي نون

بلغت التجاذبات التاريخية والحضارية بين أوروبا المسيحية وشمال إفريقيا المسلم أوجها عقب سقوط آخر إمارة إسلامية بالأندلس سنة1492، ما جعل من حوض البحر الأبيض المتوسط رقعة صدام وتنافس محتدم بين المسلمين الحالمين بأمجاد الفردوس المفقود، والمسيحيين الراغبين في محو العار الذي لحق ليس فقط بإسبانيا والبرتغال، بل بأوروبا جمعاء لفترة قاربت الثمان قرون (711– 1492). ولهذا نادرا ما أعتبر البحر المتوسط مكانا للتعاون بين هاتين الحضارتين المختلفتين ثقافيا ودينيا اختلافا جعل من نفورهما و تباعدهما أمرا حتميا ولو أُجل لبعض حين .

لعلمن بين الأدوار التي لعبها اليهود، وأسهمت في ازدياد حظوتهم عند السلطان اختصاصهم في افتداء الأسرى الأجانب، بل كسب منها اليهود فوائد أخرى آنية وأخرى مستقبلية. فعلى المستوى الآني حصل اليهود على أموال طائلة من خلال توسطهم لافتداء الأسرى الأوربيين الذين وقعوا في قبضة قبائل الجنوب. أما على المستوى المستقبلي فقد استغل اليهود عملية الوساطة للاحتكاك بالسلك الدبلوماسي الأوربي الذي أشرف على افتداء رعايا دولهم.

ويزخر الأرشيف المخزني بمراسلات في شأن دور اليهود في افتداء الأسرى الأجانب، وتتعدد المعلومات في كتب الرحالة الأوربيين ذات الصلة بالموضوع. ومن أهم القضايا التي أرقت بال المخزن، واستنزفت جهود الدبلوماسية الإسبانية والبريطانية، قضية أسر الحبيب بن بيروك لسبعة اسبان على

رأسهم التاجر بوتلير، والتي دامت زهاء ثماني سنوات، وكان لليهود دور أساسي في حسمها مقابل دفع المخزن 27.000 ريال[1].

وقد استثمر اليهود شبكاتهم التجارية للتعرف على مكان الأسرى الأوربيين والوصول إليهم بسرعة، ويطلعنا الرحالة البريطاني جاكسون على تفاصيل هامة لعملية تدخل اليهود حين كتب:" إذا كان لليهودي شخص آخر يتواصل معه في موكادور يخبره بغرق السفينة ويحدد له علم أو أصل البحارة الغرقى ويطلب منه إخبار قنصل الدولة، في نفس الوقت يعد البحارة بأنهم سيحصلون على حريتهم قريبا، وسينقلون إلى موكادور حيث سيجدون مواطنيهم. ونظرا لغياب أموال افتداء الأسرى يظل هؤلاء في قبضة التجار تتناقلهم الأيادي وقد ينتهي بهم الأمر في أعماق الصحراء، وقد يضطرون أحيانا إلى ادعاء الإسلام"[2]. ومن أهم التجار اليهود المختصون في افتداء الأسرى هناك موردخاي دي لامار، وحسيب دي لامار[3]، وأحد التجار مقيم بوادي نون واسمه هارون[4].

يتكفل اليهودي المذكور بارسال مبعوثين عنه الى جهات مختلفة من افريقيا، للمطالبة باستعادة سكان السفن الغارقة. وكان أهم التجار اليهود بمرسى الصويرة من أمثال مردخاي دي لامار، يشاركون في افتداء العبيد المسيحيين بالجنوب المغربي، ومن الأمور التي كانت تيسر رجحان كفة اليهود في هذه العملية وجود شبكة يهودية من العلاقات التجارية القائمة مع اخوانهم في الدين، الموجودين بمواقع معروفة جنوب غرب المغرب، مثل ايليغ وكلميم حيث كان الأسرى غالبا

---

[1]- رسالةمنموسبناحمدإلىالتاجرابراهمقرقوز،مؤرخةب 9 رجب 1287/ 5.10.1870 Abitbol, Les Commerçants, Op.Cit, P 173 doc 107.

[2] - Jacson, Relation, Op.cit, P 210

[3]- شروتر،يهوديالسلطان،مس،ص 80

[4]- دياث،سياسة،مس،ص 150 ه 201

ما يحتجزون بها في قبضة الزعماء المحليين، في انتظار الحصول على فدية مالية.[1]

يصف التاجر البريطاني جيمس كراي جاكسون ماكان يتعرض له الأسرى الأوربيين فيقول :

"بعد السفر ثلاثة أيام نحو سوق واحد، وخمسة أيام في اتجاه سوق آخر، بل وأحيانا لمدة أربعة عشر يوما، يصبحون بحق موضوعا للمضاربة التجارية، فاذا بالباعة المتجولين اليهود ممن يجوبون الأراضي المجاورة لواد نون، من أجل تصريف بضائعهم، يجدون السبيل الأنجع لمقايضتهم اما بمقادير من التبغ أو الملح، أو بقطعة قماش أو بغيرها من الأشياء الأخرى، حسب ما يمكن أن تتيحه الظروف، ليعودوا بعدئذ بما اشتروه الى واد نون. واذا ما توفر التاجر اليهودي على مراسل له في الصويرة، بادر بالكتابة اليه مخبرا اياه بغرق احدى السفن، فيشير الى الراية أو الى الدولة التي تنتمي اليها السفينة المنكوبة، ثم يطلب منه اخبار وكيل أو قنصل الدولة التي يعتبر الربان أحد رعاياها. وفي غضون ذلك يمنى أولئك المساكين بوعود التحرر عما قريب، وبإرسالهم الى الصويرة حيث يمكنهم اللقاء بمواطنيهم. غير أن الأمور عادة ما تتخذ وبصفة عامة ، منحى آخر، فيجد الأسرى أنفسهم بعدئذ في أجواء من الاستعباد الرتيب والطويل الأمد. وذلك لعدم وجود الأموال الضرورية بالصويرة لافتدائهم من الأسر."[2]

---

[1]- شروتر،يهوديالسلطان،مس،ص 80

[2]- شروتر،يهوديالسلطان،مس،ص 78

و معلوم أن دور اليهود في التوسط بين الأوربيين ورؤساء القبائل من أجل اعادة شراء الأسرى أساسيا، كما يؤكد ذلك الدكتور ناعيمي مصطفى[1]، وفي هذا الصدد نستعرض هنا بعض الوثائق التي تبرز مدى أهمية العنصر اليهودي في عمليات افتداء بعض الأسرى الأوربيين بمنطقة وادي نون.

الحمد لله وحده،

من عبد ربه تعالى وصيف مولانا موسى بن أحمد الى الذمي التاجر المعتبر ابراهيم قرقوز أرشدك الله ووفقك لما فيه رضاه. أما بعد فقد وصلنا كتابك معلما بوصول كتابنا الثاني اليك في شأن النصراني المسجون بوادي نون واخبرت أنك بمجرد ماورد عليك كتابنا بمباشرة قضيته كتبت للشيخ عبد الرحمن بالشروع فيها وورد عليك جوابه فوجهته طي كتابك لنا الذي هذا جوابه واجبته عنه ووجهت لنا نسخة من جوابك له وذكرت أنه حيث لم يبين في كتابه القدر الذي يطمع فيه اخوه الحبيب تعين عليك أن تؤكد عليه في شأن ذلك والاقتصار على ما يقبله العقل والطبع وطلبت مشاورة سيدنا ايده الله عن هذا المال الذي يكون به الفصال من اين تطلبه هل من اقارب النصراني الذين يسعون في فكاكه او من محل آخر فقد قدمنا لك كتابا آخر عن أمر سيدنا بأن يبقى النصراني المسجون مثقفا بالصويرة حتى يكون الكلام مع دولته فيما وقع به الفصال في قضيته فالعمل على ما قدمناه لك في شأن ذلك ولا تقصر في الوقوف في أمره وعجل بذلك والتمام. في 9 رجب عام 1287.[2]

الحمد لله وحده ولاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

---

[1]- مصطفىناعيمي،الصحراءمنخلالبلادتكنة،مرجعسابق،ص 170.

2 - Michel Abitbol, TUJJAR AL-SULTAN une Elite économique judéo-marocaine au 19eme siècle, oriens juddaicus, série 4, volume 3, institut Ben-Zvi, Jérusalem, 1994, p 127.

من عبد ربه تعالى موسى بن أحمد لطف الله به الى التاجر المعتبر الذمي ابراهيم قرقوز وفقك الله وأرشدك لما فيه رضاه أما بعد فقد وصلنا كتابك المؤرخ بثالث شهر تاريخه معلما أنك أجبتنا عن الكتابين اللذين وجهنا لك في شأن النصراني المسجون بوادي نون فقد وصل جوابك عنهما وأجبناك أيضا وعلمنا أنك في انتظار جواب الشيخ عبد الرحمن ولد بيروك واخرت الرقاص عندك حتى توجه لنا جوابه وذكرت أن سبب تأخير جوابه هو مشاورة الحبيب مع جورش خشية أن ينحسه أخوه في الفصال وتحققت من أسفي انه أجيب بما يقطع طمعه ويسد الباب في وجهه ثم ورد علينا كتابك الثاني وبطيه جواب الشيخ عبد الرحمن وها جوابه يوافيك مه هذا وعلمنا أنه واقف على ساق الجد في القضية وكذلك ينبغي وذلك المعهود منك وذكرت أنك تنتظر الجواب عما سألت عنه الحضرة الشريفة في شأن المال الذي يقع به الفصال فقد قدمنا لك الجواب عنه على يد أمناء الدار البيضاء والسلام في 21 رجب عام 1287.[1]

الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

من عبد الله تعالى كاتب الحضرة العالية بالله وحاجب أوامرها العالية موسى بن أحمد لطف الله به الى صاحبنا التاجر ابراهام قرقوز أما بعد فقد وصلنا كتابك مخبرا بوصول قونصو الصبنيول للصويرة وما أخبر به في شأن تسريح أساراهم وما دفعوا في ذلك من المال وقد أنهينا ذلك لعلم مولانا الشريف وصار منه على بال والتمام في 21 شوال الأبرك عام 1291.[2]

الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

1- opcit, p 129

2- Michel Abitbol, TUJJAR AL-SULTAN une Elite économique judéo-marocaine au 19eme siècle, p170

من عبد ربه سبحانه صاحب الحضرة الشريفية موسى بن أحمد لطف الله به الى صاحبنا التاجر ابراهيم قرقوز اما بعد فقد وصلنا كتابك مخبرا برجوع قونصو الصبنيول الذي كان توجه لوادي نون في شأن تسريح النصارى الأسارى الذين كانوا هناك والكيفية التي تسرحوا بها وما دفعه من المال على ذلك وصار بالبال وأطلعنا به العلم الشريف وصار ذلك منه أيده الله على بال وقد أحسنت في الاعلام بذلك والتمام في 26 رمضان عام 1291.[1]

الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

من عبد الله حاجب الحضرة الشريفية العالية بالله أدام الله عزها وشرفها وعلاها موسى بن أحمد لطف الله به الى اليهودي التاجر ابراهيم قرقوز أما بعد فقد وصلنا كتابك أخبرت فيه بأن قونصو الفرنسيس دخل في قضية النصارى الثلاثة الذين هم بوادي نون وتوسط بين السيد الحسين بن هاشم وبين قونصو الصبنيول في فصال قضيتهم بسبعة وعشرين ألف ريال على أن يكون ما وقع به الفصال من المال بيد الفرنصيص ويتكفل السيد الحسين بوصولهم لأجدير وبوصولهم اليه يوجه لهم المال ثم أنه تلاقى مع الشيخ الحبيب ولد بيروك بايت بعمران ويبلغك أنهما لم يجعلا فصالا على ذلك وكتب السيد الحسين لقونصو الفرنصيص بتسبيق تلك المال وهو تسعة الاف ريال وظهر له أنه لما رأى أنه لم يجعل فصالا مع الشيخ الحبيب جعل هذا حيلة ليخرج من النازلة فقد أعلمنا سيدنا أيده الله بذلك وصار منه على بال وانت لا عليك فيهم فان كان جد وثمارة فلا باس بدخولك فيه.

1- Opcit, p 169.

والا فذرهم يخوضون ويلعبون في أمرهم والتمام في 13 رجب عام 1291.[1]

بالإضافة الى هذه الأدوار السالفة الذكر كان اليهود بوادي نون بمثابة أعين للمخزن بالمناطق البعيدة وتخوم الصحراء، نظرا للحظوة التي يتمتعون بهذا داخل القصر السلطاني من جهة، وتفانيهم وكذا ولائهم المطلق للسلطان، وفي هذا الصدد نورد رسالة لأحد التجار يسأل فيها عن بعض المستجدات والوقائع التي تشهدها الصحراء بين الفينة والأخرى من معارك ومشاحنات بين القبائل في ما بينها.

الحمد لله وحده

الطيب بن اليماني

صاحبنا التاجر ابراهام قرقوز بعد السؤال عنك وعن احوالك وصلنا كتابك مخبرا بما آل اليه أمر الكنتي الذي كان بالصحراء وأن أولاد بوسبع والركيبات استأصلوه وذبحوه بعد ان مات منهم عدد كثير وأراح الله منه البلاد والعباد فالحمد لله وقد صرت تغيب عنا كتابك وخالفت العادة وحتى ان لم يكن لكم غرض فاكتبوا لنا بالسلام والله يحييكم والسلام في محرم الحرام عام 1282.[2]

الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

من عبد ربه تعالى موسى بن أحمد لطف الله به الى التاجر ابراهام قرقوز السلام على من اتبع الهدى أما بعد فقد وصلنا كتابك مخبرا بما وقع بين السيد الحسين ولد سيد هاشم وبين الشيخ دحمان ولد بيروك الوادنوني من القتال حسبما شرحه لك الشيخ دحمان في كتابه الذي وجهت نسخة منه واطلعنا بذلك علم سيدنا

1 - Michel Abitbol, TUJJAR AL-SULTAN une Elite économique judéo-marocaine au 19eme siècle, p167.
2- Opcit, p 64

ايده الله وصار منه ببال ولا تغيب من اخبارهم شيئا فيما يستقبل ان شاء الله والتمام في 5 ربيع الأول من عام 1288.[1]

1- Michel Abitbol, TUJJAR AL-SULTAN une Elite économique judéo-marocaine au 19eme siècle, p137.

الفصل الرابع :جوانب من الحياة الاجتماعية ليهود وادي نون.

المبحث الأول :اليهود جزء من الواقع الاجتماعي.

عرف اليهود بتفضيلهم الاستقرار بالمناطق والمدن الواقعة على محاور التجارة الدولية بين الشمال والجنوب، وهو ما ممكنهم من تكوين سلسلة من التجمعات البشرية التي استفادت من عائدات التجارة، فأصبح أفرادها تجارا بالضرورة؛ وهذا الأمر ينطبق بشكل كبير على وادي نون[1]. فقد استقر عدد مهم منهم خلال فترة زعامة الشيخ بيروك على مدينة كَليميم التي كانت تعتبر إبان تلك الحقبة أبرز مراكز التجارة الصحراوية شمال-جنوب، وتحتضن أهم الأسواق والمواسم التي تهتم بتصريف المنتوجات المحلية، وتلك القادمة من بلاد السودان، بالإضافة إلى السلع والبضائع الأوربية. وفي سياق ذلك يؤكد دونالد ماكينزي أن يهود كَليميم كانوا يمتهنون التجارة على نطاق واسع[2]، ولعل ذلك ما يفسر اختيارهم لوادي نون كمركز لملتقى التجارة الصحراوية حيث تتمركز أسواق رئيسية ودائمة[3].

موقع حي الملاح بمدينة كَليميم خلال النصف الثاني من القرن 19

---

[1]- أنوزلا،الحسان،آلبيرو كويهو دو ادينون خلال القرن التاسع عشر: نظرةعلىالعلاقةوالأدوار،سلسلةأعلام ورجالات وادي نون،أسرة أهل بيروك،منشورات مركزالنخيل للتوثيق،الطبعةالأولى، 2016،ص. 139-140,

[2]- Mackenzie, D, the khalifate of the west, Being a General Description of Morocco, London : 1911, p. 243.

[3]-لغمائيد،عبدالله،جماعات يهودسوس: المجال والتمثلات الاجتماعية والسياسية 1860-1960،بحث لنيل الدكتوراه في التاريخ المعاصر،ك.آ.ع.إ. الرباط، 2002،ص. 60.

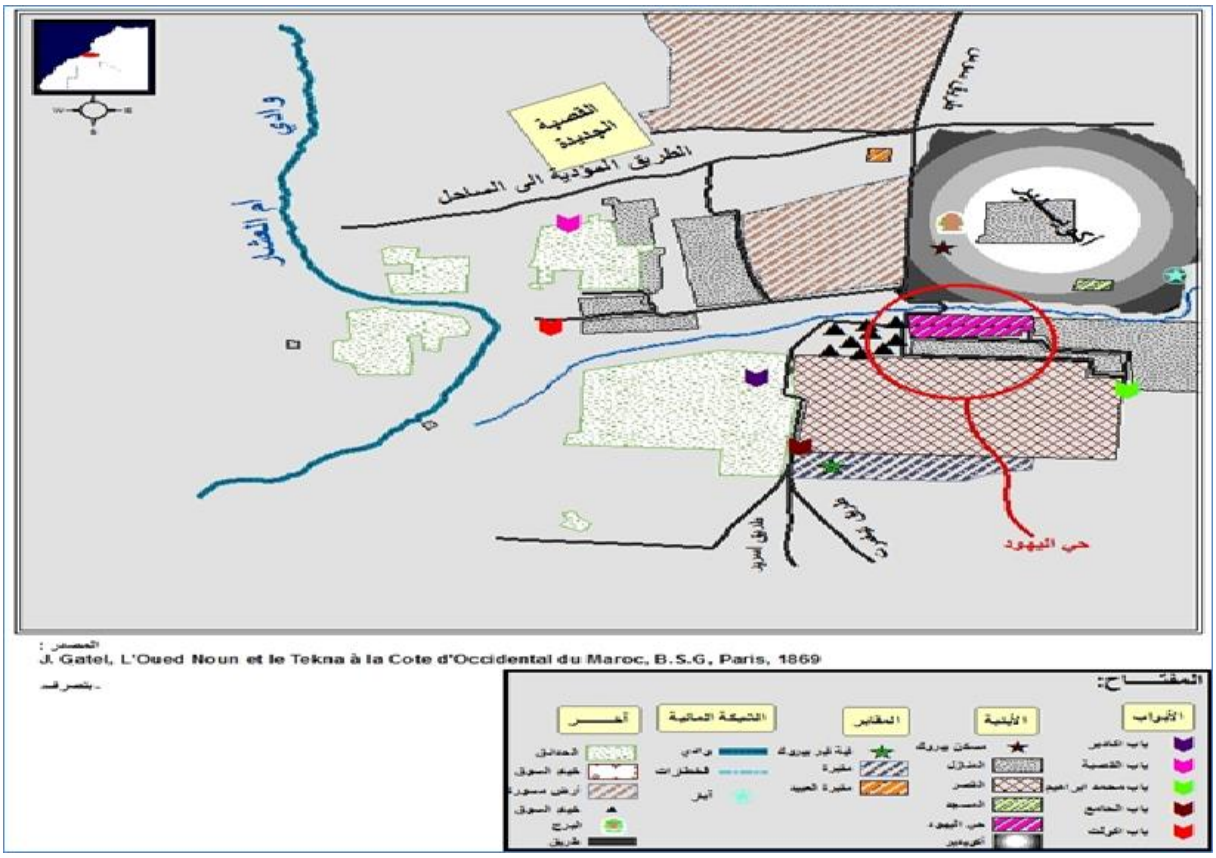

وحسب التصميم الذي وضعه الجغرافي كَاطيل Gatell فإن مدشر كَليميم الذي صمم بشكل أفقي، يتكون من ثلاثة أحياء متفرقة: آكَادير (يعرف أيضا باسم أكَوَيْدِير) حيث يستقر الزعيم الشيخ بيروك، وفي غرب هذا الحي كانت توجد القصبة، ثم القصر في الجنوب[1]، بينما استقر يهود المدشر في ملاح شمال القصر يتوفر على بيعة واحدة، ومجاور لساحة تتوسط هذا المركز تضم دكاكين بسيطة من الحجر تستغل للتجارة أيام سوق الأحد الذي كانت ترتادها قبائل تكنة وآيت باعمران[2]. وغرب الملاح نصبت خيام سوق كَليميم، وهو ما يعكس ارتباط ساكنة الملاح بالتجارة وتمثلاتها.

[1]- هذه الأحياء الثلاث منفصلة بعضها عن بعض، ومحاطة بسور من خمسة أبواب، في الشمال باب آكويديروباب لقصابي،وفي الغرب باب أكلت،وفي الجنوب نجد باب محمدإبراهيم،وباب الجامع وبجواره يوجد قبرالشيخ بيروك. (أنظر التصميم).

[2]-Gatell, Joachim, L'Oued-Noun Et Le Tekna à La Cote Occidental Du Maroc, B.S.G.P., Octobre, 1869.p.p. 265-266.

لم يكن هذا الحي معزولا عن باقي أحياء المدينة، ولم يكن هناك ما يحول بين اليهود والمسلمين، وهو ما يعزز التجاور الحميمي والفعلي بين الأسر المسلمة واليهودية، ويعكس نوعا من دفء التفاعل الاجتماعي والثقافي على الرغم من الاختلافات الدينية الموجودة بين الطرفين.

ويرجح أن يكون هذا الملاح قد توسع بعد أن أعيد بناؤه في بداية القرن التاسع عشر على عهد زعيم وادي نون الشيخ بيروك، حين قام بتحصين قصر كَليميم ليحميه ويجعله بمنأى عن الأخطار، وحتى لا يتكرر هجوم يشابه ذاك الذي قام به الثائر بوحلاس سنة 1792م[1]، الشيء الذي يدفعنا إلى الاعتقاد بأن استقرار اليهود بالمنطقة سبق هذه الفترة، خاصة أن هجوم بوحلاس أسفر عن تهجير مجموعة من العائلات اليهودية من كَليميم (مثال هجرة عائلة نفتالي بن ربي يهودا إلى الصويرة). وربما يعود ذلك الاستقرار إلى نفس الفترة التي استقرت فيها أسرة عبيد الله أوسالم (جد الشيخ بيروك) بوادي نون[2].

وأثناء إقامته بمدشر كَليميم خلال ستينيات القرن التاسع عشر، وجد كَاطيل أن الطائفة اليهودية به تتكون من 100 فرد[3]، وفي إحصائية أخرى تعود إلى نفس الفترة تؤكد أن عدد كوانين اليهود بالمدينة يتراوح ما بين 20 كانونا و40، وباعتبار أن كل كانون يقدر بخمسة أفراد، فإن يهود كَليميم خلال القرن التاسع

1- انفجرت ثورة بوحلاس بمنطقة تاسريرت بآيت باعمران سنة 1790،وذلك في ظل فراغ سياسي كبيرميزسوسبشكلعام،وجفافومجاعةضربتالمنطقةبعدسنةمنوفاةالسلطانمحمدبنعبدالله.
وقدساندبوحلاسمولاياليزيدفيصراعهضدإخوتهحولالعرش،ومنخلالذلكتمكنمنكسبتأييدقبائلآيتباعمرانمنحلفتاكزولت،وقبائلآيتج رارمنحلفتحكّات.
واستهدفتالثورةبشكلكبيراليهودحيثهاجميهودأفرانبالأطلسالصغيرواستولىعلىأموالهم،كماهاجميهودكليميموتيمولاي(مدشرصغير يقعشمالكليميم)،ممااضطرالعديدمنهؤلاءإلىالهجرةنحومدينةالصويرةكعائلةآلأفرياط.
الشيءالذييوحيبرغبتهفيجمعالمالمنأجلتمويلثورته. انظر:
مخطوطنزهةالجلاسفيأخباربوحلاسلصاحبهمحمدبنأحمدالسملالي،مرقونبالخزانةالعامةتحترقم: ك، 970.
2- أنوزلا،الحسان،م. س،ص. 143.

3- Gatell, op cit, p.p. 265-266.

عشر يمكن تقديره بمائة إلى مائتي نسمة[1]. بينما يقدر الباحث عمر بوم أعداد اليهود بالمدينة ب200 فرد سنة 1884م.

ويوضح الجدول التالي تطور أعداد هؤلاء بكل من مدشر كَليميم وإيفران المتاخم له شمالا، بين 1884 و1951 حسب ما نقله نفس الباحث.

جدول: تطور أعداد اليهود في مدشر كليميم وإيفران بين 1884م و1951م[2].

السنـــــــة	كَليميـــــــــم	إيفـــــــــران
1884	**200**	**-**
1936	**24**	**122**
1947	**73**	**129**
1951	**93**	**141**

وتحمل الرسالة التي وجهها مندوب الرابطة اليهودية في الدار البيضاء "هاروس" يوم 27 يناير 1952م، إشارات هامة حول حجم الطائفة اليهودية وتجذرها بالمدينة، حيث تحمل خبر افتتاح مدرسة تابعة للرابطة اليهودية في مدينة كَليميم، ويرد في هذا التقرير أيضا توضيحات عن توظيف المعلم، وتكاليف تأجير الموقع، وتسجيل التلاميذ، وطبيعة العلاقات القائمة بين مندوبية الرابطة اليهودية بالدار البيضاء وكل من الطائفة اليهودية وممثلي السلطات الاستعمارية الفرنسية

[1]- لغمائيد،عبدالله،م. س،ص. 69.
[2]- بوم،عمر،يهودالمغربوحديثالذاكرة،م. س،ص. 42.

آنذاك. وقد أوكلت مهمة التدريس بالمدرسة اليهودية بكَليميم إلى المدعو "هاروش" (Harrousch)، وهو أحد أبناء عائلة ثرية[1].

وعندما قرر "هاروس" فتح المدرسة التابعة للرابطة اليهودية بكَليميم، بادر إلى الاتصال بممثل الطائفة لمفاتحته في الموضوع المتعلق بموقع المدرسة. وبما أن الرابطة تلجأ في الغالب إلى اكتراء أحد الدور السكنية لاستغلاله في التدريس، فإن بناية المدرسة بكَليميم كانت في ملكية ماڤّير أوحنا، وهو نجل سالمون أوحنا، كبير الطائفة اليهودية بالمدينة[2].

وقد أجرى "هاروس" في كَليميم إحصاء للأطفال اليهود المتمدرسين، فعدَّ ما بلغ مجموعه سبعة وعشرين تلميذا، ثلاثة عشر من الذكور وأربعة عشرة من الإناث تراوحت أعمارهم بين الستة والعشرة أعوام. كما زار ملاح إيفران لإقناع أبنائه بالانضمام إلى مدرسة كَليميم، حيث تم إلحاق عشرة أطفال، تسعة ذكور وفتاة واحدة[3]. قبل أن يتوزع بعض التلاميذ في مناطق مختلفة من المغرب، ثم فيما بعد انتقل آخرون إلى فلسطين بعد نكسة 1948م قبل أن يستكملوا دراستهم الابتدائية.

لقد كان هذا التعليم تقليديا، ويتقاطع مع دور اليهود في التجارة المحلية والعابرة للصحراء، إذ بمجرد بلوغ التلميذ العقد الثاني من عمره، حتى يغادر التعليم ليلتحق بالأعمال التجارية التي يشتغل بها أبوه، فالتعليم لم يكن هدفا لذاته،

---

[1]- نفسه،ص. 132.

[2]- احتضنتمدينةكليميمتحتضنعدداكبيرامنااليهودالمنحدرينمنأسرةأوحنا،التيانتقلتمنموطنقرارهاالأصليالمجاورفيإيفران (60 كلمشمال-شرقكليميم) بعدسيطرةالفرنسيينعلىالمنطقة. أنظر: بوم،عمر،م. س،ص. 135.

[3]- بوم،عمر،م. س،ص. 38.

بل كانت أهدافه تنحصر في إعداد الفرد ليقوم بواجباته الدينية لنفسه أو خدمة لأبناء ملته[1].

عرف عن اليهود استقرارهم في المناطق الآمنة التي تتمتع بوجود زعامات قوية ذات نفوذ واسع، وذات ارتباطات بالتجارة القافلية، تلك الزعامة التي يلتمس اليهود في ظلها السعي وراء الكسب المادي والانتعاش التجاري والاقتصادي. وبحكم أنهم شكلوا أقلية دينية بالمنطقة، كانوا ينشدون دائما الدخول في حماية الأسر الكبيرة، ومن ثمة، نجد أن يهود كَليميم عاشوا وانصهروا بالرغم من اختلاف هويتهم الدينية، تحت حماية السلطة المحلية المتمثلة في عائلة بيروك، الشيء الذي كان يضمن لهم نوعا من الحماية أثناء تنقلهم بين الأسواق من أجل تصريف بضائعهم[2].

كانت العائلات اليهودية بوادي نون تتحدث بلغتها الأم الشلحة أو (تشلحيت)، إضافة إلى اللغة العربية، كما امتلكت عناصرها معرفة كبيرة باللغة العبرية[3]، وهو ما قد يفسر انتسابها الأصيل إلى القبائل الامازيغية.وقد عرف عنها محافظتها على علاقات طيبة مع السكان المحليين، حيث كانت تقوم بتبادل الزيارات بينها بدافع السمر والترويح عن النفس، وتبادل التهاني في الأفراح والتعازي في المآسي[4]. ومن شأن هذا الاختلاط أن يدحض فكرة الانعزال الشائعة عن اليهود، ويحيل على نوع من تبادل التأثير الحضاري بين كافة شرائح المجتمع بوادي نون، عربا وبربرا ويهودا.

1- شحلان،أحمد،م. س،ص. 75.

2-

كانااليهوديشكلونسبةالكبرمنالباعةالمتجولين،حيثكانهؤلاءالباعةمناليهوديعتبرونالمجموعةالمهيمنةالتيكانتترتبطالصلةبينالمدنوبواديهافيجهاتكثيرةمنالمغرب.

3- Lydon, G, op.cit. P. 183.

4- روايةشفويةبشارولدبكارأحدأحفادالشيخبيروك. خريف 2015 بمدينةالوطية.

1- تفاعل اليهود مع التنظيمات الاجتماعية.

مثلت الأعراف والمعتقدات جزءا لا يتجزأ من عقيدة الطائفة اليهودية بوادي نون، بل تداخلت مع هذه العقيدة إلى حد العضوية، وهو الواقع الذي صوره فلاموند في كتابه "الطوائف اليهودية بالجنوب المغربي"[1]، بقوله: "إن لبّ تقاليد الملاح تتكون بطبيعة الحال في دائرة المعتقد الديني"[2] لقد تأثرت هذه التقاليد بالمعتقد الديني، لكنها تشبعت أيضا بالبيئة التي نشأ فيها أفراد هذه الطائفة بوادي نون، فتأثرت وأثرت في هذا الواقع الاجتماعي.

لقد شكلت الطائفة اليهودية عنصرا أساسيا من التركيبة الاجتماعية لمنطقة وادي نون، حيث تجاور أعضاؤها وخالطوا إخوانهم من قبائل تكنة في الأسواق والمواسم وعبر التجارة العابر للمجالات الجغرافية الواسعة، وفق قاعدة "الذمي"، ومارسوا التجارة بشتى أنواعها وأشكالها، وتبادلوا طقوس التعبد على الصعيد الواحد، وعبروا عن أفراحهم بنفس الأهازيج، وعانوا القحط والمجاعات بنفس القدر من الصبر ومنعشات الأمل، واستسقوا الغيث عند شح السماء بنفس اللغة والحركات والابتهالات، وتساكنوا إلى حد لم تفصل الملاح عن باقي أحياء مدينة كَليميم أية حواجز أو أسوار.

وتظهر المستندات والأوراق المحلية تعددا لمختلف الأشكال القانونية المعقدة والمتداخلة الاختصاص التي ترتبط أساسا بمسألة العرف، الذي يتيح وجود فضاء اجتماعي وسياسي واقتصادي مناسب لفائدة يهود الواحات والهوامش بما يمكنهم

---

[1]- Flamond, F, les communautés Israélites du Sud-Marocain: Essai de Description et d'Analyse de la Vie Juive en Milieu Berbère, Casablanca, (Sans Date), p. 306.

[2]- شحلان،أحمد،م. س،ص. 30.

من التفاوض بخصوص علاقاتهم الاجتماعية واحتياجاتهم الاقتصادية، فضلا عن تسوية خلافاتهم مع المسلمين أمام القضاء.

وعلى الرغم من الضوابط والتقنينات الشرعية والاجتماعية التي تحصر إلى حد كبير تحركات اليهود، وتحد منها داخل فضاء اجتماعي إسلامي يقع على مشارف الصحراء، فقد أفلح اليهود في كسر هذه القيود وتخطيها عبر التفاعل الايجابي مع مقتضيات الأعراف والتشريعات المحلية التي تضعهم في خانة "الذميين"، ثم التمسك بالتشريعات العبرية في كل ما يتصل بحياتهم الأسرية الخاصة ومختلف التعاملات مع بقية مكونات الطائفة اليهودية بوادي نون.

تمكن اليهود وفق هذه المرونة، من التكيف مع القواعد العرفية والتماهي مع مختلف التأويلات التي قد يحملها أي نسق من أنساقها القانونية، حيث يقع أحيانا إلغاء حكم قانوني ما يستند إلى الشريعة، أو يُكتفى فقط بتجاهله، لأن المتقاضين اليهود والمسلمين قد يتوصلون إلى الصلح دونما الحاجة إلى الاحتكام أمام القاضي أو مجلس القبيلة. ومن ثمة فإن اليهود بحكم حاجتهم إلى الحماية من الشيوخ والزعماء المحليين بوادي نون، فإنهم آنسوا في أنفسهم القدرة على الاستفادة من تعدد الأنساق القانونية، مما جعلهم في منأى عن القيود الاجتماعية وتمثلاتها.

استجاب التوافق الاجتماعي بين اليهود والمسلمين بوادي نون، واعتماد تجار قبائل تكنة على أفراد هذه الطائفة لتسهيل معاملاتهم التجارية، للمصلحة المشتركة بين الطرفين. فاليهود كانوا يقومون بوظيفة المنعش للاقتصاد المحلي بعلاقاتهم التجارية وخدماتهم الحرفية التي كانت ضرورية في مجتمع يعتمد على عائدات التجارة الصحراوية بعيدة المدى، مقابل تدخل هذه الزعامات من أجل حمايتهم، وضمان أمنهم أثناء التنقل وسط القبائل.

لقد فرض التنقل في مجال وادي نون بشكل خاص، والصحراء المتاخمة له بشكل عام، على اليهود الانخراط في بعض الطقوس الحمائية التي يتم بموجبها تأمين الحماية للمحمي مقابل أداء واجب سنوي يكون في أغلب الأحيان عينا، كالكتان أو السكر[1]. ولم يقتصر هذا الأمر على أسرة آل بيروك فقط، بل امتدت حماية اليهود لتشمل بعض الأسر التجارية الكبرى بالمنطقة، والتي كانت ترتبط ارتباطا وثيقا في معاملاتها بهؤلاء.

وفي تفاصيل ذلك نسوق الوثيقة التالية، والتي جاء فيها ما يلي: "الحمد لله وحده، شهدوا الدين الذميون التاجر شمعون وأخوه الحاخام ولد الحزان شلوم في أجدير والتاجر مير بن مسعود وإخوانه أنه مقبلون يدخلون تحت ياد الفزاك الشيخ محمد بن هيب السرير الزفاطي يتكلمون عليهم في أموالهم وأنفسهم به محل وصل الفراك له أبدا وشرطوا معهم في كل عام بيصة خنط وقبل اليهود ذلك والسلام. في رمضان 1318ه"[2].

ويتضح من خلال الوثيقة دأْبُ تجار قبيلة "ازوافيط" على الاستعانة باليهود في معاملاتهم التجارية، وهو ما يضع اليهود في وضع الطالب لعقد الحماية الذي يتعمد على دفع كلفة سنوية عبارة عن "بيصة خنط"، وهي نوع من الثوب يكشف من جهة احتكار اليهود لهذا النوع، ومن جهة أخرى يقدم صورة عن طبيعة موارد

---

[1]- انتظمبعضاليهودفيإطارطقوسعرفيةأخرىتسمىبالخاوة،وهينوعمنالخاوةالمصطنعةذاتصبغةحمائيةوليستدمويةأوعقائدية. وفيسياقذلك؛نجدوثيقةتعودإلىالسيدبشّرولدبكاروولدبيروك (غيرواضحةالتاريخ)،حولعقدخاوةتربطبينأحداليهوديدعىرابين،وأحدسكانكليميممنالمنتمينلقبائلتكنة. جاءفيهامايلي: "(...) أمابعدفقدأدىالذميربينبهالمسلممنيهودأكليميمأنهذبحعلىبركبنأمباركبندنبالأحماديالرموشيوأنهأخلهمنجهة (كذا) الذبيحةلامنجهة (كذا) الإسلاموأنهواحدمنالقبيلةمايعمهممنفريضةوغيرهاكمافيعادةتكنةوأنهيسيرفياللليلوالنهارفيبلدآيتحماد(...)". عقدخاوةبينااليهوديرابينوأحدسكانكليميديدعىبركبنأمبارك.

[2]- عقدحمايةالشيخمحمدبنهيبالزفاطيلتاجرينيهوديمؤرخةب 1318ه\1900م.

المنطقة بفعل النقص الحاصل في الأثواب والمنتوجات خلال بداية القرن العشرين[1].

إن المحرك الأساس لهذا الطقس الاجتماعي هو ضمان مساهمة فاعلة لليهود في العمليات التجارية، فهذا الشكل من الحماية ينتظم من أجل تكريس أمن مرور القوافل، وتنقل الأشخاص في إطار ما كان يندرج في النسق العام لنظام التنقل المبني على مؤسسة "الزطاطة"، والذي يعني التخصص في حماية المسافر بالقوة المحلية في المجال المحلي[2]. ورغم أن اليهود لا يرافقون تلك القوافل في أغلب الأحيان، فإنهم يستثمرون أموالهم فيها عن طريق الشراء المسبق للبضائع والسلع، أو بيع المنتجات الأوربية بأسلوب بيع الآجال، سواء لحسابهم أو لحساب موكليهم في الغالب.

ظلت طبيعة العلاقة بين مكونات قبائل تكنة والطائفة اليهودية نموذجية، فالزعيم المحلي كان يحمي هذه العائلات المرتبطة بوضعية الذمي؛ في مقابل أدائها لضريبة الجزية التي يعاد التفاوض بشأنها عند صعود أحد الزعامات الجديدة[3]. فبعد وفاة الشيخ بيروك سنة 1859، كان لزاما على نجليه (لحبيب ومحمد) تجديد شروط الحماية مع اليهود على أساس ما يوضحه الاتفاق التالي الموقع بين الطرفين في أوائل أكتوبر 1864، هذا نصه: "(...) وبعد فقد عقدوا أبناء الشيخ أمبارك (بيروك) على يهود ملاحهم جميع ما يعطونه من الجزية مائة وخمسون مثقالا ويعطونه ستون أكميم من الحديد وخمسة رطلا من الهند ويعطونهم ريالا لكل رطل من الريش ويعطونهم خمسة مثقالا لكل حمل خارج من قرية كَليميم من

---

[1]- الزعفراني،حاييم،م. س،ص. 149.

[2]- السبتي،عبدالأحد،بينالزطاطوقاطعالطريق-أمنالطرقفيمغربماقبلالاستعمار-،دارتوبقاللنشر،الطبعةالأولى، 2009،ص. 50.

[3]- أنوزلا،الحسان،م. س،ص. 146.

جلد وصوف وعلك وغير ذلك. وهاذا كله بين محمد بن الشيخ مبارك وأخوه الحبيب أثلاثا لمحمد ثلثين وللحبيب ثلث وجميع من ذكر عليهم من اليهود أعلاه يعطي خمسون مثقالا أضعافا ومن اشترى من اليهود سرقة يعطيهم مائة مثقالا أنصافا وجعلوا نحو ذلك ثلاثة وكلاء (...) لعبد الرحمان (...) عشرة ريال لكل رطل إن بحال (كذا) وأنه ضمن عبد الرحمان بن الشيخ مبارك والحبيب بن الشيخ في جميع ما تلف في ملحهم عند اليهود يعطونه مناصفة للضامن عبد الرحمان بن الشيخ مبارك وكتبه من أشهد على ذلك وهم بحال صحة وطوع وجواز أمر بتاريخ أواخر ربيع الثاني عام 1281 عبيد الله محمود عبد الرحمان بن محمد الكَلميمي الله وليه آمين. استدراك، وهذا فعلوه مع اليهود يعطوه لهم في خدمة الملاح وعلى ما سلف في المقابلة في الصك الذي في مقلوبه للكبير منهم وأن التالف في الملاح أثلاثا لمحمد علي محمد ثلثين وعلى الحبيب ثلث، وكتبه شاهدا به مستدرك في التاريخ أعلاه محمود بنعبد الله الرحمان بن محمد وعبد ربه أحمد رزوق بن الحاج أحمد الفلالي أصلا الجلميمي دارا ووطنا(...)"[1].

بالرجوع إلى منطوق العقد الذي يندرج في سياق عقود الجزية وما يتبعها من حماية اليهود، فإن أبناء الشيخ بيروك ملزمون بحماية الملاح وساكنيه، مقابل الحصول على نوع من الجباية في شكل السلع التجارية التي كانت تمر عبر كَليميم أو تلك التي تنتج محليا، من قبيل العلك والصوف. وعلى الرغم من أن الصيغة التي كتب بها العقد توحي بوجود خلط في التمييز بين الرسوم المنظمة للتجارة وتلك التي تفيد الجزية، فإن الجملة التي ختم بها النص ترفع هذا اللبس، حيث تؤكد على أن إعطاء الجزية يكون مقابل خدمة الملاح وحمايته من الأضرار التي قد يتعرض لها نتيجة المس بالممتلكات أو السرقة، مع العلم بأن الجزية التي فرضها

[1]- عقدحمايةفيملكيةبشارولدبكارمؤرخةبتاريخأكتوبر 1864.

آل بيروك على يهود المدينة تدخل ضمن صلاحيات واختصاصات السلطان كإمام، وهي صفة تمنحه حق إبرام عقد الذمة مع أهل الكتاب.

ومما لا شك فيه أن هذا العقد يدخل في نطاق العقود المكتوبة التي تنظم العلاقة بين آل بيروك كقوة محلية وفئة اجتماعية من أهل الذمة تتمتع بوزن اقتصادي هي اليهود، وهو الوضع الذي كان يوفر لآل بيروك موارد مالية مهمة ناتجة عن استخلاص الجباية من التجار اليهود. فبعد أن آلت إليه الزعامة إثر وفاة أبيه الشيخ بيروك، تولى محمد (الابن البكر للشيخ بيروك) مسؤولية حماية الحي اليهودي بكَليميم مقابل حصوله على ثلثي ما يتم تحصيله من الجزية المفروضة على اليهود،الشيء الذي كان يشكل مصدرا إضافيا يضمن تعويض الخسائر التي تتعرض لها التجارة بين الفينة والأخرى؛ كما يمكن اعتباره ضمانة لاحتمال استمالتهم إلى مشروع فتح المرسى التجارية الذي كان آل بيروك يستشرفون إقامتها بوادي نون.

واجه اليهود غير المنتمون لوادي نون، والذين لا يخضعون لحماية شيوخهصعوبات كبيرة في ربط علاقات تجارية مباشرة مع بلاد السودان، والتواصل مع مراكز التجارة الصحراوية التي يحتفظ آل بيروك وقبائل تكنة بطلاسمها. ففي سنة 1858م اضطر تاجر يهودي يدعى أبي سرور مردخاي[1]، إلى الدخول في مفاوضات مضنية مع تجار محليين بتيمبكتو في سعيه إلى توسيع تجارته مع منابع التجارة الصحراوية، لأنه بكل بساطة لم يكن ينتمي لوادي نون ولا يدخل في حماية شيوخه. كما تعرض التاجر ذاته في وقت لاحق لمضايقات كثيرة، تمثلت في نهب أفراد ينتمون لقبيلة أولاد أبي السباع لتجارته وسلعه مرات

[1]- ولدمردخايأبيسرور،الطفلالرابعلصائغيهودي،فيأواخرعشرينياتالقرنالتاسععشرفيأقا. يعتقدبأنهأوليهوديوصلإلىتيمبكتوسنة 1960م. شاركالرحالةدوفوكوفيرحلته،كماانخرطفيالأعمالالاستخباراتيةللجمعيةالجغرافيةالباريسيةبفرنسا.

عديدة. وكان نفس اليهودي أثناء رحلته الأولى إلى تيمبكتو في نفس السنة، قد تعرض رفقة شقيقه للأسر في "أرَوَانْ"[1] على يد شيخ المدينة، سيدي أحمد ولد الأبيض ولد محمد الراحل، قبل أن يفرج عنه الشيخ ويسمح له باستكمال رحلته إلى تيمبكتو. لقد تكبد مردخاي خسائر فادحة جراء انعدام الأمن في طرق القوافل التجارية، حيث تعرضت إحدى قوافله المتجهة إلى تيمبكتو للنهب، كما واجهت المصير نفسه قافلة أخرى كانت محملة بالتبر وريش النعام والعاج وهي في طريقها إلى الصويرة، وأثناء عودته من تيمبكتو في عام 1870 هاجمه اللصوص فنهبوا آخر ما تبقى من ثروته[2].

وتحيل حادثة اعتقال بعض تجار تكنة أحد اليهود الأجانب عن وادي نون يدعى إلياهو سنة 1880م، الذي تم تصفيده بالحديد لانتهاكه حكما صادرا في حقه من طرف أحد قضاة تيمبكتو[3]، على موقع تجار قبائل تكنة داخل أسواق التجارة الصحراوية، وأهمية خضوع اليهود لحمايتهم.

إن استقرار اليهود على أطراف الصحراء، ودورهم في التجارة الصحراوية وتنشيط حركة التبادل في الأسواق والمواسم المحلية، يرتبط بانخراط هؤلاء في شبكات اجتماعية وفق قاعدة الحماية التي تجمع بينهم كزبناء، ومن يوفر لهم هذه الرعاية ويمنحهم صكوك الاستقرار وممارسة أعمالهم التجارية بكل حرية، والاضطلاع بدور الوساطة التجارية، خاصة في ظل معرفتهم الواسعة باللهجات المحلية العربية منها والأمازيغية.

---

[1]- إحدىنقطاستراحةالقوافلالتجاريةفياتجاهتيمبكتومنالمحورالشرقيالماربتيندوف.

[2]- بوم،عمر،م. س،ص. 49-51.

[3]- Lydon, G, op.cit, P. 185.

وعلى الرغم من أن مكانة اليهود داخل هذا النظام الاجتماعي صنفتهم في تراتبية اجتماعية بمفهومها الإقطاعي، حيث دأبوا على أداء الإتاوات وغيرها من أشكال التعويض المادي لفائدة "الأسياد المسلمين" مقابل حصولهم من هؤلاء على الحماية، فإن نفس الوضع الاجتماعي منح هؤلاء باعتبارهم ذميين مكانة خاصة داخل مجال قبائل تكنة، واطلاعا واسعا بأمور التجارة ومعاملاتها، على الرغم من عدم انتمائهم للنظام السياسي بالمنطقة. وهو الأمر الذي عبر عنه جون دافيدسون بالقول: "(...) هم لا يعيشون حالة مماثلة من المهانة أو الاستعباد؛ بل إن وضعيتهم هي تشخيص للعلاقة القائمة بين السيد الحامي وزبونه، ويتمتعون بامتيازات متساوية"[1].

لقد كان الوجود اليهودي بوادي نون مقترنا بمجموعة من الضوابط القانونية والاجتماعية التي كانت تخضع لها القبائل بأكملها، لكن هذه الطائفة تميزت بكونها انتظمت في أشكال سياسية خاصة بها رغم اشتراكها في كثير من الخصائص مع جيرانها المسلمين؛ فهي غير مندمجة كليا بالشكل الذي يذيب هويتها الدينية والعرقية، لكنها في نفس الوقت ظلت متماهية مع النظم الاجتماعية التي يحكمها العرف والشرع المحلي. فقد تسامحت المكونات الاجتماعية بوادي نون مع هذه الأقلية في أهم مرتكزات هويتها، وهي الحفاظ على دينها وممارسة شعائرها وتنظيم شؤونها الداخلية وسط الملاح، وحتى ممارسة بعض العادات المتعلقة بشرب الخمر مثلا، وفي هذا الإطار يشير دافيدسون (Davidson) خلال زيارته لمدينة كَليميم في النصف الأول من القرن 19م، إلى أنه تناول نبيذا أحمر مع عائلة شالوم التي كانت تقطن الملاح[2].

[1]- Davidson, John, Notes Taken During Travels in Africa, London, 1839, p. 188.
[2]- Davidson, John, op cit, p. 140.

احتفظت العناصر اليهودية بخصوصياتها في التنظيم والتسيير الذاتي لشؤونهم الداخلية، فخضعت قضايا الأحوال الشخصية المتعلقة باليهود للاختصاصات القانونية العبرانية الموجودة في قبضة "الحزّانات" الحريصون على احترام إخوانهم في الملة للعادات التقليدية والدينية سواء بين جدران الكنيس المخصص للعبادات، أو بمختلف أرجاء الحي اليهودي، وكذلك في الوسط الخاص بكل أسرة.

ومما لا شك فيه أن تمتع مجال وادي نون بهذا القدر الكبير في التسيير والتدبير الذاتي لشؤونه قد ساهم في تحديد هوية خاصة له بعيدا عن أية سلطة سياسية تفرض هيبتها على هذا المجال خلال القرن التاسع عشر، استمدت جذورها من أصول وطبيعة النسيج القبلي المستقر بهذا المجال، وكذا من التنظيم الاجتماعي المحكم له، إضافة إلى موقع مجال وادي نون من المخزن، حيث احتفظت قبائل المنطقة التي تشكل التضاريس حائلا طبيعيا بينها وبين نفوذ المخزن بنظام اجتماعي مستقل[1]، كما ساهم الازدهار التجاري للمنطقة في تراكم رؤوس الأموال والثروات التي أدت في النهاية إلى ظهور ما يمكن اعتباره "نخبة تجارية"، تمتعت برأسمال مادي ورمزي داخل النسق القبلي لاتحادية تكنة، ستعمل على توظيفه في توسيع طموحاتها وتجسيد تطلعاتها التجارية في تقاطع مباشر مع أطماع أجنبية متواترة.

خضعت هذه الطائفة لتجاذبات محلية ودولية أعطت لمفهوم "الذِّمة" أبعادا سياسية وتمظهرات اقتصادية واجتماعية، ففي الوقت الذي كانت فيه تطبيقات أحكام "الذِّمة" خاضعة للنسق المحلي "القوى المحلية" وعلاقاته مع السلطة

---

[1]- برادة،ثريا،الجيشالمغربيوتطورهفيالقرنالتاسععشر،منشوراتكليةالآدابوالعلومالإنسانيةبالرباط،مطبعةالنجاحالجديدة،الدارالبيضاء، 1997،ص. 135.

المركزية، في إطار أحكام العرف والنظم الاجتماعية المتمخضة عنه، أخرجت تدخلات الرابطة الإسرائيلية العلمية والمنظمات الأجنبية أسر يهودية وادنونية من إطارها المحلي وعلاقاتها الوثيقة بالزعامات المحلية إلى الارتباط بالمناخ الدولي المستجد بعيدا عن حماية السلطان ورعاية هذه الزعامات.

وفي هذا الصدد تكشف إحدى وثائق سجلات المحكمة الابتدائية بكليميم عن هذا التغيير، والتي تشير إلى شراء التاجر شمعون بن حزان إلياه بن إسرائيل الإفراني الساكن بتزنيت دارا بملاح كليميم من إبراهيم الخليل بن حماد بن محمد الموسوعلي[1]

نخلص إلى أن اليهود كان لهم دور كبير في تزويد ساكنة كلميم ومجال واد نون بمتطلباتهم من السلع وكان لهم دور في اعطاء اشعاع اقتصادي للمنطقة من خلال انخراطهم المبكر في التجارة الصحراوية، وتنشيطهم لجميع المحاور التجارية الأوروبية والإفريقية والمحلية، وكانوا يتوصلون بالسلع بواسطة سفن التجار الأوروبيين بموانئ ماسة و اكادير وطرفاية قبل تأسيس الصويرة التي ظفرت فيما بعد بمجمل معاملاتهم الاقتصادية والسياسية، والتي كانت قناة الاتصال الرئيسية بين الأوروبيين بمختلف أجناسهم وزعامات الجنوب الغربي المغربي ويهود وادي نون وغيرهم .. والتي مكنتهم فيما بعد من تغيير وضعيتهم من وكلاء تجاريين وتجار جوالين في مواسم وأسواق الجنوب المغربي إلى رأسماليين أوائل وبنكيين بأوروبا.

2- التلاقح الثقافي بين المكونين العبري والعربي بوادي نون :

[1]- سجلاتمحكمةكلميم،الكناش2 ،العدد 2 ،وثيقةتحترقم 2014، 24 جمادىالأولى 1360هالموافقل 16 جوان 1941م

هناك مؤثرات عامة في الحياة اللغوية تلعب دورها ازاء انتشار الصيغ اللغوية والتراكيب وهي تتركز في عوامل مختلفة منها على سبيل المثال العامل الحضاري والعامل الديني والعامل السياسي والعامل الاجتماعي، ولعل أبرزها في ما يتعلق بحديثنا هنا هو العامل الحضاري الاجتماعي المتمثل في انتقال مجموعة بشرية معينة من مكان لآخر واختلاط المجموعة الوافدة مع السكان الأصليين، اذ من شأن ذلك خلق علاقات لغوية جديدة.

ومما لا شك فيه أنه متى اجتمعت لغتان في بلد واحد فلا بد من وجود تفاعل وتأثير وتأثر احداهما بالأخرى، سواء تغلبت لغة على أخرى أم تعايشت اللغتان جنبا الى جنب، مع الأخذ بعين الاعتبار اختلاف حجم هذا التأثير ومنهجه ونتائجه في حالة الغلبة والتعايش المشترك.

اذن شهدت منطقة وادي نون هجرات عبرية اتخذت اللغة العبرية، وشهدت جوارا بين العرب والأمازيغ واليهود، وشهدت تعاملا بين الطرفين، ما أدى الى ما يمكن الاصطلاح عليه بهجرة الألفاظ، وفي هذا الباب نورد مجموعة من المصطلحات المتداولة حتى اليوم في المجتمع الوادنوني، والتي استوحيت من اللغة العبرية. وفي هذا السياق نورد مجموعة من المصطلحات :

- **"شليح"** : تتداول هذه الكلمة بوادي نون، وهي اسم علم مذكر، وعند البحث عن معنى أو تفسير للكلمة لا نجد لها أي معنى، بالمقابل نجد أن للكلمة وجودا في اللغة العبرية وتعني المختار. اذ أن مختار طائفة اليهود يسمى : "شليح صيبور". شليح : مختار صيبور: الطائفة.
- **"تفلويت"** : الشطر الثاني من "الكاف" أو البيت الشعري الحساني. ولا يتم معنى البيت الشعري الا بقراءة الشطر الثاني منه. وعند البحث عن الكلمة

لدى الباحثين والمختصين في الشعر الحساني والصنهاجي، لا نجد تفسيرا لغويا دقيقا للكلمة سوى تعريفها الاصطلاحي وهو الشطر الثاني من الكاف. وعند البحث في العبرية نجد كلمة قريبة منها "تفلة" وتعني باللغة العبرية فريضة الصلاة، هنا ألا يمكن القول أن فريضة اتمام معنى البيت الشعري الحساني هي تفلويت، وقد يصح -حتى لا نجزم- أن كلمة تفلويت مستنبطة أو مقتبسة من اللغة العبرية.

- **طبسيل** : تعني الصحن أو الاناء الذي يوضع فيه الطعام، وهو مصطلح متداول بالمنطقة، وعند البحث عن الكلمة نجد أنها مستنبطة من اللغة العبرية، اذ نجد في المقابل باللغة العبرية "تفشيل" وللكلمتين نفس المعنى والدلالة.

ظلت منطقة وادي نون ومنذ القرون الأولى منطقة استقطاب لمجموعات بشرية، اتخذت من المنطقة منطقة استقرار أو عبور، ومن ضمن هذه المجموعات التي لا زالت آثارها قائمة الى اليوم، المجموعات اليهودية التي استقرت بل أصبحت فاعلا تميزا في مجموعة من المجالات كالتجارة والحرف اليدوية، فكان وجودها في صلب العملية الاقتصادية عاملا كبيرا في عملية التأثير والتأثر باللسان العربي المحلي.

المبحث الثاني: العلاقات بين اليهود والمسلمين من خلال وثائق محلية رسمية

1- الحماية القانونية لليهود

في هذا المحور قمنا بالبحث في الطرق والوسائل التي يدبر وينظم بها السكان بكلميم علاقاتهم التجارية مع اليهود، من خلال توظيفنا لوثائق قانونية عدلية عبارة عن رسوم وعقود تجارية عرفية واسلامية، فالإنسان يعتبر مدني

بطبعه ويعيش داخل الجماعة والحياة داخل الجماعة لا تخلو من منازعات: اقتصادية، تجارية، عائلية، جبائية... ويستدعي هذا الأمر حلولا لهذه المشاكل للحد من الفوضى وفرض الامن والاستقرار.

إذن فللمجتمع المركب بوادي نون مشاكل تستمد من طبيعة نمط العيش، وأمام هذه المشاكل المشتركة أبدع الإنسان قوانين يحتمي بها لضمان الأمن والاستقرار واستمرار توازن المجتمع، ومن أبرزها قانون أهل الذمة في الإسلام أو ما يصطلح عليه " المحميون" من اليهود والمسيحيين، ويضمن هذا القانون للجماعة اليهودية العديد من حقوق الذمي التي تصونه في ماله ونفسه، وكذلك قانون الجزية وهي ضريبة يؤديها الذمي/ اليهودي من اجل الاستفادة من حماية القبيلة للملاح، فشيوخ القبائل ملزمون بحماية الملاح وساكنيه، مقابل الحصول على جبايات في شكل سلع تجارية كانت تمر عبر كلميم. ومن أبرز هذه العقود كما أشرنا سابقا عقد أبناء بيروك مع يهودي ملاحهم، والذي ينص على: **"(...) وبعد فقد عقدوا أبناء الشيخ أمبارك (بيروك) على يهود ملاحهم جميع ما يعطونه من الجزية مائة وخمسون مثقالا ويعطونه ستون أكميم من الحديد وخمسة رطلا من الهند ويعطونهم ريالا لكل رطل من الريش ويعطونهم خمسة مثقالا لكل حمل خارج من قرية كَليميم من جلد وصوف وعلك وغير ذلك"**[1].

ثم تسترسل الوثيقة: **"وهاذا كله بين محمد بن الشيخ مبارك وأخوه الحبيب أثلاثا لمحمد ثلثين وللحبيب ثلث وجميع من ذكر عليهم من اليهود أعلاه يعطي خمسون مثقالا أضعافا ومن اشترى من اليهود سرقة يعطيهم مائة مثقالا أنصافا وجعلوا نحو ذلك ثلاثة وكلاء (...) لعبد الرحمان (...) عشرة ريال لكل رطل إن**

[1]- وثائقأحمدفالمجيدري،عقدحمائيلأبناءبيروك (محمدولحبيب) معيهوديملاحهم،مؤرخبأواخرربيعالثانيعام 1281ه/ سبتمبر 1864م

بحال (كذا) وأنه ضمن عبد الرحمان بن الشيخ مبارك والحبيب بن الشيخ في جميع ما تلف في ملحهم عند اليهود يعطونه مناصفة للضامن عبد الرحمان بن الشيخ مبارك وكتبه من أشهد على ذلك وهم بحال صحة وطوع وجواز أمر بتاريخ أواخر ربيع الثاني عام 1281 هجرية عبيد الله محمود عبد الرحمان بن محمد الكَلميمي الله وليه آمين"[1].

ثم تضيف الوثيقة على وجه الاستدراك **"وهذا فعلوه مع اليهود يعطوه لهم في خدمة الملاح وعلى ما سلف في المقابلة في الصك الذي في مقلوبه للكبير منهم وأن التالف في الملاح أثلاثا لمحمد علي محمد ثلثين وعلى الحبيب ثلث، وكتبه شاهدا به مستدرك في التاريخ أعلاه محمود بنعبد الله الرحمان بن محمد وعبد ربه أحمد رزوق بن الحاج أحمد الفلالي أصلا الجلميمي دارا ووطنا(...)"[2].**

كما كان اليهود أيضا بمنطقة كلميم يعاملون في قضية الأسرى معاملة حسنة في انتظار أن تؤدى عنهم الفدية، وقد برز دور اليهود في هذه القضية في قبائل واد نون كوسطاء في تبادل الأسرى مقابل أموال تستفيد منها القبائل[3].

إن حساسية الأنشطة التجارية التي يمارسها اليهود بمجال واد نون، خاصة عندما يكون الذمي طرفا في إحدى الدعاوي القضائية ضد أحد خصومه المسلمين. جعلت القبيلة والمعنيين والمحاكم العرفية والمدنية، يحرصون على إعطائها ما تستحقه من اهتمام، وبالتالي تقتضي فيها تطابق للشريعة الإسلامية وكذلك الأعراف القبلية أو ما يصطلح عليه بالقانون العرفي، خاصة الأمور المتعلقة بالبيع

---

[1]- المرجعنفسه

[2]- نفسه

[3]- نوردفيهذاالصددقضيةكانللمكونااليهوديدورحاسمفيفكأسرالأسربالذينكانوافيقبضةلحبيببنبيروكزهاءثمانيةسنواتمقابلفديةقدرها 27.000 ريال. للمزيدمنالمعلوماتحولهذهالقضيةأنظر: شروتر،تجارالصويرة،م،س،ص. 351. Abitbol, Les 5. Commerçants, Op.Cit, P

والشراء والقراض والالتزامات والملكية، فعندما ينحصر أمر المعاملات والنزاعات بين اليهود يكون الأمر أسهل، ويكون الأمر أكثر تعقيدا إذا كان الطرف الأول يهودي (ذمي) والطرف الثاني مسلم، وهذا النوع من المعاملة أمر طبيعي على اعتبار أن السكان المسلمين كانوا هم القاعدة العريضة التي تكون الزبائن والمشترين والمستدينين، وأحيانا الدائنين، وعندما تعدى مثل هذه القضايا صلاحية المحاكم اليهودية فإنها تعرض أمام القضاء الإسلامي والأعراف القبلية، تقضى كل الخصومات والمصالح التجارية التي تحدت بين اليهود والمسلمين، أمام المحاكم الإسلامية فيقضي فيها القاضي والعدول والشهود تبعا للحالة.[1]

ويذكر أنه في القانون العرفي يتم التشديد داخل القبيلة على حماية الإنسان الوافد والغريب على أرضها، وتحرص القبيلة على تمديد تلك الحماية حتى تشمل اليهود وغيرهم من الأجانب المعرضين للخطر، ظهرت الحاجة إلى وضع ضوابط ضرورية تتوخى تنظيم ذلك، ويتم تحديد الأفراد القادرين على استضافة الغرباء في القبيلة تحفظ الذميين وتفرض غرامات على كل من ضرب يهوديا أو ألحق به الأذى، لأن اليهودي يعامل كعار الجماعة ويستفيد من الحماية في ماله ونفسه[2]، بل أكثر من ذلك يعتبر الهجوم علي اليهوديانتهاكا لحرمة الرئيس أو لحرمة القبيلة التي توفر الحماية له[3].

2- طبيعة العلاقات بين الطرفين من خلال وثائق محكمة كلميم

سنعرض في هذه النقطة لبعض المواقف تجاه المعاملات ين المسلمين واليهود التي تعرض على المحاكم الشرعية الإسلامية بمنطقة كلميم في المرحلة

---

[1] عمربوم،يهودالمغرب،المرجعنفسه،صص80

[2] نفسه،ص 85

3-شروتر،تجارالصويرة،م،س،ص.177-178

الاستعمارية[1]، ومن بينها قضايا القروض بالفائدة أو بدون فائدة، وعقود الشركة ثم العقود التجارية أو العقود المعروفة بالشراكة برأس المال. فهذه الوثائق هي بمثابة ترجمة لما يجري في الجماعة والالتفات حولها من قبل المجموعات التي تنتمي اليها ينبني على وجود نظام معين يلتزم به، وهذا يربطنا مباشرة بما يجري داخل الجماعة، فهذه الوثائق العدلية ستساعدنا على إبراز جوانب هامة من التاريخ الاجتماعي، وهو تاريخ مشوق يختلف عن التاريخ المعهود، وفيما يلي سنعرض لبعض النماذج من هذه الوثائق العدلية المنتقاة من سجلات محكمة كليميم، على أن نردف بعدها مباشرة بتحليل دقيق لجل مضامينها.

- الوثيقة الأولى:

"إشهاد محمد بن مبارك بن منصور بن علي التريكزي أيت حماد علي أزوافيط، أنه قبض ستة ألف ريال على وجه القراض الجاري بين المسلمين من ماسكه التاجر شالوم بن هارون"[2].

- الوثيقة الثانية:

"إشهاد من محمد لحبيب بن الطاهر بن كريسان الزفاطي أنه قبض ثلاثة ألف ريال من التاجر شالوم بن هارون الجلميمي، على أن يبيع بها الأول ويشتري بها وما أفاء الله عليهما من ربح من ذلك يكون مناصفة سويا بينهما"[3]

- الوثيقة الثالثة

---

[1]- حولالتنظيمالقضائيبوادينونفيالمرحلةالاستعمارية،أنظر: رحالبوبريك،زمنالقبيلةالسلطةوتدبيرالعنففيالمجتمعالصحراوي،الطبعةالأولى،دارأبيرقراق،الرباط، 2012،صص. 315-328

[2]- سجلاتمحكمةكليميم،الكناش2 ،العدد 2 ،وثيقةتحترقم 1929 ،مؤرختب 27 جمادىالأولى 1360هالموافقل 22 يونيو 1941م

[3]- سجلاتمحكمةكليميم،الكناش2 ،العدد 4 ،وثيقةتحترقم 1739،مؤرختب 25 ذيالحجة 1359هالموافقل 24 يناير 1941م

"الحمد لله (...) أدى لدينا أحماد بن العبد الموسى وعلي الخميسي أنه حاز بيده خمسة وثلاثين ألف ريال من يد الذمي التاجر هارون بن شالوم وأخيه إلياه اليهوديان الجلميميان على سبيل الشركة والقراض الجاري بين المسلمين وما أفاء الله عليه من الربح يكون بينهما مناصفة. انتهى بخط محمد المصطفى بن محمد ومحمد بن الطاهر .. العبيد الحرمة"[1]

- الوثيقة الرابعة

"إشهاد لسيد ابراهيم بن مبارك من زاوية أتول، أنه اشترى له التاجر كير ابن إلياه عجلة وعجلة ذكر من البقر بمائة ريال وخمسين ريال سكة تاريخه وحازهما الأول حوزا تاما على وجه الشراكة بينهما والربح بينهما مناصفة"[2]

- الوثيقةالخامسة

"إشهاد لسيد ابراهيم بن مبارك من زاوية أتول، أنه اشترى له التاجر كير ابن إلياه ثمانية رؤوس من الغنم ب ستة وسبعين ريالا وحازهما الأول من الثاني حوزا تاما على وجه الشراكة بينهما والربح بينهما مناصفة"[3]

- الوثيقة السادسة

"إشهاد للمسمى مبارك بن محمد السموري الإكيسلي بحضور القاضي العبيد الحرمة، يشهد أنه قبض وحاز بقرة شائلة بإبنها بأربع وسبعين ريال من عند الذمي التاجر ابن إسحاق الجلميمي على وجه الشركة وكذلك عجلة ب 22 ريال على وجه

[1]- سجلاتمحكمةكليميم،الكناش2 ،العدد 4 ،وثيقةتحترقم 1313،مؤرخةب 13 جمادى 1370هالموافقل 21 مارس 1951م
[2]- سجلاتمحكمةكليميم،الكناش2 ،العدد 2 ،وثيقةتحترقم 1655،مؤرخةب 5 ذيالقعدة 1359هالموافقل 25 دجنبر 1940م
[3]- سجلاتمحكمةكليميم،الكناش2 ،العدد 2 ،وثيقةتحترقم1654،مؤرخةب 5 ذيالحجة 1359هالموافقل 25 دجنبر 1940م

الشركة والربح والنسل وغيره يكون مناصفة سوية بينهما لا فضل لأحدهما على الأخر بعد نضوض رأسمال كله ورجوعه إليه كاملا"[1].

- الوثيقة السابعة

"الحمد لله (...) وبعد فإن الذمي إلياه بن شالوم بن هارون اشترى بقرتين واحدة كحلا والأخرى دخناء وثمانية خرفان من الضأن بثمن قدره ستة ألاف ريال وحازهم منه الحسين بن علي أمهد الزفاطي على وجه الشركة والقراض الجاري بين المسلمين وعليه المرعى والتقويم والربح فيما تناسل منهما يكون بينهما مناصفة انتهى بخط محمد المصطفى بن محمد ومحمد بن الطاهر العبيد الحرمة"[2]

- الوثيقة الثامنة

"أشهد أحميد بن محمد العريبي أصلا الموسوعلي مسكنا أنه ضمن جميع الملك الكائن بأسرير المرهون تحت يد ربيش بن محمد الحسين الزفاطي ماء وتراب ونخيل وغير ذلك لليهودي مسعود ابن موشي بملاح أكليميم بمائة ألف ريال التي بذمة أحميد المذكور بعد أن دفع اليهودي إحدى وثلاثين ألف ريال لربيش بن محمد المذكور فصار جميع المال مائة ريال وإحدى ثلاثين ريال بعد أن جعل عقد الأجل ستة أشهر بخط محمد بن الطاهر ومحمد المصطفى بن محمد المدني الحمد لله العبيد الحرمة "[3]

- الوثيقة التاسعة

---

[1]- سجلاتمحكمةكليميم،الكناش2 ،العدد 2 ،وثيقةتحت 429،مؤرخةبذيالحجة 1357هالموافقل 25 يناير 1938م

[2]- سجلاتمحكمةكليميم،الكناش2 ،العدد 4 ،وثيقةتحترقم 669،مؤرخةب 23 جمادىالأولى 1369هالموافقل 13 مارس 1950م

[3]- سجلاتمحكمةكليميم،الكناش2 ،العدد 4،وثيقةتحترقم 576،مؤرخةب 15 ربيعالنبوي 1369هالموافقل 3 يناير 1949م

"الحمد لله (...) أدى لدينا اعمر سالم بن محمد بن برك الموسى وعلي بأنه استلزم لماله وذمته خمسة آلاف ريال سكة تاريخه لماسكه الذمي التاجر هارون بن شالوم اليهودي الجلميمي والأصل في ذلك على الأول للثاني سلف الله والإحسان وضمن له فيما ذكر من الثمن المذكور دارهما الكبيرة الصائرة إليهما بالشراء من عند أل أحمد بن مبارك المعروفة لوالدته أمينة بنت عابدين والأجل في الاغرام شهرين كاملين. انتهى بخط محمد المصطفى بن محمد ومحمد بن الطاهر العبيد الحرمة"[1]

- الوثيقة العاشرة

"الحمد لله (...) أدى لدينا محمد بن (...) الموسوعلي أنه بماله وذمته ثمانية عشر ألف ريال سكة فرنكية لماسكه اليهودي إلياه بن التاجر شالوم بن هاروم وأصلها عليه باع له قيمة ذلك سلعة مختلطة دينا مؤجلة عليه أربعة أشهر وضمن له فيها حوانيته الخمسة الخارجين من داره للسوق وحيث انصرم الأجل يؤدى له ماله. انتهى بخط محمد المصطفى بن محمد ومحمد بن الطاهر، العبيد بن الحرمة"[2]

- الوثيقةالحادية عشر

"الحمد لله (...) أشهد الشيخ عبد الله بن محمد بن اعبرات المحمدي الزفاطي أن عليه في ماله وذمته أربعة آلاف سكة فرنكية لماسكه الذمي هارون بن شالوم بن هارون الجلميمي أصلها عليه ثمن السكر والشاي والخنط مؤجلا عليه إلى موسم

[1]- سجلاتمحكمةكليميم،الكناش2 ،العدد 4 ،وثيقةتحترقم 1301،مؤرخةب 9 جمادى 1370هالموافقل 17 مارس 1951م
[2]- - سجلاتمحكمةكليميم،الكناش2 ،العدد 4 ،وثيقةتحترقم 668،مؤرخةب 23 جمادىالأولى 1369هالموافقل 13 مارس 1950م

سيدي محمد بن عمر المقبل يؤدى له **ذلك** لا يبريه إلا الواجب. انتهى بخط محمد المصطفى بن محمد ومحمد بن الطاهر العبيد الحرمة"[1]

- الوثيقةالثانية عشر

"الحمد لله (...) أدى عيسى بن أحماد أيحي الحسني البمكوتي أنه بماله وذمته عشرين ألف ريال سكة تاريخه لماسكه اليهودي مير بن مسعود الجلميمي والأصل في ذلك على الأول من قبل السكر والشاي إلى موسم الأقصاب. انتهى بخط محمد المصطفى بن محمد ومحمد بن الطاهر العبيد الحرمة"[2]

- الوثيقةالثالثة عشر

"الحمد لله (...) أشهد لدينا عبد الهادي بن الصالح بن أهويد الركيبي من فخذة أولاد بو الرحيم أن قبله وذمته وماله لليهودي التاجر نسيم بملاح اكليميم ستة آلاف ريال سكة تاريخه أصلها عليه قيمة الخنط والكتان والأجل في الإغرام موسم سيدي الغازي المقبل. انتهى بخط محمد بن الطاهر ومحمد المصطفى بن محمد العبيد بن الحرمة"[3]

- الوثيقةالرابعة عشر

"الحمد لله (...) أدى المعلم اسعيد بن حمرون عتيق الفقيه سيدي علي ابن البخاري الجلميمي أنه كرى ابنه محمود للتاجر إلياه بن سعود اليهودي سكناه بالدار البيضاء على يد هارون بن موشي الجلميمي بثلاثمائة ريال لكل شهر سكة

---

[1]- سجلاتمحكمةكليميم،الكناش2 ،العدد 4 ،وثيقةتحترقم 670،مؤرختب 23 جمادىالأولى 1369هالموافقل 13 مارس 1950م

[2]- سجلاتمحكمةكليميم،الكناش2 ،العدد 4 ،وثيقةتحترقم 1114،مؤرختب 6 ربيعالنبوي 1370هالموافقل 16 دجنبر 1950م

[3]- - سجلاتمحكمةكليميم،الكناش2 ،العدد 4 ،وثيقةتحترقم 159،مؤرختب 5 جمادى 1368هالموافقل 14 أبريل 1941م

فرنكية ومؤونته ولباسه على السنة من فاتح شوال الماضي تأتي لتاريخه وشرط معه أن يقدم له إجارة ابنه السنة المذكورة عددها ثلاثة آلاف ريال وستمائة ريال (...) ودفعا له أربعمائة ريال معاينة والباقي يأتي به هارون بن موشي المذكور وقت رجوعه من الدار البيضاء ويدفع له تماما. انتهى بخط محمد المصطفى بن محمد ومحمد بن الطاهر العبيد الحرمة".[1]

إن الوثائق التي استعرضنا مقتطفات منها، هي عقود تجارية تعبّر عن أشكال من المعاملات كانت سائدة بين اليهود والمسلمين تجاريا واجتماعيا بمنطقة كلميم، وهي وثائق تعود إلى سنوات الحماية الفرنسية على المغرب، وهي محفوظة في أرشيف المحكمة الابتدائية لكلميم، ومصنفة حسب التصنيف الذي اعتمدناه في الهوامش.

والملاحظ أن غالبية هذه الوثائق تعود كتابتها إلى قاضي المدينة آنذاك الشهير "العبيد الحرمة"، وإلى عدول وشهود مسلمين محليين آخرين، وبقراءتنا لهذه الوثائق يتضح أن العلاقة بين الفئتين كانت عميقة وقوية جدا على مستوى المعاملات. إذ نلاحظ أن التجار اليهود -كما هو مبين في الحالة (الأولى والثانية والثالثة)- قد كانوا يقرضون المال للمسلمين من أجل قضاء أغراضهم دون اللجوء إلى الربا أو ما شابه ذلك، وهو أمر واضح جلّي كما تشي إليه تلك العبارة التي تُقِرُّهَا جُلُّ الوثائق في مثل تلك المعاملات "على وجه القراض الجاري بين المسلمين"[2].

فعلى مستوى "القراض"؛ نلاحظ أن الطرف المقرض يقدم مبلغا معينا مقابل تحقيقه مزيدا من الكسب، وهذا النوع من المعاملات يطرح بعض المشاكل -

[1]- سجلاتمحكمةكليميم،الكناش2 ،العدد 4 ،وثيقةتحترقم 896،مؤرخةب 1 ذيالقعدة 1369هالموافقل 15 غشت 1950م
[2]- راجعالوثائقالمتعلقةبعملية "القراض" المعروضةأعلاه.

خاصة في أوقات الشدة- عندما يسود الجفاف والأوبئة والمجاعات إلخ... والقراض في الشريعة الإسلامية هو شكل من أشكال الشراكة ويختلف قليلا عن الشراكة العادية المعروفة ب "الشركة" وفي الحالة المتعلقة بالقراض فإن المزود برأس المال هو من يتحمل لوحده جميع التبعات، ومن الناحة الشرعية فقد تم الاتفاق بين مختلف المذاهب الفقهية على جواز شراكة المسلم مع الذمي طالما أن هذا الأخير يحكم قبضته على التجارة. وفي هذا الصدد يحتفظ التراث الإسلامي بتجربة نموذجية للنبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، الذي سبق له أن عقد شراكة بالقراض مع السيدة خديجة التي أصبحت فيما بعد زوجة له، حيث مدته برأس المال، مقابل خبرته وحنكته في العملية التجارية[1]. وتمثل هذه القضايا المطروحة أعلاه نموذجا لشراكة بالقراض التي جمعت اليهود والمسلمين بالمنطقة.

وفيما يتعلق بالحالة (الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة) نرى أن كل من التاجر شالوم بن هارون ومسعود بن موشي الذمي يشترون الأبقار والأغنام للمسلمين من أجل الشراكة التي من خلالها ينتفع الطرفين والمبنية على الربح بينهما خاصة في النسل وهذه كلها معاملات تجارية مربحة كما أنها معاملات إنسانية تعبر عن مجتمع منسجم ومتضامن ومتعايش.

وتعطينا الحالة (الثامنة والتاسعة والعاشرة) قضية أخرى تعالجها هذه الوثائق وهي قضايا السلف مع الضمان، وهي من الاستراتيجيات الاقتصادية التي اعتاد التجار اليهود استخدامها لتحقيق الربح. وقد أولى الباحث الغمائد اهتمامه بهذه الممارسة، والتي كانت تتم عن طريق استغلال الوضعية الخانقة لزبنائهم المسلمين من ملاكين الأرض المتمثلة أساسا في تزايد ديونهم حتى يتم انتزاع توقيعات عقود

[1]- عمربوم،يهودالمغرب،م،س،ص. 95

رهن أو ما كان يسمى في المعاملات العقارية ببيع الثنيا[1]. ويمكن ملامسة ذلك في الوضعية الخانقة التي تصورها الوثيقة لملاك الأرض الذي التجأ للقرض ضامنا لأرضه التي كما هو مبين لا زالت مرهونة لأحد ما (الحالة الثامنة). نفس ما تشير له الحالات الأخرى (التاسعة والعاشرة) ولو بصورة أقل من سابقها.

وتظهر لنا الحالة (الحادية عشر والثانية عشر والثالثة عشر) نوعا أخر من المعاملات والتي تفشت على نطاقها الواسع، وهي عملية بيع بعض المواد التجارية ذات الأولوية (السكر، الشاي، الخنط، الكتان) للمسلمين (الرحل والمستقرين) بالدين، وهو ما توضحه الحالات المذكورة التي شكل تاريخ المواسم السنوية لمنطقة وادي نون كما هو مبين في الوثائق أعلاه موعدا لسداد.

وتعتبر الحالة الأخيرة (الرابعة عشر)، فريدة من نوعها، إذ تختلف عن سابقاتها من حيث الموضوع الذي تثيره، ونوعية المعاملات التي تتحدث عنها (التأجير والسخرة)، إذ تذكر أنه اكترى عبدٌ (حر فقيه بكليميم) ابنه لتاجر يهودي بالدار البيضاء مقابل اتفاقهما على أن يؤدي التاجر الأجير مبلغا ماليا شهريا محددا عنه مقابل خدمته، مع تسديد حاجاته من المؤونة واللباس سنويا، وكذا تمتيعه بإجازة سنوية خاصة...وبذلك فهذه الحالة توضح أن المعاملات مع التجار اليهود قد كانت مفتوحة ومضبوطة بالتراضي، وتشمل حتى اكتراء وتأجير الأشخاص لمساعدتهم والخدمة لهم مقابل القيام ببعض الالتزامات والواجبات اتجاههم.

المبحث الثالث : المــلاح اليــهودي بإفــران

تكاد تتفق جل الدراسات التي أنجزت حول اليهود المغاربة على أن الملاح كمفهوم وبنية لم يظهر إلا في عهد المرينيين ، وأول ملاح يعود تاريخه بالتحديد

[1]- الغمائد،يهودمنطقةسوس،م،س،ص. 130-131

إلى سنة 1438، وهو بفاس ثم مراكش سنة 1557 ومكناس سنة 1679 م والصويرة عام 1765 والرباط وسلا وتطوان سنة 1808[1] (5) ويحيل لفظ الملاح ربما إلى فضاء مدخل فاس والذي خصص لوضع وتجميع الملح الذي يستخرج من المناجم المجاورة [2] .

نستنتج أن مصطلح الملاح كان يطلق على تجمعات اليهود في المناطق الخارجة عن السلطة المركزية. أما الدلالة اللغوية في القاموس المحيط فنجد بأن كلمة ملاح تفيد "بائع الملح"[3]، وهو مايدعو الى الاعتقاد بوجود علاقة بين الاسم وتجارة الملح كجزء من النشاط التجاري اليهودي. وبالرجوع الى مقومات التجارة المغربية قديما، نجد أن مادة الملح كانت تشكل ركيزة أساسية من بين السلع التجارية المغربية، اذن يمكن القول أن الملاح كان مجالا لتجارة الملح، أو أنه بني على أرض تعرف نسبة من الملوحة كما يذهب الى ذلك عبد العزيز الخمليشي[4].

كانت للملاح عدة وظائف لعل أبرزها توفير الحماية لليهود من لدن سلاطين المغرب طبقا لمقتضيات الشرع الاسلامي، وخدمة لبعض المصالح الاقتصادية والسياسية كما يشير الى ذلك عبد الرحمن بن زيدان: "فملوك المغرب وسادته عرفوا كيف يتفادون اصطدام المسلمين مع اليهود ويجنبونهم الوقوع في المشاكل معهم، ويتقون سوء تفاهم يقع بين مواطنين يقلل من راحة الدولة، فضربوا بينهم

1 - مقالاتحولالتاريخوالحضارةاليهوديةالمغربية،سيمونليفي.
2 - نفسه
33- الفيروزأبادي،القاموسالمحيط،مادةالملح
4- عبدالعزيزالخمليشي،مسألةبناءالملاحات،مجلةدراسات،عدد 19، 1988،ص 37.

سورا وبنوا لليهود من خلفه ملاحا يأويهم مستقلين في سكناهم مطمئنين الى حياتهم وتقاليدهم"[1]. بالإضافة الى الرغبة الملحة لدى اليهود في الانفراد بحي منعزل تسهل فيه ممارسة الطقوس اليهودية دون ازعاج الجار المسلم، وتخليد الأعياد والمناسبات الدينية، وتنظيم بعض الخدمات الطائفية[2]، وهناك أسباب أخرى لبناء الملاحات حددها البعض في موجة اليهود المطرودين من اسبانيا سنة 1492، مما أدى الى زيادة النمو الديمغرافي بالمغرب.

وفي إفران، يعد الملاح اليهودي من أبرز المعالم التاريخية ، إذ يشير إلى تاريخ استقرار اليهود بالمنطقة، الذي ترجح بعض الروايات أنه كان قبل مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) بحوالي 570 سنة، موزعين على أربع مناطق مهمة وهي : " اداوماركت" "أكماض" "إكاسلن" وأخيرا "السوق أوفلا" ويعتبر هذا الأخير أشهر هذه المواقع ، ويقع بالجهة اليسرى لواد إفران ،وهو أول ملاح شيد بالمنطقة " حسب استنتاجنا ". ويتكون الملاح من مجموعة من المنازل أو الديور المتناسقة فيما بينها والتي بنيت جميعها بالطين وتتميز بتقاربها الشديد وأشكالها الهندسية الجميلة ، كما توجد هناك كنيس وهو عبارة عن مكان داخل الملاح يشبه المسجد وهو على شكل مقصورة تتوسطها أربعة أعمدة ومكان مرتفع وظيفتها إقامة الشعائر الدينية بها.

عدد Monteil الاسر التي سكنت ملاح إفران بقرية " السوق أوفلا" سنة 1948 في 37 أسرة تضم 146 فردا. لقد كانت الطائفة فيما مضى أكثر عددا ثم تعرضت لانحسار شأنها شأن طوائف في ملاحات "تمنارت" و "أقا" و "طاطا" ،

[1]- عبدالرحمنبنزيدان،العزوالصولةفيمعالمالدولة،المطبعةالملكية،الرباط، 1962،ج2،ص32.
[2]- العربيالصقلي،مذكراتمنالتراثالمغربي،مدريد، 1986،ج8،ص18.

كانت تضم سنة 1883 حسب Charles de Foucould 46 عائلة ، ولم يجد فيها Monteil سنة 1945 سوى 34 أسرة[1].

هذا الانحسار الديموغرافي يجد تبريره في هجرة بعض العائلات الى الشمال، فالكثير من الاسر اليهودية التي تعيش في الصويرة "Mogador" وغيرها من المدن ترجع أصولها الى الملاح إفران[2] ، كما أن يهود " إيليغ" يستمدون أصولهم من هذا الملاح وقد غادروه في عهد الامارة السملالية للاستقرار بها في سياق نشاطهم التجاري.

من العائلات التي سكنت ملاح إفران نذكر : بوغانيم ــ سوساني ــ سوسان ــ بن سوسان ــ كادوس ــ براهام ــ بردخاي بن هارون ــ يوسف بن هارون ــ هارون بن يوسف ــ شاقون بن يوسف ــ ناسيم بن يوسف ــ موشي بن يوسف ــ موشي بن داود ــ يوسف ــ مخلوف أوكواس ــ مخلوف بن عكو ــ ماشان يش إنهانون ــ شالوم بن دمناتي ــ شامون بن هودا ــ براهام بن هودا ــ موشي بن مسعود ــ باشا بن فريم ــ مخلوف بن فريم ــ ماييز بن كليلي ــ بن سراف ــ براهام بن حجامِ براهام بن إلكوين ــ إلياس بن عسو ــ إشوك الشرقي ــ عسو بن دمناتي ــ ماييز بن عسو ــ الحجان بن براهام ــ إعش بن عكو ــ نسيم بن براهام ــ بن كانون ــ عسو بن يحيى ــ عسو بن تباخان.

تجتمع أكثر من عائلة داخل منزل واحد من أربع الى خمس عائلات ، ولا يقتصر هذا الاجتماع على عائلات القرابة كما نجد لدى بعض الاسر المسلمة ، بل

---

[1]- Monteil. Vمرجعسابقص: 153-154.

[2]- فيالقرن 18
هاجرتأسريهوديةمنإفرانالىالصويرة،وبلغنشاطهاالتجاريالىحدإنشاءوكالةتجاريةبلندنكانتذاتأهميةكبرىفيالعلاقاتالتجاريةالمغربية ــالإنجليزيةآنذاك .

قد يشمل عائلات لا تربط بينها قرابة . ويشكل " المراح" داخل المنزل فضاء مشتركا بين يهود الملاح والتي تتخذ أشكالا أكثر وضوحا من خلال الاهتمام بالفئات الفقيرة ومدارسة قضاياها ، وان لم تكن تمثل سوى نسبة قليلة ، وقد يمتد هذا التضامن الى اليهود من ملاحات أخرى حيث كان يتم جمع "الندابة" داخل الملاح وهي صدقات مالية كانت تخصص لمساعدتهم.

إن ازدحام المساكن داخل الملاح ووقوعه عند قدم الجبل، بالإضافة الى طول مبانيه وأسواره التي قد تحجب عنه ضوء الشمس ، من شأنه أن يجعل منه مكانا غير نظيف تنتشر فيه القاذورات ومزابل سماد الحيوانات وبقايا المواد المختلفة، وبقايا المواد المستعملة في صنع " الماحيا / Eau de vie" مما يهيء لانتشار الامراض المختلفة ، ففي سنة 1945 م توفي 50 يهوديا في ظرف ليلة واحدة جراء الاصابة بالوباء ، مما دفع بسلطة الاستعمار الى فرض حجر صحي على الملاح[1].

ومن مميزات المكان كذلك وجود مقبرتين: مقبرة " أكني وداين" وهي قديمة جدا، ومقبرة تدعى " المعارة " وتوجد قرب الملاح ويقال أن "سمية نورا" الولية اليهودية دفنت بها. ومن طبيعة القبور اليهودية بهذه المنطقة أنها تتشكل من طبقات من طبقات يبلغ عددها سبع.

وقد ساهم ملاح إفران في الحفاظ بشكل كبير على الخصوصية اليهودية لمئات السنين ، وداخل هذا الفضاء كان اليهود يقيمون أعراسهم وأفراحهم ويحيون مواسمهم وأعيادهم بدفء وشاعرية ، بيد أن هذا الملاح الذي ظل يشكل لفترة طويلة جزء من التراث والذاكرة تجده في أواسط القرن الماضي يعرف نزيفا

1- روايةالشكوكيأحمداوعلي (75 سنة،مقيمبالسوقأوفلا).

مهولا وتقلصا في ساكنته فلم يعد في يومنا هذا من الملاح غير التسمية والجدران. رغم أنه يعرف من حين لأخر بعض الزيارات ليهود إفران مغتربين الذين يراودهم الشوق والحنين لرؤية مراتع الصبا.

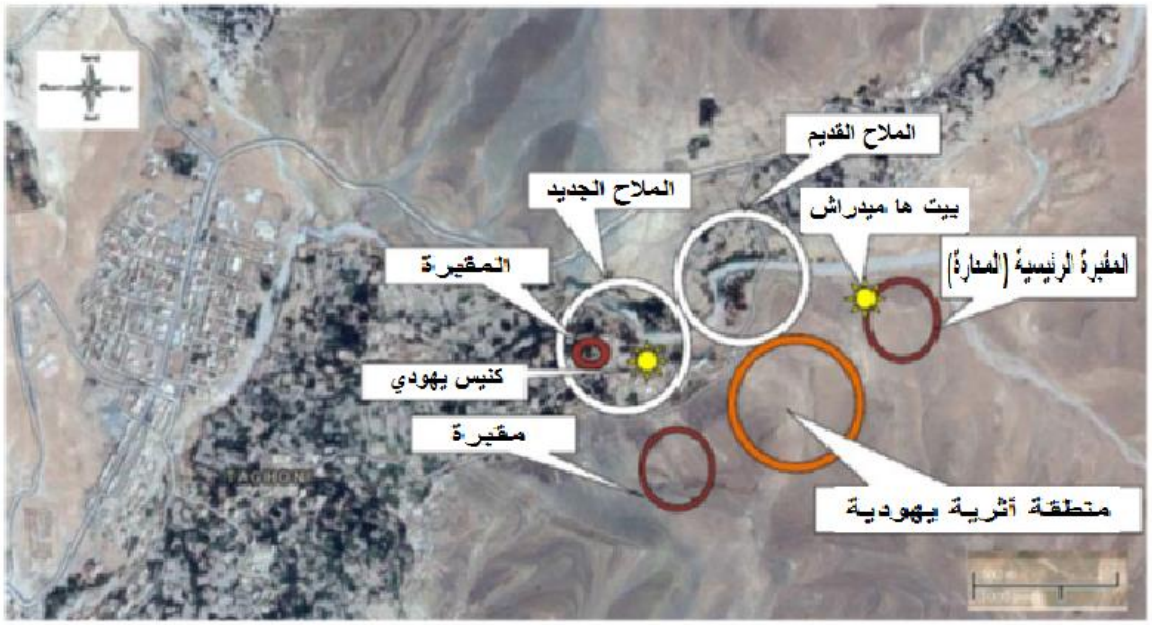

صورة جوية للملاح اليهودي بافران

الحزان أو النكيد، الدور والمكانة :

من خلال قاموس المصطلحات الدينية لليهود المغاربة، نجد أن لفظة "الحزان" تعني امام البيعة وخادمها[1]. هذا الأخير باعتباره كبير اليهود وامام مرجعيتهم الدينية، يحظى باحترام وتقدير كبيرين من طرف الساكنة المسلمة بوادي نون، وذلك لخبرته الواسعة بالشؤون الدينية مما يؤهله لتقلد مهام كثيرة داخل الجماعة

[1]- حاييمالزعفراني،يهودالمغربوالأندلس،ترجمةأحمدشحلان،ج2،مطبعةالنجاحالجديدة، 2000،ص 399.

اليهودية، في مقدمتها تنوير وتعليم الأطفال الصغار اللغة العبرية، وتدريسهم التوراة، وغير ذلك مما يتعلق بتعليم شعائر ومعتقدات دينية يهودية. ويتولى عملية ذبح الأضاحي والتي تحل لهم أكل لحومها، اذا لم يتبع ويشرف بنفسه على عملية الذبح وله كل الصلاحية في اصدار الفتوى بحلال هذه الذبيحة أو تحريمها. فالذبيحة اذا ذبحت بإعادة السكين مرتين تكون حراما، اذ يتم وضع الذبيحة على الجهة اليسرى ويمرر السكين في جهة واحدة مرة واحدة دون اعادته.[1]

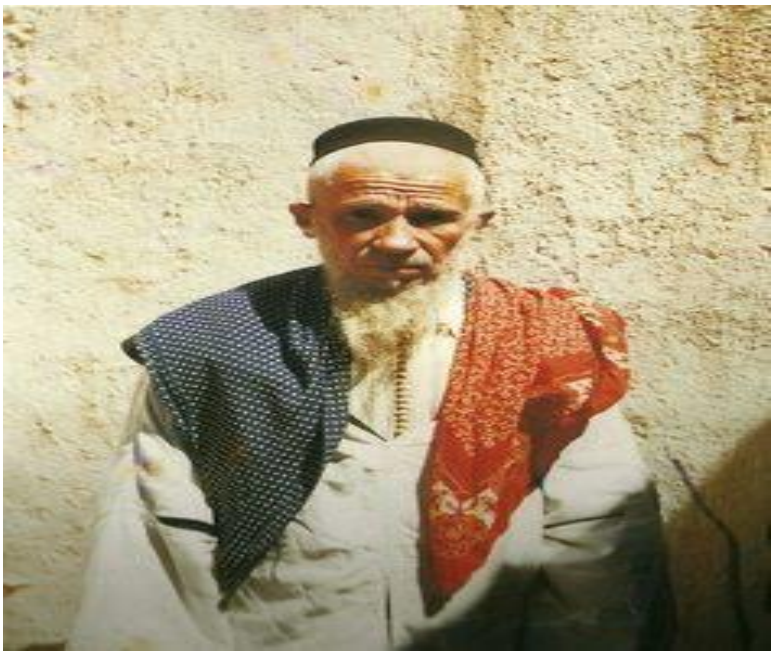

صورة : الحزان روبين افركان سنة 1955 بافران الأطلس الصغير

يقوم الحزان بتعيين الرجال الذين يشرفون على الموت وطقوسه المعقدة، كما يسعى الى فك النزاعات ومنح البركات ولا زالت شخصية الحزان تجسد في الطقس الاحتفالي المسمى "امعشار" حتى يومنا هذا بملاح افران.

1- العلاقات الاجتماعية لليهود بإفران

[1]- افادةللسيدجوزيفالباز،يهوديمنفاس، 2016/12/15

مارس يهود إفران التجارة وكانت لهم علاقات تجارية واسعة بالمدن الكبرى كسوس ومراكش والصويرة وقدلعبوا دورا كبيرا في إنعاش مدينة الصويرة[1] انطلقا من النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، فأصبحوا يسوقون من هده المدينة مختلف البضائع نحو الأسواق السوسية من شمع وسكر وشاي وكتان وبالمقابل يستجلبون من سوس اللوز والزيتون والمحصولات الفلاحية ، كما أنهم عملوا مع الأمازيغ الرحل على جلب العاج والرقيق من إفريقيا إلى روما[2]. وكانوا هم المتحكمون في دواليب التجارة وذلك بفضل مهارتهم وتجربتهم العريقة في هذا الميدان". وكانوا يهيمنون، بشكل كبير، على التجارة في الأسواق الأسبوعية والمواسم. ولم تكن تجارتهم تقتصر على المنطقة في حدودها الضيقة فقط . ولا زالت ذاكرة بعض المسنين الذين عاصروا الأجيال الأخيرة من اليهود، تحكي عن " بن هارون" التاجر الذي يشتري مادة الزيت بالمنطقة و الصوف و الجلود ثم يذهب بها إلى الصويرة.

وإلى جانب التجارة بالتقسيط في الأسواق والمواسم والأمكنة المخصصة لذات الغرض، فإن فئة منهم مارست التجارة كباعة متجولين. وكان هؤلاء الباعة يتنقلون عبر البغال والحمير (التاجر موشي بن هارون بائع الكتان ، ثم براها البائع المتجول- أعطار- ...) . كما كان الفقراء والتجار المبتدئون منهم يستعملون فقط الأكياس لحمل مبيعاتهم. والبيع لا يكون بالضرورة بالنقود، بل في غالب الأحيان بالمقايضة قمحا أو شعيرا أو فواكه يابسة أو زبدة مطبوخة مع قليل من النقود المتداولة في تلك الفترة كالكرش والحسني وبعد الاستقلال كان التعامل بنقود محمد الخامس. وهذا النوع من التجارة يدعى بـ" تعطارت". وقد عرف بها يهود إفران

---

[1]- روايةشفوية،مولايمحمد، 60 سنة،تنكرت

[2] - نفسه

وخاصة منهم يهود السوق أوفلا بالخصوص. أما لغة التعامل فلم تكن سوى الأمازيغية. ومما تحتفظ به الذاكرة المحلية، تلك النداءات التي يطلقها اليهودي للإعلان عن قدومه :

Ad tsghim ha a Lalla

فتجيبه المرأة:

Mad ghurek a Yuday

ويرد عليها التاجر:

Kulci illa g uàdil

ومعني الحوار:

هل تريدين شراء سلعة ما سيدتي؟[1]

وتجيب السيدة

وماذا عندك أيها اليهودي؟

فيرد التاجر

كل شيء موجود في الكيس سيدتي.

لكن التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها المنطقة خلال هذه الفترة، أدت إلى اختفاء العديد من الحرف والمهن التقليدية. وهكذا فإن الباعة

[1] - روايةشفوية

المتجولين لم يعد لهم تقريبا أي وجود بالمنطقة. وربما يعود هذا الاختفاء إلى توفر المواصلات وانتشار الدكاكين واختفاء تلك الفئة من التجار الصغار الذين مارسوا البيع بالتجوال.

وقد وقفت الرواية الشفوية عند صيغ التعاون والتضامن بين الشرائح الاجتماعية اليهودية. إذ كان اليهود يتعاونون ويتضامنون فيما بينهم. " فالتجار الكبار يساعدون الصغار".. وقد أشارت بعض الكتابات إلى هذا الموضوع. وفي هذا الصدد، يشير ارموند ليفي في كتابه (حدث ذات مرة: اليهود المغاربة) إلى أن التضامن بين الأغنياء والفقراء يتجلى في وجود العديد من المؤسسات ذات الطبيعة الاجتماعية والخيرية التي تتكلف بمساعدة الفقراء والمحتاجين.

ووقفت الرواية الشفوية كذلك على ما يعرف بـ " بأرطل" وهو نوع من التجارة إن لم نقل بأنه ممارسة بنكية. وتعني أن اليهودي يقرض النقود للمسلم مقابل الحصول على غلة العام من شعير أو قمح أو غيرها من المواد الفلاحية إذا حصل عدم توفر المسلم على النقد لتسديد الدين.

وبخصوص الجانب الفلاحي فإن إهتمام العناصر اليهودية بهذا الميدان كان ضئيلا جدا نظرا لعدم توفرهم على القطع الأرضية لكن بالمقايضة تمكن اليهود من استئجار الأراضي الفلاحية عند الأهالي . إلا أن هذا الموضوع يثير أكثر من سؤال ويثير الشك الكبير خصوصا إذا ما علمنا وصدقنا ما أشار إليه أندري شوراقي كما أورد ذلك حاييم الزعفراني في كتابه عن ألفي سنة من حياة اليهود بالمغرب، إلى أنه توجد في الجنوب المغربي، عدة جماعات صغيرة تتعاطى للفلاحة منذ أزمنة عريقة في القدم. وتؤكد شهادة يهودي أوردها حاييم الزعفراني بأن اليهود الأغنياء كانوا أصحاب أملاك عقارية وكانوا يملكون حقولا وكروما

وعددا كبيرا من النخيل. وقد زكت شهادات السكان هذه الشهادة. وهو ما يفند أحكام بعض الدارسين الذين اعتبروا أن اليهود لم يمارسوا الفلاحة. وتذكر الرواية الشفوية كذلك أن الأغنياء اليهود كانوا يعطون الأضحيات للمحتاجين الذين لا يستطيعون ابتياعها، لظروف أو لأخرى، في الأعياد وغيرها من المناسبات، وذلك على شكل سلف إلى أن يتوفر المدين على النقد فيقوم بالتسديد.

و تشير بعض الشهادات إلى أن عجز المسلم عن أداء ما بذمته من ديون في الوقت المحدد يعني في الأعراف تمليك أحد حقوله لليهودي إلى أن يتم تسديد الدين. وهذا ما يعرف بالرهن. وتشير نفس الروايات التي استقيناها أن مالك الحقل الأصلي هو الذي يتولى العمل في الحقل بعد أن يصير في ملك اليهودي، ويجازيه هذا الأخير باعتباره خماسا، هل يعود امتلاكهم للأراضي الفلاحية إلى القروض التي يمنحونها للمسلمين العاجزين عن التسديد أم أن اليهود المحليين كانت لهم أراضيهم الفلاحية إلى جانب المسلمين المحليين؟ إن الجواب عن هذا السؤال سيزيل اللبس أكثر عن تاريخ اليهود بالمنطقة.

✓ الحرف التقليدية

كانت الحرف التقليدية مرتبطة بعامة الناس من اليهود ، منهم من تخصص في صناعة الأحدية (إدوكان) أو الدباغة أو الجلود أو الخرازة وصنع الأحذية والخياطة .وذلك إما داخل بيوتهم أو في دكاكين صغيرة أو تحت الخيام في االدواوير وأحيانا يمارسون تلك الحرف والمهن في الهواء الطلق. وقد ارتبط تواجد اليهود بمنطقة "إفران" بحرفة الدباغة والخرازة واللحامة والرباطة (تازلغا باللغة بالأمازيغية) وإسكسا (آلة يدوية تستعمل في عزل الجيد من الصوف لاستعماله في النسج) وتعاطى اليهود كذلك لصناعة سروج البهائم والخياطة و

البرادع والأحذية وإصلاحها. ومن المعروف أنهم يعتمدون في مزاولة مثل هذه الحرف على تقنيات جمالية وفنية عالية كالنحت والنقش والقطع وغيرها. أما بالنسبة للصناعة الجلدية، فقد اشتغل اليهود في صناعة سروج البهائم. (إحلياس)[1]التي تشتهر بها المنطقة والتي تصدر كذلك إلى المناطق المجاورة. وتفيد الرواية الشفوية أنهم اشتهروا بالدباغة إلى حد أن " الإستعمار كان يشتري منهم". وكان السباق إلى صنعة النعل" يهودي يدعى أسوابن يحيى وكدا مسعود بن برهة "ومنه أخذت بعض عائلات "بقبيلة الربا نتوزومت" هذه الحرفة. وقد استطاع هؤلاء الحرفيون لوحدهم أن يغطوا المناطق المجاورة بمنتوجهم. كما مارس اليهود اللحامة واشتغلوا في صناعة أغمدة السيوف والدمالج. وما تزال البعض من الآلات المستعملة في هذه الحرف في رفوف ومخازن بعض العائلات.

لكن هذه الآلات مهدد بالضياع إن لم يتم تجميعه في متاحف متخصصة. ورغم التداخل الحاصل بين اليهود والسكان المحليين في شتى مناحي الحياة ، إلا أن اليهودي يظل دائما متشبتا بدينه لا يحيد عنه مهما وصلت علاقاته مع السكان من درجات الود والتضامن والإنسجام. وما يؤكد صحة هدا التشبت ندرج هنا قولة يرددها سكان إفران بخصوص تشبت اليهودي بدينه وبواسطه الإجتماعي :

- اسيغ افروخ ووداي
- نيغ اس اسلم
- نسرست ايزكيز

ومعناه بلغة الضاد :

حملت ابن اليهودي

[1] - روايةشفويةزينالعابدينالطيب 95 سنة

ظانا أنه اسلم

انزلته ليمشي

فقادنا نحو الملاح

2- الملاح: هل يعني انعزال اليهود عن الحياة العامة؟

لا تحد الاسوار من انفتاح الملاح على المحيط الخارجي، لقد شكل ملاح إفران مركزيا تجاريا مفتوحا وسوقا لتبادل السلع والمنتوجات المختلفة ، فقد كانت تباع داخله المنتوجات الفلاحية التي يوفرها المسلمون، بينما كان اليهود متخصصين في بيع الملابس والملح وغير ذلك من المنتوجات الحرفية ، وتتم هذه العمليات التسويقية في "رحبات" الملاح أو في " حوانيت" خاصة.

الملاح إذن شكل فضاء مفتوحا على الاخر (المسلم)، ولعل طبيعة النشاط التجاري والحرفي لذي يمارسه اليهود هو ما حتم هذ الانفتاح. كانوا لا يشتغلون بالفلاحة وينصرفون عنها الى الاعمال الحرفية والتجارية ، ولا يرجع ذلك الى عدم ملكيتهم لأراضي زراعية.

فقد كان بمقدورهم تملكها عن طريق الشراء ، لكنهم كانوا يأنفون من الاعمال الشاقة ذات المردود الضئيل ويفضلون الاشتغال بالحرف والاعمال التجارية والربوية ذات المردود السريع. هنا يتجلى دهاء اليهودي، فعوض العمل بمجهود بدني مرهق، كان يستعيض عنه بأشغال حرفية و ربوية لا تستدعي مشقة كبيرة . إن رغبة في كسب السريع ــ وقد يكون ذلك على حساب الاخرين وعلى حساب الاخلاق أيضا ــ كانت سمة اليهودي في كل المجتمعات ، ففي أوربا كان اليهود

يشتغلون بالنخاسة والربا والدعارة لجمع الاموال الطائلة وهو ما جر عليهم بعض النقم.

و بالرغم من استنكافهم عن ممارسة الاعمال الفلاحية الشاقة، فلم يكن ذلك ليمنعهم من الدخول في مخالطات مع السكان المحليين عن طريق الشركة أو الرهن الـــذي يعتـــبر استيثاقا من الديون التي يلجأ إليها المسلم عند الحاجة ، شريطة أن يقـــوم باستغلال الملك المرهون ويدفع مقابل الدين لليهودي الشريك حصة مشروطة من المحصول1 . هكـــذا كان اليهودي يوفر ما يحتاج اليه من منتوج زراعي بلا جهد كبير ، بل يكون طعامه أفضل بكثير من طعام المسلم.

وتتخذ العلاقة بين اليهود والمسلمين أبعادا أكثر انفتاحا، فقد كانت اليهوديات يعملن في دور المسلمين في أشغال مختلفة والشيء نفسه كانت تقوم به المسلمات . ولا تقتصر هذه العلاقة على الملاح ومحيطه ، بل تمتد خارج الملاح في الاسواق والمواسم التـــي يرتدها اليهود للتجارة في شكل جماعات رفقة أجير مسلم أو أكثر للحماية. بل قد يفضـــل اليـــهودي الاقامة في بعض الحالات خارج الملاح بين ساكنة مسلمة لأغراض تجارية ومعيشية ، وكان بعضهم يقدم خدماته الحرفية على شرط حصص معلومة من الانتاج الفلاحي تقدم اليه فـــي مواسم الحصاد.

3- المناسبات اليهودية بإفران

تؤرخ الأعياد اليهودية لأحداث في غاية الأهمية عاشها الشعب العبراني طيلة تاريخه منذ خروج أبينا إبراهيم من بلدته " أور " جنوبي العراق في اتجاه كنعان و تشكل هذه المناسبات إرثا ثقافيا و دينيا يطبع حياة اليهود الروحية؛ و يجب

[1]- منهناجاءالمثلالشعبيالدارج: (يهوديواحديستغلمائةأسرةمسلمة).

التوضيح أن رزنامة الأعياد عند اليهود تتبع الدورة القمرية و لهذا لا يمكن و ضع ما يناسبها في التقويم " الكريكوري" الذي يتبع دورة الشمس و من أجل المطابقة عمد رجال الدين على إضافة شهر كل ثلاثة سنوات بعد شهر آذار العبري(30 يوما) فيسمى بآذار الثاني (29 يوما) لتكون السنة الكبيسة مكونة عندهم من 13 شهرا ... وككل يهود المعمورة يحتفل يهود إفران بالأعياد المتعارف عليها مع خصوصيات واضحة تميزهم عن باقي اليهود.

- **عيد الفصح**

لا زال بعض من كبار السن بإفران يتحدثون عن قدوم الربيع في الخامس عشر من شهر" نيسان" العبري ، حيث يحل عيد له مكانة و قدسية لدى يهود إفران و يتعلق الأمر بعيد الفصح و هو يؤرخ لمحطة من المحطات الهامة التي التصقت و ترسبت بعمق في الذاكرة و الوجدان اليهودي ألا وهي خلاص بني إسرائيل و انعتاقهم من براثن العبودية و قسوتها الجائرة في أرض" مصراييم "[1]على يد موسى و أخيه هارون ابني عمران إنه تذكار للحرية و الخلاص وهو كذالك وعد بالحصاد الجيد و القطاف الوفير و نعم الله و خيراته الكثيرة لأن (يهود)[2] لن يتخل عن فتاه إسرائيل و سيهب في الوقت العصيب ليفتح له الطرقات و لو في جوف البحار العميقة... و يفجر له الماء الزلال و لو في قلب البيداء السحيقة... وسيجود عليه حتما و يمد له يده الكريمة ؛ عند كل كبوة أو ضائقة ... و سيطعمه من موائد السماء الكثيرة في وقت الجوع و الشدة مُنًا و سلوى .....وفي إفران و قبل حلول الفصح بأيام تبدأ الأمهات وأصحاب المحلات بعمليات التنظيف

1- كتابكشفخباياوأسرارالجنوب،مرجعسابق،ص : 272

2- مقالاتحولالتاريخوالحضارةاليهوديةالمغربية،سيمونليفي

و إزالة كل (حاميتس) أي كل مادة تتوفر على خميرة ثم يتم حرق كل قطعة خبز[1].

و في عيد الفصح يتلاقى الأهل و المعارف حول الموائد لتلاوة صلاة (السيدير) حيث يتذكر الجميع المآسي و الأحزان التي مر بها اليهود في مصر و مرارة العبودية و الحرمان التي ذاقها لسنين عديدة إلى أن أنقده الله تعالى فوهبه قائدا ملهما مسوقا بوحي الله و كلامه فاستطاع هذا القائد أن يضعه على طريق الأمل و الرجاء و أن يريه شمس الحرية و الكرامة، في إفران مثلا تقرأ (الهاجادا) كاملة و هذه نماذج منها بالدارجة المحلية مرفوقة بكلمات عبرية عندما يتم كسر فطير الفصح الغير المختمر(ماتسا) يتلى هذا النص (هكذا قسم الله البحر علا طناش لطريق مليخرجو جدودنا مل ميصر " مصر " علا يد سدنا موسى بن عمران حا كدوش باروخ حو من حاد إيلكالوث) ثم يقوم رب الأسرة برفع طبق " السيدير" فوق رؤوس الحاضرين جميع مرتلا ما معناه بالعبرية (بفضل الله خرجنا من مصر و هذا خبز المعانات لأناس أصبحوا أحرارا....). وفي إفران كذلك هناك ، مثال من " الهاجادا " عند اليهود الإفرانيون الأمازيغيون

Tarula ay s neffaghgh " maser "

Ayddegh N ughrum ur imtinn dattecan

Lewaldin nnegh gh "maser " …… kullu mad yagh

Lâz iddu ad itec, mad yagh fad iddu ad isu

[1] - روايةشفويةل: مولايمحمد، 60 سنة،صحفيوباحث

asegwas ddegh gh tmazirt ddegh

[1]Imal gh bit lmekdiss

ومعناها بالعربية

هرولة خرجنا من مصر .....

خبزا غير مختمر أكلنا.....

أجدادنا في مصر.....كل من كان جائعا أكل ؛ و من كان عطشانا شرب....

العام هذا في البلد هذا ....

العام المقبل في بيت المقدس.....

- **عيدالشبوعت *(العنصرة)***

يحل بعد مرور سبعة أسابيع على عيد الفصح، وهو من أعياد الحج إلى جانب الفصح و عيدالمظال و تتلى فيه الصلوات[2]داخل الكنائس ويأتي بعد حصاد محصول القمح، و توجه أدعية و صلوات ليملأ الرب الأيادي بغلال الأرض و خيراتها و يلهم المؤمنين حسن التصرف. وفي هذا العيد يتم كذلك التراشق بالماء[3].

- **عيد حانوكا**

يؤرخ هذا العيد لانتصار اليهود بزعامة المكابيين الذين كانوا قليلو العدد و العدة على اليونان رغم كثرتهم و يأتي هذا العيد في الخامس و العشرين من شهر " كسلاف " حسب التقويم العبري، تدوم الإحتفالات ثمانية أيام كاملة حيث يتم

---

[1]- نفسه

[2] - كتابكشفخباياوأسرارالجنوب،مرجعسابق،ص : 277

[3] - نفسه

إحضار شموع لتشعل شمعة في اليوم الأول ثم الثانية في اليوم الثاني فثالثة في اليوم الموالي، و هكذا دواليك إلى أن يتم إشعال ثمانية شموع و لهذا العيد قدسية كبيرة لما له من بعد روحي إذ يرتبط بمعجزة آنية الزيت الصغيرة التي كانت كافية لإضائة مشعل الهيكل يوما واحدا فقط فحدثت العجيبة الرائعة إذ ضلت الشعلة و هاجة تغالب القدر بشعلتها الذهبية مدة ثمانية أيام إلى أن تمت عملية تطهير الهيكل الذي دنس من طرف الوثنيين[1]، ولليهود المغاربة تقليد قديم في هذا العيد إذ تقوم الأمهات بتحضير أكلة " الشفنج " الشهية و هي فطائر على شكل دوائر شبيهة بالدمالج "..... و يسمى هذا العيد كذالك بعيد الأنوار....

- ***<u>البوريم</u>***

يتسم هذا العيد بالمرح و الضحك و الصخب و الضوضاء[2] يحل في الثالث عشر من " آذار" العبري و تعود أصول هذا العيد إلى زمن تفسير التوراة و فيه يتذكر اليهود خلاصهم من "هامان" الشرير بفضل استير و يحرص الكثيرون على قراءة قصة استير كاملة كما وردت في التوراة، في الأحياء اليهودية ببلداننا كانت النسوة تقوم بإعداد الكثير من الحلويات[3]. و يتم تبادل هذه الأصناف من الحلوى بين الأسر و العوائل كما يتم تحضير الشاي بالنعناع بكميات كبيرة جدا حيث كان يحتسى على إيقاع سرد النكت و المستملحات و بهذه المناسبة يقدم الكثيرون على لعب الورق ، طيلة ذلك اليوم ومن ميزات هذا العيد ارتداء ألبسة تنكرية والبحث عن مقالب مضحكة للإيقاع بالبعض كل هذا تحت طائل من الضحك و الترويح عن النفس "....

---

[1] - مقالاتحولالتاريخوالحضارةاليهوديةالمغربية،سيمونليفي

[2] - كتابكشفخباياوأسرارالجنوب،مرجعسابق

[3] - روايةشفوية

- **عيد "شطوطو**

ونقصد ب: "شطوطو" نوع من الخبز قبل أن تظهر عليه أية علامة للتخمر، ويحتفل يهود إفران، بهذا العيد مدة أسبوع، وتعكس هذه المناسبة مظاهر التواصل الوطيد بين اليهود والمسلمين. يقدم اليهود على توزيع هدايا على جيرانهم المسلمين خاصة خبز "شطوطو" والذي يعد خبزا لذيذا في أوساط المسلمين1، ويبدأ إعداد هذا العيد في الصيف عند جمع القمح الخاص بصنع الفطائر2.

وعيد شطوطو" في منطقة إفران هو عيد الفصح عند يهود الشتات، يقول حاييم زعفراني: يحتفل بذكره الفصح اليهودي بين 14 و22 نيسان (أبريل)، أي مدة ثمانية أيام، وهي المدة الشرعية القانونية للعيد في الشتات (سبعة أيام في الأرض المقدسة) ... لإحياء ذكرى حدث رئيسي في التاريخ اليهودي، ألا وهو الخروج من مصر وتحرير الشعبالعبري من الطغيان الفرعوني3.

ويختلف عيد "شطوطو" عن باقي الأعياد اليهودية باعتباره مناسبة يحتفل بها وسط كل بيت، إذ جرت العادة بأن تقام كل الاحتفالات الدينية الكبرى بالبيعة، عكس طقس عيد الفصح، والفصح مفردة عبرية معناها العبور، وهذا العيد يتفق مع موعد خروج موسى عليه السلام وبني إسرائيل من مصر ونجاتهم من فرعون4، ويحتفل به اليهود في الرابع عشر من الشهر الأول من سنتهم الدينية

1- فيالثقافةالشعبيةالإفرانيةنجدمثلشعبي " أودايإجااغرومنسإميم " وترجمتهاليهوديرائحتهنثنةوخبزهلذيذ. للحصولعلىخيراليهودفيمناسبةالعيد.

2- حاييمزعفراني،ألفسنةمنحياةاليهودبالمغرب،مس،ص. 237.

3- حاييمزعفراني،ألفسنةمنحياةاليهودبالمغرب،مسص. 238.

4- اسعدالسحمراني،منااليهوديةالىالصهيونيةالفكرالدينياليهوديفيخدمةالمشروعالسياسيالصهيوني،ط،1،دارنفائس 1993،ص163

ويقع ذلك في شهر ابريل1. وتؤكد الرواية الشفوية أن اليهود يتبادلون التهاني مع إخوانهم المسلمين بملاح إفران بل ويقدمون لهم الفطائر ومعها بركاتهم.[2]

كان يهود إفران كغيرهم من يهود المغرب يعدون العدة للاحتفاء بعيد الفصح منذ وقت مبكر، ففيه تصنع نسائهم (الرغايف) من حبات قمح تختار بعناية وتزال منه كل الشوائب، وتسود الاحتفالات بالبيعة طيلة أيام، وهذا نفس ما ذهب إليه حاييم الزعفراني وهو يتحدث عن عيد الفصح عند يهود المغرب، إذ يؤكد أن اليهود ينظفون المطحنة والفرن حسب الطريقة الدينية ويراقب اليهودي العجين مراقبة حقيقية، فتنضج الفطائر دون تخمرها3.

- **عيد "تيحشاش" (عيد الخيام)**

يحتفل اليهود في إفران بعيد تحشاش وقت اصفرار التمر4، طيلة أيام الأسبوع الواحد، وتحدث الباحث أحمد شحلان عن هذا العيد وسماه عيد "سكوت " أو "المظال" ويذكر بالفترة التي قضاها العبرانيون تحت مظال الصحراء وأثناء التيه منذ الخروج حتى مشارف فلسطين5، فالمظال رمز لمعجزة، فعلى الرغم من هشاشتها ظلت العناية تسهر عليهم حتىخرجوا من تيههم6. وعندما يقترب هذا الوقت، يتجه اليهود في ملاح إفران إلى اصدقائهم المسلمين لجمع سعف النخيل الذي يعتبر الركيزة الأولى والأساسية في بناء الخيام، واول

1- يمكنالرجوعالى : علىعبدالواحدوافي،اليهوديةواليهود،نهضةمصرللطباعةوالنشر،بدونتاريخ.

2- الحسن تيكبدار، بادية افران الأطلس الصغير مساهمة في دراسة جوانب من التاريخ الاجتماعي، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الاداب والعلوم الانسانية وجدة، 2020/2019، ص 314.

3- حابيمالزعفراني،ألفسنةمنحياةاليهودبالمغرب،مس،ص. 237 – 238.

4- يرتبطاصفرارالتمربمجموعةمنالطقوسوالمعتقداتسواءعندالیهوداوالمسلمین

5- احمدشحلان،التراثالعبريفيالغربالإسلامي،التسامحالحق،منشوراتوزارةالأوقافوالشؤونالإسلاميةط2006،ص49

6- أحمدشحلان،اليهودالمغاربةمنمنبتالأصولإلىرياحالفرقة،م. س،ص .45.

خطوه في هذا العيد تتمثل في ضرب الخيام في سطوح المنازل، كما لا زالت الذاكرة المحلية تحتفظ بشراكات بين اليهود والمسلمين على مستوى الأعمال الفلاحية حيث تشاركا في ملكية نخلة أو أكثر دون مشاحنة أو توتر وفق عقد قد يكون أحيانا شفويا، ويتراضى وفقه الجميع.

ويؤرخ هذا الاحتفال للمدة التي قضاها العبرانيون تحت الخيام الهشة في الصحراء منذ أن خرجوا من مصر إلى أن دخلوا أرض الميعاد1، فهذا هو المعنى الذي تعطيه التوراة لهذا العيد كما ذهب إلى ذلك حاييم زعفرانى وسمي بعيد "السكة (المظلة) والسعف (الباقة المفتولة) ويقول الزعفراني عن كيفية الاحتفال بهذا العيد " بمجرد ما ينتهي صوم يوم الغفران (كيبور) وفي نفس مساء هذا اليوم المرعب، يرشم محيط "السكة (المظلة) بالموسى، في سطوح أو في صحون الدور، ويشرع في الصباح الباكر من الغداة في بنائها(...) ويجب أن تتخذ الحيطة الشديدة في صنع السعف والباقة المفتولة التي تتكون من أربعة أنواع، وهي سعف النخيل المزين بالجرين الملون، وثلاثة عروش من الريحان، وعرشان من الصفصاف وغصن الأبرج الصافي غير الملوث (...) وينبغي أن يزين هذا السكن المؤقت والهش، بالمخمل الثمين ويجهز بمتكي غني وناعم، حتى يستقر فيه المحتفلون، ويتناولوا الوجبات الأربع عشرة في الأيام السبعة التي يستغرقها العيد طبقا للشريعة"2

وخلال الاحتفال بهذا العيد تنشد أهازيج وتتقوى سلطة الكلام، فتضرب الدفوف وتتشكل حلقات أحواش محكم التنظيم وقد احتفظت الذاكرة المحلية على أشعار أمازيغية تردد بالمناسبة.

1- حاييمزعفرانى،ألفسنةمنحياةاليهودبالمغرب،م. س،ص. 252

2- حاييمالزعفرانى،الفسنةمنحياةاليهودبالمغرب،م. س،ص.252.

من بين هذه الأشعار

"إفران ولا مداس إسوتلن *** اوداين أكنت ايكان تقبيلين"

بمعنى يا افران وما جاورها من مراكز، اليهود هم الذين جعلوكم قبائل.

أساك تدا تربت ادناكم أمان *** احاضراس او عريم ستاكمارين"

بمعنى عندما تذهب الفتاة كي تأتي بالماء: يستقبلها الشاب بأنثى الفرس

اتار كا نايت سوق أفلا زايدامان *** أفاد أد سون إركازن تاكمارين"

بمعنى يا ساقية أهل "سوق أفلا" أفيضي مزيدا من الماء كي يسقي الشباب إناث الفرس

ويختلف يهود إفران في هذا العيد عن يهود الشمال ذوي الأصول الأندلسية إذ يحتفل اليهود المهجرون من الأندلس بهذا العيد خارج البيعة وليس في البيوت، وهذا مخالف الوصايا، وكان الأحبار دوما ينتقدونه1. وفي اليوم الأخير من هذا العيد تفك الخيام ويستعمل سعفها لإضرام النيران، ويستدعى الأطفال للرقص حول لهيبها سبع مرات والطواف حولها، وهو نفس الفعل الذي نجده عند يهود إفران.

- **عيد "بوامان " (عيد المياه)**

يخترق واحات إفران الأطلس الصغير وادي متسع وبه عيون دائمة الجريان ويعتقد يهود إفران أنهم اشتروا عيون الوادي من سكان إفران2، فيتجهون في هذا العيد إلى الوادي، قصد قضاء أوقات مريحة ومسلية بالمياه ويأخذ كل يهودي قرن

1- احمدشحلان،اليهودالمغاربةمنمنبتالأصولإلىالرياحالفرقة،مس،ص 49.

2- أشركنافو،صبيمنإفرانالأطلسالصغير،ترجمةعبدالحميدحيمود،منشوراتكليةالآدابوالعلومالإنسانيةبأكادير،ص34

غزال وبواسطته برش الماء على المارة، وهي لعبة تشبه عيد عاشوراء عند المسلمين، ولا يقتصر هذا اللعب في الوادي فقط بل يعم جميع دروب الملاح والبيعة، بين اليهود فيما بينهم. ولم يقتصر هذا الطقس على ملاح افران لوحدها بل نجد نفس الطقس بملاح كلميم.

وهذا العيد هو الذي سماه الباحث حاييم زعفراني اسم "ازهروت"1، (طقوس الماء الشعبية)، إذ يقول: "وقد احتفظت طقوس يهود المغرب والمغاربة منهم على الخصوص باز هروت" اسحق البرشلوني واستعملتها في طقس "المنحة" (صلاة الهدية) التي تقام بعد الظهر، حيث يقرأ كل مؤمن فقرة، وأي واحد ارتكب خطأ مهما كان أثناء قراءته، إلا وصحح له الجميع خطيئه وهم يصيحون: أعد، أعد، أعد(...) إنك لا تعرف شيئا! ويرشونه بالماء واما اتعس من كانت خاتمة القصيدة نصيبه لأنه يبل بالماء كلية إذن جرت العادة أن ايذهب كل واحد إلى الصلاة وقد ملأ وعاءه بل سطله (...) على أي فان اللعب ينتهي في جو من المرح (...)ولا يقع هذا التطهير إلا في البيعة، وتتكرر الطقوس الشعبية التي تميز ميمونة" هنا في شقعوت" لتزامن الطقوس الشبيهة بها تلك التي يعرفها المحيط الإسلامي في هذه الفترة من السنة، حيث يحتفل ب "العنصره عيد انقلاب الشمس الصيفي، بالرش بالماء والاستحمام (...) ويملا الأطفال دروب الملاح وهم يحملون شبه مضخات صغيرة ومرشات كبيرة ،(...) فيتعاركون بالرشاشات ليعودوا إلى دورهم وقد ابتلوا من قمة الرأس إلى أخمص القدمي"2.

- **عيد بويفلوسن": (عيد الدجاج)**

1- ازهروت: ومفردها " ازهره (اندار) وهينوعمنأنواع "اليوط" الشعرالتعليميوهوشعردينى،وتعرضهذه (ازهروت) تعاليمالتوراةالثلاثةعشروستمائة،مقسمةومرتبةإلىماهوأمروالماهونهي.

2- حاييمزعفراني،ألفسنةمنحياةاليهودبالمغرب،م. س،ص .251

يعرف اليهود في الذاكرة الجماعة للإفرانيين، بأنهم أكبر مربي الدجاج، بل ويحكى أن أطفال المسلمين يتم تحريضهم على سرقة بيض أو دجاج اليهود، وغالبا ما تكون هناك شجارات بين يهود الملاح وجيرانهم المسلمين حول الدجاج إذ يخرج دجاج اليهود على غفلة منهم ويضيع في دروب الجيران أو يبيض في إحدى بيوت المسلمين.

ففي كل حول يتم تخصيص دجاجة لكل فرد من أفراد الأسرة اليهودية، وبهذه المناسبة يحتفلون بعيد يسمى عيد "بويفلوسن" وهو شبيه بعيد الأضحى عند المسلمين. وتذكر الرواية الشفوية إن لهم عيدا يحتفلون به وقت اقتراب الحصاد إلا أننا نجهل عنه الكثير اللهم خروج اليهود صغارا وكبارا إلى الحقول ليقطفوا السنابل، كل منهم بحزمة، وتكون هذه العادة في المساء، كل سنة.

وإذا كانت لليهود مناسبات سعيدة يحتفلون بها، فإنهم عرفوا كذلك مناسبات مكروهة وأياما دون أفراح "الأيام غير المرغوب فيها " في مقابل "الأيام والأعياد المرغوب فيها" والمقصود هنا تلك الأحداث الكبرى التي حددت المصير اليهودي قبل ألفي سنة ونصف، والتي طبعت وجوده منذ ذلك الوقت وأعني تخريب البابليين للهيكل الأول بالقدس، وخرابه الثاني الذي حدث على يد الرومان، وزوال الدولة العبرية[1].

ويحتفل يهود إفران بمناسبات مكروهة تذكر بماض مؤلم وبكاء ونواح، وهي أيام غير مرغوب فيها ومن بينها عيد "خبير" وفيه تخرج اليهوديات إلى المقبرة للبكاء على أمواتهن فيقمن بندب الوجوه والشعر وضرب الجباه والخدود، وقبل العودة إلى بيوتهن يشعلن الشموع فوق قبور الموتى.

1- حاييمالزعفراني،ألفسنةمنحياةاليهودبالمغرب،م. س. ص. 265.

- **عيداكوران":**

و "إكوران "[1] بالامازيغية تعني التين. وهو عيد يقام وقت التين ويعبر عنه اسمه أي التين الذي لم ينضج بعد، ومن عادة اليهود في هذا العيد دعوة المسلمين للاحتفال بهذه المناسبة خاصة الأصدقاء والأحباء وجميع أفراد الأسرة التي تحمي هذا اليهودي الذي قام بالاحتفال، ومراسيم الاحتفال بهذا العيد يشبه مراسيم احتفال المسلمين بعيد المولد النبوي الشريف، والذي يقام على إثره احتفال كبير ودعوة المسلمين فيما بينهم في إفران الأطلس الصغير، ثم الخروج إلى زيارة الأولياء والأضرحة حيث الفولكلور والأهازيج الشعبية (أحواش وركوب البغال والحمير والطواف حول الأضرحة)، وقد يلجأ بعض السكان المسلمين إلى شرب (الماحيا) مع أصدقائهم اليهود فينشرون الضجيج في المناطق المجاورة للملاح، غير أن الذين يتناولون معهم المشروب مدمنون على خمر اليهود حتى خارج هذا العيد.

- **عيد السبت:**

لقد تطرقت بحزم الشريعة المكتوبة "العهد القديم" والمشنا والتلمود ومختلف الشرائع اليهودية والأساطير لقداسة يوم السبت (شبت2) وحددت طقوسه ومحرماته، وهي أمور جعلت منه يوما خاصا متميزا عن باقي أيام الأسبوع3 وهو العيد الأسبوعي لديهم يبدا من غروب شمس يوم الجمعة إلى غروب شمس يوم السبت، وأهم شعائره الكف عن أي عمل في ذلك اليوم، لأن الرب حسب زعم سفر التكوين قد استراح فيه، بعد أن تعب من خلق السماوات والأرض "وفرغ الله في اليوم السابع الذي عمل فاستراح في اليوم السابع. وبارك الله اليوم السابع وقدسه"

---

[1]-اكورانهيمفردةأمازيغيةنقصدبهاثمارالتين،ونقولاماعن "كوران "،أيماءالحياةكنايةعنناليهودي (الماحيا) ولازالتبعضمناطقإفرانمشهورةباستخراجهذاالنوعمنالخمرالتقليدي.

[2]- وهيكلمةعبريةتعنيالراحةأووقفالعمل.

[3]- حاييمالزعفراني،الفسنةمنحياةاليهودبالمغرب،مس،ص.229.

(سفر التكوين 3. 2)[1]وما عليهم إلا أن يعتمدوا ذلك في حياتهم[2] وورد كذلك: "اذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك، لا تصنع عملا ما أنت وابنك وعبدكوبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك، لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه " سفر الخروج" 117 :20

وبحلول هذا اليوم في إفران وخصوصا بالملاح، توقف جميع أعمال اليهود كيفما كان نوعها ولن تجد أية سلعة في الأسواق مرتبطة بهم في هذا اليوم، وما لم يبتعه عنده الزبون يوم الجمعة، فأكيد انه لن يجده يوم السبت، ويتم إعداد طعام السبت من ليلة الجمعة لأن شعارهم في هذا اليوم هو: (أس بلا العفيت بلا اكو) بمعني يوم بلا نار ولا دخان.

فحسب الرواية الشفوية يعتمد يهود إفران على عشرة مسائل للاحتفال بيوم السبت غير اننا لم نتمكن من جمعها كاملة غير أنها واردة عند الباحث حاييم الزعفراني، إذ يستند اليهودالمغاربة في هذا اليوم على الأوامر العشر التي ينبغي القيام بها في يوم السبت منها، فتبدا باغتسال اليدين وإعداد خبزتين لكل وجبة من الوجبات الثلاث، فتوقد الشموع الإنارة المائدة وتوزع كؤوس الخمر لافتتاح الوجبة، فمدارسة التوراة يليها التسبيح والدعاء، فمباركة وشرب كاس الخمر الأخير.

---

[1]- محمدعلىالبار،المدخلإلىدراسةالتوراةوالعهدالقديم،مس،ص 287.

[2]- أسعدالسحمراني،منااليهوديةإلىالصهيونيةالفكرالدينيفيخدمةالمشروعالسياسيالصهيوني | ملابسللطباعةوالنشروالتوزيع،طبعة 1993،ص.107.

وقد أخبرنا مجموعة من المسنين المعاصرين ليهود إفران، أن يوم السبت مناسبة عند يهود المنطقة للغناء والتفوه بمقاطع موسيقية لا يتذكرون فحواها، وغالبا ما لا يستوعبونها حتى عند سماعها، وبطبيعة الحال، يقصد هؤلاء المسنون، الأشعار التي تحدث عنها حاييم الزعفراني وباحثين يهود آخرين وتكون بالدارجة المغربية أو باللغة العبرية كذلك.

وتفرض هذه الشعيرة أن تهيأ المائدة بأفضل غطاء وبأجمل صحون وبأشهى طعام وأعذب شراب، محاطة بمقاعد موشحة ومزخرفة والحقيقة أنه يجب أن يميز "شبت" عن الأيام العادية بمزيد من الفخامة وبترديد الألحان الخاصة به، ويجب أن يستقبل بالاستقبال الذي تملؤه البهجة، كما يستقبل الخطيب خطيبته، ذاك أن شبت، أميرة وخطيبة[1].

وهذا اليوم كما جاء في هذا النص تملؤه البهجة وتسوده الفرحة، لأن اليهود يستقبلونه كما يستقبل الخطيب خطيبته، ومن علامة الفرح ذلك اللباس الأبيض الذي يرتده الجميع ويقصدون البيعة ليتعلموا الشعائر الدينية وليتقربوا إلى الله بعباداتهم.

وقد أسهب مؤلف "الزهر[2]" في الأسطورة التي سبق أن رددها التملود و "الهكدا[3]" تلك القائلة بأن عذاب الأشرار يتوقف يوم السبت، حيث أن كل قوى الشر في ذلك اليوم تصبح عاجزة عن الفعل، وتتوقف كل أعمال التقاضي في

---

[1]- حاييمزعفرانيألفسنةمنحياةاليهودبالمغرب،م. س،صص: 230-231.

[2]-

كتابالزهرهوتفسيرالتوراةالفهموساللبوني،وهونصمقدسلعبهذاالكتابدورامهمافيالوجودالبهوديوبالجنوبخصوصا،فكانبمثابةنص وصالتلمودوالتوراةوقدسيهودإفرانهذاالمؤلفوكانحاضرومنهمالروحيةوعاداتهمومناسباتهم.

[3]- احمدشحلان،اليهودالمغاربة،منمنبتالأصولإلىريحالفرقة،مس،ص 34

المحاكم الإلهية السماوية وتبعد القسوة عن العالم أعلاه وأسفله وتعم الرحمة في كل مكان[1].

واعتبر اليهود تطبيق شعائر يوم السبت أهم بند من بنود الوصايا العشر التي جاء بها موسى وكانوا يمتنعون عن جميع الأعمال بما في ذلك استدعاء طبيب لمعاينة مريض مهما اشتد به المرض.

وكانوا يمتنعون عن الكتابة والتعاقد والبيع والشراء بل وعبور نهر أو حتى الخروج من البيت الا لمسافة محددة، مما جعل الفريسيين، الذين سماهم المسيح المنافقين، يتحايلون على ذلك بوضع نوافذ وابواب في شوارع مدينة القدس ليستطيعوا التجول فيها على اعتبار أنها تحولت إلى منزل[2]، ومع هذا فقد كان أحبار اليهود يجدون طرقا للتحايل على يوم السبت ومن ذلك ما رواه القران الكريم عن حاضرة البحر (مدينة أيلات) حيث كانت تأتيهم حيتانهم شرعا يوم يسبتون، ويوم لايسبتون لا تأتيهم فاحتالوا على ذلك بوضع الشباك يوم الجمعة واصطيادها يوم السبت[3].

- ***يوم كيبور (يوم الغفران)***

يأتي بعد ثمانية أيام من رأس السنة العبرية و هو يوم صوم كما أمرت التوراة و فيه يجب على كل مؤمن أن يتذكر ذنوبه بقلب كسير و نفس متواضعة وأن يعدد

1- حاييمزعفرانى،ألفسنةمنحياةاليهودبالمغرب،مس،ص.230

2- محمدعليالبار،المدخللدراسةالتوراةوالعهدالقديم،م. س،ص .290.

3- نفسه،ص.290

خطاياه التي ارتكبها في حق الله و في حق الناس و أن يطلب من " يهوه " بروح صاغرة و من أعماق روحه وكامل قوته المغفرة و الرحمة...[1]

في إفران كانت عادات اليهود تحضير أطباق كثيرة من الدجاج، أما خبز" كيبور" فكان يتميز بخصوصية فريدة إذ من مكوناته الأساسية زيت الأركان و كميات من اللوز الجيد الشئ الذي كان يعطيه نكهة خاصة.....

- ***عادات وطقوس***

عرف التراث اليهودي إفران بصمات واضحة تدل على مؤثرات ثقافية أمازيغية موغلة في القدم كالإحتفال بعيد " ميمومنة " وهو عيد يخص اليهود المغاربة دون سواهم ويأتي بعد اليوم السابع من عيد الفصح و حسب التقليد الأمازيغي والروايات القديمة فميمونة هاته جنية ذات سلطة و سطوة تفوق حد الوصف و التقدير قادرة على جلب الخصوبة و الخضرة و الجمال و تعد بالخير الوفير و النتاج الغزير في مواسم الحصاد و القطاف إن نحن عرفنا كيف نخطب ودها ،و كيف نعمل على إرضائها ستفيض خوابينا عسلا جيدا و زيتا رفيعا..... ستمتلئ مطاميرنا قمحا و شعيرا .... و سلالنا عنبا ورمانا وتينا .... ستذر نعاجنا لبنا صافيا غزيرا..... و ستمنحنا وبرا ناصعا وفيرا..... و سنقيم أعراسا وولائم لياليا طوالا ...هللويا .... هللويا ، كما آمن الكثير من اليهود بالكهانة و بعض صنوف السحر و المعتقدات التي كانت سائدة بين أوساط الإفرانيون : كتعليق التمائم على عنق المريض لطرد الأرواح الشريرة ، و تعليق صفائح من حديد على أبواب الدور و المنازل ردءا للعين الحاسدة و إبطالا

[1] -روايةشفوية

للسحر كما كانت الكثير من الأهازيج والأناشيد الدينية تردد بمختلف اللهجات الأمازيغية قديما و بالدارجة المغاربية.

دلالات الرمـــوز:

لكل ثقافة رموزها الخاصة ، وتتبدى الرموز الدينية في الثقافات الانســانية بأشـــكال مختلفة ذات حمولات وأنماط تاريخية وأسطورية قابلة لقرارات دلالية متنوعة . إن الرمـــز يبدو ساكنا وساذجا ومتخفيا في أغلب الاحيان، وقد لا يدعو الى الاستفزاز، لذلك يحتاج الـــى تساؤل ونظر مقارن وحمولة ثقافية من أجل استكشافه و استجلاء أبعاده الدلالية.

في التراث اليهودي بإفران ، تبدو هذه الرموز في أشكال هندسية معينة أو في صورة طقوس جنائزية مرتبطة بالتاريخ والعالم الاخر ، أو تميزات في اللباس وبعـــض الشارات الدينية .

نجمة داود:

تبدأ لحظة الاكتشاف الرمزية بالملاح في المكان المعروف بالمجيرة (Lemgira) حيث توجد المقبرة ذات السبعة طوابق. لقد راعي انتباهنا الشكل الهندسي الذي تتخذه هـــذه المقبرة وهو شكل مثلث يتجه رأسا الى الجنوب. الملاح أيضا شكل مثلث وكذلك المقبرة القديمة شماله.

وبدون افتراض أحكام مسبقة ، سنحاول النبش في الدلالات التي يحملها المثلث فـــي الثقافة اليهودية لاستجلاء أبعادها الرمزية.

يتخذ المثلث في الثقافة اليهودية صورته الكاملة في شكلين متداخلين

: ليشكل صورة نجمة هي " نجمة داود/ Etoile de David" .

داود كان صانع دروع ومحاربا بسيطا، ثم تحول بعد قتله جالوت Joliath في إطار صراع اليهود مع الفلستينيين/ Philistins الى بطل وملك ونبي احتـــل اورشليم وجعلـــها عاصمة لأول مملكة يهودية.

أما النجمة فهي جسم سماوي مضيء، علامة على الطريق ودليل للسائر في التيـــه والظلام، كما أنها تستعار في الثقافة العالمية للدلالة على القوة والبطولة والانجازات القياسية (Star) . هي إذن علاقة اشتراك في كثير من الخصائص العرضية والرمزية ، فداود (عليه السلام) بإنجازاته العسكرية والسياسية ــ وهو يخطو باليهود نحو الاستقرار وتشكيل الدولـــة ــ يمثل نجما في تاريخهم ودليلا يضيء الطريق في ظلام التيه والصراع.

لا يقتصر حضور نجمة داود في البناء المورفولوجي للمقبرة الطبقية والملاح ، بل نجدها أيضا في بعض المسكوكات النقدية التي كانت رائجة الى حدود سنة 1884 ثم ألغاهـــا السلطان مولاي الحسن[1] وهي نقود نحاسية تظهر فيها هذه النجمة في وجـــه ، بينما يحمـــل الوجه الاخر تاريخ الضرب . ودون استعباد الاثر اليهودي الرمزي في ســـك هذه النقـــود.

إن نجمة داود للسلطان ، للدولة والملك، دليل في ظلام التيه والاضطهاد الذي عاشه اليهود بعد خراب الهيكل وسقوط اورشليم في يد نبوخذ نصر البابلي سنة 586 ق.م و حضوره كرمز ديني في التراث اليهودي هو حضور لهذه المدلولات التي قد يفصـــــح عنـــــها إطلاق (أورشليم الثانية) أو (الصغرى) على إفران . وعندما يتجلى هذا الرمز بصـــــورة أوضح في المقبرة الطبقية داخل الملاح

[1]- عمر أفا، " مسألةالنقود"،ص :143

المؤرخة لنوع من الاضطهاد ، تتأكد هذه المعاني التي يفصح عنها اللاشعور الجمعي في شكل نكوص ورغبات.

إيقاد الشموع:

يرتبط إيقاد الشموع (Bougies) بالطقوس الجنائزية ، بالموت كحدث هام في أبرز تجلياته. ولا يقترن هذا الارتباط الرمزي بثقافة معينة ، بل نجده حاضرا في أغلب الثقافـــــات العالمية ، فعندما يكون الانسان في حالة احتضار تضاء الشموع أملا في حياته ، وعندما يموت توقد في مكان وفاته. ويتم إهداء الشموع للقديسين في أضرحتهم وللموتى.

إن الاضاءة رمز الحياة ، بينما يرمز الظلام للموت و الإنطفاء ، فإضاءة الشـــموع إذن طرد للموت، لظلام القبر ، شكل رمزي للاحتفاء بالحياة وتعبير لاشعوري عن غريزة طالمـــا دغدغت أحلام الانسانية منذ الخليفة الاولى .

لا ينحصر هذا الحلم في التراث اليهودي على المرموز في الاضاءة ، بل يتعدى ذلك الى أشكال أخرى قابلة لتأويلات . في المقبرة الطبقية داخل الملاح كما في المقـــبرة القديمـــة شماله ، تنتشر بقع كبيرة من الشمع الذائب بإزاء قبر يوسف بن ميمون وفوق ربوة الشهداء الخمسين بالخصوص ،كما خصصت في البيت الجنائزي فوهة لإيقاد الشموع، وبعض القبور أيضا تخصص في جنباتها مواقد لهذا الغرض.

يختزن فعل الايقاد في حد ذاته دلالات رمزية، إنه تذكير بالمحارق التـــي تطـــارد اليهود في كل زمان ومكان (حكاية النسرافيم ومحرقة بوحلاسة) وعندما يحترق الشمع فإنه يذوب ويسيل كما تسيل الدماء والدموع. أليس ذلك

تكفيرا عن الخطايا والآثام التاريخية التي وقعت فيها الذات اليهودية منذ زمن التيه والى حدوث الشتات؟ أليست هي الخطايا التي تثير غضب الرب فيمطرها لعنات على الاثمين في شكل محارق واضطهادات وتنكيل؟ إنه تاريخ مأساوي.

في رواية flamand رفض يهود إفران الاستجابة لدعوة النبي " عزرا" بالعودة الى أورشليم ما أدى الى أن تنزل اللعنات عليهم كما نزلت على يهود أخرين . ثم يقول بأنه بعـــد محرقة " النسرافيم" اللعنات التي كانت تطارهم[1].

هي إذن الرغبة في التفكير عن الآثام ، في التطهير ، هاجس لاشعوري يؤرق الذات اليهودية التي تطاردها اللعنات، وعندما تحترق هذه الشموع وتسيل فوق جمـــــاجم الموتـــى، فكأنما تكفر هذه الذات عنها وعن غيرها من جراء أثام تاريخية وإحساسات بالذنب تطاردها. وعندما يتم إذابة هذه الشموع فوق أطراف الجسد مع ما يصاحب ذلك من الام الاحـــــتراق تتأكد بشكل جلي فكرة التكفير هذه.

وقد تتخذ هذه الطقوس في بعض الاحيان طابع التبرك والكرامة، فيتم التمسح بالشمع الذائب على أطراف الجسد لطرد الاوجاع[2] ، وفي الذاكرة الشعبية تكتســـي طـــابع القداســـة فبعض الحكايا تروي لعنات طاردت أشخاصا سرقوا من هذا الشمع المقدس في المقابر.

اللباس:

[1] -P- Flamand « Quelques manifestations de l'esprit populaire dans les juiveries du sud marocaine « Pages :24-31

[2]- في رواية " الشكوكي أحمد بنعلي" أ،يهودية مسحت بالشمع الذائب في المقبرة الطبقية على جسد ولد لها كان على وشك إجراء عملية جراحية.

قد لا يختلف لباس اليهود الإفرانيين من حيث النوع عن لباس غيرهم بل إن صناعة الملابس كانت في يدهم وإليهم يعزى ابتداع أشكال من الالبسة لاتزال متداولـــــة. غير أن اليهودي يمكن تمييزه من ملامح الوجه : اللحية المرسلة والانف المعقوف والعيون الزرقـــاء والشعر الاشقر، وإن كانت هذه الاوصاف غير مطردة في كل اليهود .

قد يحمل اللباس أيضا بعض الاختلاف من حيث الشكل ، إما من لونه الذي قد يميل الى السواد في غالب الاحيان، أو (الشاشية) السوداء التي تغطي جزءا من الرأس . إن سواد اللباس يقبل تأويلات رمزية مختلفة : قد يدل على التشاؤم والانغلاق أو على الحداد والحزن، غير أن رمزيته تأخذ دلالات أخرى إذا تم ربطها بالاعتقادات السائدة لدى الذات اليهودية عن الشياطين والارواح الشريرة والعين الادمية (عين هاراع[1])، وهي الاعتقادات التي يؤســـس لها التلمود وتغذيها التعاليم الحاخامية.

السوداء حماية من العين ، يتجاوز ذلك الثقافة اليهودية الى ثقافات عالمية ، فمن الشائع أن نرى بناء وفوقه إناء أسود لرد العين ، ويتم وضع سوار أســـود علـــى المعصـــم لنفـــس الغرض، كأن السواد يخفف من جمال وقيمة الشيء الذي تستحسنه العين، ومن ثم يقهر هذه العين الحاسدة.

اليد أو " الخماسية "[2]وسيلة أخرى للحماية من العين كما نجدها في بعض التمائم اليهودية مرفوقة بالنجمة السداسية " خاتم سليمان" رمز القوة والحماية.

---

[1]- إيلي مالكا: " العوائد العتيقة اليهودية بالمغرب من المهد الى اللحد" ص : 65.

[2]- الخمسة يعني عدد 5 الدي ينطق بها لانسان في الوقت الذي يظن أنه سيصاب بعين السوء. نظر" إيلي مالكا" مرجع" مرجع سابق ص : 66

أما " الشاشية" أو البقعة السوداء التي يغطي بها اليهودي جزءا من رأســـه ، فهي حاجز رمزي بينه وبين السماء التي قد تنزل منها اللعنة في كل حين. وقد تغرز فيها ابـــرة حديدية مبالغة في التوقي من شرور أخرى أرضية كالعين والسحر.

هذه المبالغة في الحذر والتوقي جزء من نفسية الذات اليهودية التي أسستها التعـــاليم الدينية والاحداث التاريخية. من الطبيعي لـــدى أقليـــة تعيـــش الغربـــة والشـــتات وتعـــاني الاضطهادات أن تواجه الخوف بأشكال تراها ملائمة .

- **تسمية المولود والختان عند اليهود**

يختن المولود الذكر في اليوم الثامن من ولادته و يقوم الأهل بتنظيم حفل تتخلله أدعية و صلوات و أناشيد دينية جميلة و يحرص يهود إفران ، في مثل هذه المناسبات على تغطية رؤوسهم لأن اسم الله يذكر خلال هذا الاحتفال ، يعطى المولود اسما رسميا و أحيانا اسمين (هارون) – (يوسف) – (يئير) - (موريس) - (موشي)-....و غيرها من أسماء المواليد الذكور أما إذا كان المولود أنثى فينتقى لها من الأسماء - (فريحا) – (سارة)– (سميمحا)- ..... بصفة عامة يحمل المولود البكر اسم جده من والده و هذا تقليد شائع بين أوساط يهود إفران ، و يتم اختيار الأسماء عادة وفق تقاليد و أعراف متوارثة، ففي فترة الحمل قد يحدث أن ترى الأم مثلا في منامها أحد أولياء اليهود الصالحين و هو يخاطبها أو يبوح لها بسر ...أو يقدم لها عطية أو منحة ماء....خبزا....ثيابا...مصباحا أو شيئا من هذا القبيل ، وقد ترى في منامها نبيا من أنبياء العهد القديم أو أحد الأقرباء

المتوفين فيختار الأهل للمولود اسم ذالك الشخص .....
و تشير التقاليد أن النبي إبراهيم ختن في العاشر من شهر تيشرين العبري و هو اليوم الذي افتدي فيه النبي إسحاق فهنا يتداخل الفداء و الختان بشكل متناسق كعلامتن متلازمتين من علامات العهود و المواثيق اليهودية[1] .

- **بارميتسفا**

عند بلوغ الصبي الخامسة عشر من عمره يعطى هذا الاسم، فالخامسةعشرة إذن هي سن التكليف وقبل هذا السن يعمد الأهل على تمرين الصبي للقيام ببعض الأعمال الدينية أو الاجتماعية بغية تأهيله و إدماجه داخل محيطه كأن يقدم كلمة مثلا أو يقرأ مزمورا أو فصلا من التوراة بالكنيس أو عند تجمع عائلي فيقيم الأهل حفلا تخليدا لهذه المناسبة التي أصبح فيها (البار ميتسفا) مسؤولا عن تصرفاته وأفعاله و عليه أن يحترم الشريعة و أن يسلك في جميع وصايا التورات و أحكامها وبهذه المناسبة يصير ل (البار ميتسفا) هو الآخر " شالا " يلفه حوله عند الصلاة و يرافقه هذا الشال طيلة حياته بل هناك من يكفن به عندما يرحل إلى دار البقاء...

- **البات *ميتسفا***

وكما هو الشأن بالنسبة للصبي، الفتاة حين تبلغ سن التكليف في سن الثالثة عشر، يقام لها هي الأخرى حفلا و يتم تحسيسها بدور المرأة الصالحة داخل الطائفة و بمسؤولياتها و التزاماتها المنتظرة طبقا لشريعة موسى ابن عمران.....

- **طقوس الزواج**

[1]- نفسه

يشكل الزواج حدثا هاما بالنسبة لليهود ؛ فهذا الرباط المقدس لا يقتصر على الجانب المادي فقط ، بل يتعدى ذالك ليحافظ على خصوصيات دينية و روحية بالغة الأهمية....

يعتبر اليوم الأول من أجمل الأيام بالنسبة للعروسين ؛ فهو بمثابة (يوم كيبور) شخصي ، إذ تغتفر جميع الذنوب و تنسى كل الخطايا لأن (هاتان) = العريس و(كالا) = العروس يتحدان برباط واحد و يذوبان في روح جديدة تتسم بالاخلاص و الانضباط و احترام وصايا التورات كاملة ... في تقاليد يهود إفران تشبه العروس بالملكة و العريس بالملك و هذا تقليد شائع حتى عند المسلمين بالمغرب إذ يطلق على العريس خلال فترة الزفاف تسمية مولاي السلطان و على العروس لقب للا السلطانة..... و لهذا تجلس العروس على كرسي كبير مزين و هي تستقبل ضيوفها ، بينما يكون العريس محاطا بأصدقائه الذين يحتفون به و هم يغنون له و يرقصون تحت وابل من الطرب و الغناء ..... و من بين العادات التي تطبع حفل الزفاف فضلا عن الخاتم الذي يرمز لرابطة الزواج ، هناك عادة الخمار إذ يعمد العريس على تغطية وجه عروسه ببرقع و هذا التقليد لا يخلو من دلالات رمزية هادفة ؛ لأن المظهر الخارجي و شكل الوجه لا يساوي شيئا أمام السلوك السوي للمرأة و حسن خلقها و امتثالها لوصايا التورات و أحكامها ....

إن هذا التقليد يذكرنا بزواج النبي (إسحاق) من (رفقة) عندما أخفت هذه الأخيرة وجهها من زوجها يوم زفافها ، ويذكرنا كذالك بزواج (ليئا) من (يعقوب) عندما خدع هذا الأخير و ظن أن العروس التي كانت تحمل برقعا على وجهها هي خطيبته الحقيقية (راشيل) .... كما أن هناك طقس آخر تجرى مراسيمه خارج البيت داخل خيمة و تحت نجوم الليل الساطعة لكي ينال العروسين

البركة التي نالها أبونا (إبراهيم) الذي وعده الله بأن تكون ذريته كعدد نجوم السماء، ويتوجب على العريسين أن لا يتزينان بأي نوع من الحلي أثناء هذا الطقس لأن ما يجمعهما يتعدى ما يملكان من ذهب و فضة، ثم تقوم العروس بالطواف سبع مرات حول زوجها و عندما تنهي طوافها تقف على يمينه و تكون الخيمة المنصوبة مفتوحة من كل الجوانب كخيمة (سارة) و (إبراهيم) تماما لكي يتسنى استقبال جميع الضيوف و الرقم سبعة هنا يشير إلى عدد أيام الأسبوع .

خلال حفل الزفاف تملئ كأسين من النبيذ ؛ يشرب الزوجان من واحدة منها(*) الأقرباء و يرمز الخمر في الدين اليهودي إلى الفرح و السرور (قليل من الخمر يفرح القلب..... ثم يشرب من الثانية فيما بعد أثناء تلاوة التبريكات السبع (شيفعا براخوت) الذي يتلوها حاخام أو أحد الأقرباء و يرمز الخمر في الدين اليهودي إلى الفرح و السرور (قليل من الخمر يفرح القلب..... كما قال داوود النبي .) و لكي يحظى الزواج بطابعه القانوني فانه يسجل على و ثيقة رسمية تدعى (كيتوبة) موقعة من طرف شاهدين فهي عبارة عن توافق شرعي يجمع الطرفين و فيها يلتزم الزوج بمتطلبات زوجته من مأكل و مأوى و كساء وأن يشملها بعنايته و عطفه. و غالبا ما تحرر (كتوبة) بطريقة تقليدية و بخط جميل و يحتفظ بها عادة داخل صندوق عند أهل العروس .

وعن الطلاق تخبرنا الباحثة "مالكا" انه قد نصت الضوابط الجديدة الموضوعة في شأن هذه المادة على أنه لا يجوز للرجل تطليق زوجته بدون سبب تبث في المحاكم الربانية وتثبت صحته.[1]

[1]- ايلي مالكا،العوائد العتيقة الإسرائيلية بالمغرب من المهد الى اللحد ،مرجع سابق،ص 52.

وتحتفظ الذاكرة المحلية، بأن الأسباب التي تدفع يهود افران الى تطليق زوجاتهم محصورة في :

- الزنا
- انعدام البكارة
- العقم
- اعتناق الاسلام
- رفض الزوجة مصاحبة زوجها المضطر للبحث عن لقمة عيش
- نشوز المرأة ومغادرة بيت الزوجية من دون اذن زوجها.

- **الجنائز *عند اليهود بإفران***

(إكفا ربي... يوي ربي ....) ومعناها بالعربية الله وهبه الله ...أخذه الله

بهذه العبارة المؤثرة النابعة من القلب يتحمل اليهودي المؤمن مرارة فراق عزيز أو حبيب ؛ و يتقبل إرادة الله وحكمته في إفران يعمل الأهل والجيران وذوي القربى على مساعدة أهل الفقيد والتخفيف عنهم و لو بالكلمة الطيبة لكي يجتاز محنة و لوعة الفراق و ليتحمل قدر الله . بعد التيقن من موت الشخص يقوم أحد الحاضرين بإغلاق عينيه و تمديده على ظهره و تمديد يديه و يتم تدثيره كليا بالغطاء قبل أن يتم تغسيله ، و قبل حمل الراحل إلى مثواه الأخير تتلى أدعية و صلوات و يطلب الحاضرون من الله المغفرة (ميحيلة) للشخص المتوفى و أن يتقبل صالح أعماله و أن يتغاضى برحمته عن هفواته و زلاته ، ثم يحمل النعش في اتجاه (الميعارة) = المقبرة ليوارى الثرى و يقوم الحاضرون برمي حفنة أو حفنتين من التراب داخل الحفرة كمساهمة رمزية ... و قبل مغادرة المقبرة

يقـوم من رافـق الجنازة بغـسل الأيـدي دون مسحها ..... ينقسم الحداد عند اليهود الإفرانيين إلى ثلاثة أقسام :

الشيفعا : السـبع أيام الأولى ، حيث يتم إشعال شمعة تذكارا للراحل و تتلى صلوات خلال هذا الأسبوع من أجل راحة روح الفقيد .

الشلوشيم: الثلاثين يوم الأولى ، حيث يتوجب احترام الحداد قدر الامكان فيسلك ذوي الفقيد البساطة في المأكل و الملبس و في جل المعاملات و يتفادون حضور الحفلات أو إشعال المذياع الذهاب.

الذكرى السنوية: يحيي يهودنا الذكرى السنوية للفقيد و فق طقوس و مراسيم متوارثة اعتيد عليها منذ مئات السنين و يراعى في الذكرى التقويم العبري و تتلى خلال هذه المناسبة أدعية خاصة من أجل راحة الفقيد كما يتم تقديم صدقات والقيام بأعمال خيرية باسم الشخص المتوفى لتكـتب له الحسنات و يتقبلـه الرب فـي (ملخوت الشماييم) = ملكوت السماوات ، فيـقوم الأهـل مثلا بالتبرع بمـلابس لصالح العـجزة و الأيتام أو تقديم أموالا أو كتب للكنيس .

- **الأضرحة أو الميعارة**

كرم يهود إفران أوليائهم الصالحين من ذوي الكرامات العظيمة والذكرى الرفيعة، مانحي السكينة والشفاء المنعمة أرواحهم في العلياء و المحروسة دوما في حرز الحياة المشهود لهم بالمسلك الصالح و النهج الراجح فأقاموا لهم أضرحة تليق بهم ، و خلدوهم في مواسم و حفلات شتى اكتسبت تقليدا و صيتا مع مرور الأيام والسنون و شهرة تعدت آفاقها الأمصار و الأقطار ، و حملوها معهم ذكرى رقيقة و هم من وراء البحار، فلا يتوانى يهود إفران مثلا المغتربون في الديار

الأمريكية والأوروبية بل و حتى المقيمون في إسرائيل نفسها على المجيء لموطن الأسلاف ومراتع الصبا حيث رأت عيونهم النور لأول مرة واكتحلت بشمس إفران كلما كانت الفرص سانحة لزيارة أضرحة الأولياء لنيل البركات وصلة الرحم مع الأحياء و الأموات ، فرابطة الموت أقوى ، و الكثير منهم يعمل على تنمية هذا الشعور لدى الأبناء و الأحفاد من الجيل الثاني و الثالث و تقوية تلك الروابط و الوشائج و العمل على ديمومتها و استمراريتها ، وتزخر أرض إفران كما هو معلوم بعشرات القبور لأولياء اليهود المعروفة لحد الآن دون تلك التي لم يبق لها أثر يذكر، منها على سبيل المثل لا على سبيل الحصر ، قبر ربى يوسف بن ميمون وسمية نورا .

4-لمحة تاريخية عن المقبرة اليهودية بإفران

تعتبر المقبرة اليهودية بإفران الأطلس الصغير من بين الأماكن القديمة التي تؤرخ لوجود اليهود بهذه المنطقة،و في هذا الإطار نجد الباحث عبد الله بنحسي في حوار أجراه مع جريدة "الوطن الآن" يقول: "استقر اليهود في البداية في مغارات على ضفاف وادي ايفران، وبعد أن حصلوا على موافقة السكان الأمازيغ شيدوا حيا سكنيا خاصا بهم أي الملاح.. بعد استقرار اليهود في دوار «السوق أوفلا»، شرعوا في بناء مكان للإقامة وللعبادة. وبني الملاح بطرق تقليدية، فالخشب جلب من غابة للعرعار في دوار تسكلا قبل أن تنقرض حاليا. ومن حين لآخر كانت تنشب احتكاكات مع السكان الأصليين .. وبعد صدامات دامية هاجر جزء من يهود إفران نحو دوار اكوماض، حيث تشهد مقبرة يهودية قديمة على هذا الوجود المحدود.

وفي بعض الفترات التاريخية منعت الطائفة اليهودية من دفن موتاها في مقبرة الأجداد، التي تلقب ب «معرة» وهو الاسم الذي يطلقه اليهود المغاربة على المقابر، سواء كإجراءات للنكاية والمضايقة من جانب المحليين، أو بسبب الصراعات المستمرة بين اليهود والسكان الأصليين، مما يجعل خروج أي يهودي من الملاح محفوفا بالخطر.. لم يجد اليهود أي حل سوى إنشاء مقبرة مؤقتة داخل الملاح في مكان يدعى «لمكيرة» حيث يوجد تل يضم سبع طبقات للقبور.[1]

في إطار حديثه عن المقبرة اليهودية بإفران وهذا نص من مقاله :" Monteilمونتاي وهوما أشار إليه

L'insécurité, les persécutions ont amené les fidèles à changer plusieurs fois d'emplacement. "

Au début ils enterraient leurs morts sur la rive sud de l'oued à moins d'un km. du mellah actuel en un lieu qui est redevenu aujourd'hui leur cimetière et qu'ils appellent lmieara, mot que les juifs de Fès emploient sans le même sens et que Brunot (1940,p. 129) rattache à l'hébreu <<caverne, et cimetière>> .[2]

Chassés par les persécutions, les juifs ont ensuite enterré leurs morts à un autre endroit, appelé agmmad (rive en berbère) et où l'on ne voit plus rien d'aujourd'hui.

---

[1] - حوار للأستاذ عبد الله بنحسي في جريدة الوطن الآن عدد399 نقلاعنمونتاي

[2]- Monteil.V « les juifs d'ifran(Anti-Atlas Marocain),situation actuelle ,cimetières ,ancêtres,Tombe de Yousef ben Mimoun » ,Hespéris,35,1948,p 4

Plus tard, vient un tertre ,dans l'actuel mellah ,appelé lemgira (peut –être doublet de l'arabe mgara,du judéo-arabe mieara,tout cela signifiant : (caverne).là encore ,rien ne subsiste . on sait seulement ,par tradition, que les morts ont été mis là sur sept couches de cadavres superposés.

ويضيف الباحث الفرنسي على أن يهود أفران كانوا يستخدمون موضعا آخر للدفن يسمى بوصواب عند أبواب الملاح الحالي,و الذي لم يبق منه شيء يذكر.

Puis ils ont utilisé le lieu –dit bu-sswab , aux portes du mellah actuelil n'y reste plus rien non plus . [1]

- وصف المقبرة اليهودية بإفران

شهدت المقبرة اليهودية بإفران تقلبات كثيرة مع مرور الزمن ,جعلتها تفقد مقوماتها بفعل عوامل طبيعية وأخرى بشرية غيرت ملامحها.

للوهلة الأولى يرى الزوار مساحة مغطاة بالحجارة في منظر يذكر بصور سطح كوكب المريخ،لكن هذه المقبرة المقفرة الواقعة فوق واد وعلى سفح جبل عند أطراف الصحراء الكبرى تحتوي على مئات القبور، بعد نظرة أخرى فإنه سرعان ما تتضح شيئا فشيئا معالم القبور وشظايا أحجار الشواهد بكتاباتها العبرية بين أكوام الحجارة المتناثرة يعود تاريخ هذه المقبرة حسب الروايات الشفهية إلى ألفي عام من الزمن احتفظت خلالها بذاكرة الألاف من اليهود الأمازيغ بما فيهم خمسون أحرقوا أحياء قبل مائتي عام ليرمى رمادهم في مغارة مجاورة.

[1]- Monteil.V « les juifs d'ifran(Anti-Atlas Marocain), p 5

يوجد بمقبرة ايفران، التي يرجع تاريخها إلى حقبة ما قبل الميلاد، قبور سبعة أولياء مقدسين لدى اليهود، وتلقب ب «أولاد شميرو سبعة». وأهم ما يثير عين زائر المقبرة، هو كثرة الشمع المذاب على القبور، مما يدل على كثرة الزوار اليهود، الذين يحجون إلى المنطقة كل سنة من داخل المغرب وخارجه، للترحم على قبور أقربائهم وذويهم.

تضم المقبرة قبورأخرى قديمة جدا، من بينها قبر يوسف بن ميمون و وايلي الجليلي الذي يعتبر أقدمها على الإطلاق.. وبعيدا، تحت تل يسمى «معرة حماك بيلا» يوجد القبر المشترك الذي دفن فيه بقايا جثث خمسون يهوديا، احرقهم المتمرد بوحلاسا وهم أحياء في سوق الخميس أيت بوبكر بأيت بعمران حوالي 1775، بينما تم دفن جثة الحبر يهودا ابن الحبر نفتالي افرياط، الذي كان آخر من ارتمى في لهيب النار في .مكان آخر في المقبرة.[1]

و هذا ما يشير إليه الباحث الفرنسي مونتاي بقوله :

A l’entrée,les deux tombes les plus anciennes :celle de Yousef bar Mimun,et celle du pseudo Elie le Galiléen ;

Sous un tertre voisin,les restes des 50 hannisrafim ,martyrs brûlés vifs en 1775.

Au centre ,enfin,un emplacement réputé maléfique et d’accès interdit à tous,appelé simplement tuh (milieu) ou

[1] - حوار للأستاذ عبد الله بنحسي في جريدة الوطن الآن عدد399 نقلاعنمونتاي

encore : tuh hammieara (le milieu du cimetière), il y aurait là de tombes de rabbins vénérés.[1]

وتتخذ قبور اليهود المدفونين بهذه المقبرة شكلا مستطيلا وهي مبنية بالحجارة والتراب. كما أنها تتميز بوجود حفرة على جهة الرأس تكون مخصصة لطقوس الشموع, وهنأك بعض القبور محاطة بالحجارة.

أما اتجاه القبر عند اليهود فهو نحو القدس ,وهذا مستمد من قوانين شريعتهم التي يؤمنون بها ,و كذلك جرت عادة يهود أفران أن يدفنوا موتاهم نحو الشرق عكس ما نجده عند اليهود الغربيين.

وبالاطلاع على هذه المقبرة الموغلة في القدم، نجد أنها تختلف كثيرا عن باقي المقابر اليهودية المتواجدة بالمغرب، لأنها تتميز بطابعها التقليدي البسيط لا من حيث شكلها -الذي لا يوحي للزائر الجديد بأنها مكانا للدفن-, ولا حتى شكل القبور التي تم بناؤها بمواد بسيطة(حجارة،تراب) ,وهذا قد يكون راجعا إلى الحقبة الزمنية التي عاش فيها اليهود هناك و التي تميزت بندرة الوسائل ومواد البناء الصلبة التي يمكن أن تصمد أمام عوادي الزمن.

لم تسلم المقبرة اليهودية هي الأخرى من حوادث العبث والتخريب التي طالت كل المآثر اليهودية الموجودة بالمنطقة، بما فيها الملاح الذي تعرض للتدمير بفعل الإهمال من طرف المسئولين الذين لايعيرون للمآثر التاريخية القديمة أي اهتمام، وتارة أخرى بسبب تهافت بعض المستثمرين على المنطقة لإنجاز مشاريع، دون

[1] Monteil.V « les juifs d'ifran(Anti-Atlas Marocain),situation actuelle ,cimetières ,ancêtres ,Tombe de Yousef ben Mimoun » ,Hespéris,35,1948,p 5

مراعاة هذه المآثر التاريخية، وأضف إلى ذلك تشويه الشواهد الموجودة على القبور وتحطيم الكثير منها .

ويظهر الخراب جليا داخل المقبرة الواقعة على سفح الجبل والمطلة على وادي إفران، حيث يكفي إلقاء نظرة على القبور الموجودة هناك لاكتشاف الخسائر التي حلت بها. فالأحجار والشواهد التي تحمل كتابات باللغة العبرية تظهر وهي مكسرة ومبعثرة في آن واحد.

ـ دلالات ورموز الكتابات الموجودة على القبور

من خلال التحقيق الميداني الذي قام به مونتاي حول المقبرة اليهودية تم العثور على قبر الربي يوسف بن ميمون مكتوب عليه كلمة "رحمة" فقط ،بدون تاريخ مقروء أو مرئي واستنادا إلى مجموعة من الشهادات من طرف مرافقيه من اليهود، أكدوا على أن الحجر العمودي الموجود بجانب قبر الربي يوسف بن ميمون، تعرض للتشويه من طرف الرعاة وقد محا الزمن العلامات التي كانت مقروءة من قبل.

On lit nettement le nom : « Rabbi yusef bar Mimun » et,peut-être,le mot : »rahmet »(miséricorde)…mais c’est tout.pas de date ;en tout cas,pas de date lisible ou visible.Mes compagnons juifs m’assurent que la pierre a été mutilée par

les bergers,que le temps a effacé les signes,et qu'on pouvait jadis lire la date.[1]

بيد أن هناك وثائق تؤشر على وجود كتابات على الشواهد ،وهو ما ورد في هذه الوثيقة التي تقول :

بمدخل المقبرة توجد أقدم قبور تحمل اسم يوسف بن ميمون و ايلي الجليلي مع تواريخ و كتابات تقول:

"مات سيدنا و معلمنا القديس الصالح الذي كان جدار حماية لإسرائيل الربي يوسف بن ميمون رحمه الله"

« A l'entrée du cimetière, les tombes les plus anciennes portent les noms de Joseph Ben Maimon et de Elie le Galiléen, avec les dates 3756 et 3757 correspondant à la cinquième année et à la sixième année de l'ère chrétienne. Les inscriptions disent :

— Est mort notre Seigneur, notre maître, le pieux et saint, qui fut un mur de protection pour Israël, le Rabb Joseph Ben Maimon. Que Dieu l'ait en sa miséricorde.

في وسط المقبرة اليهودية بافران يوجد قبر وايس بن يحيا الذي يحمل كتابة تقول:" الثاني في القداسة" ثم تاريخ 4762 عبرية، 1002 ميلادية. ويجاور قبر

[1] Monteil.V « les juifs d'ifran(Anti-Atlas Marocain),situation actuelle ,cimetières ,ancêtres, Tombe de Yousef ben Mimoun » ,Hespéris,35,1948,p 6

بن سيبوني يمينا ويسارا قبر العالم الذي يعتبر تاج إسرائيل وقديسها : انه الحبر سوسان بن أمغار المتوفى سنة 4254 عبرية 493 ميلادية. كما تضم مقبرة ايفران قبر يوسف بن سبات المتوفى سنة 4000 عبرية موافق 239 ميلادية، وقبر ابنه الحبر الأكبر صامويل. ودفن الحبر الأكبر شلومو اوحيون وابنه الحبر مكلوف بنفس المقبرة.. أما قبور الأحبار الكبار دافيد بن أيسو وشلومو افلالو ويوحنا بار موش فتوجد قرب قبر سلومون بن عبو وهو عالم دين ورجل معجزات.

Au centre du cimetière, la tombe de Ouais Ben Yahyia porte écrit : « Cheni Ba Kodeche » ce qui veut dire : « le deuxième en sainteté » ; mais cela peut être aussi une date : 4.762(1002).[1]

ومن خلال الشواهد الموجودة على القبور تظهر دائما كلمة(بر)أصلها من اللغة الآرامية و تعني(ابن) ونادرا ما نجدها بالعبرية(بن) أو بالأمازيغية (او) ،وكذلك بالنسبة للنساء (بت) أي (بنت). [2]

ـأسماء اليهود المدفونين بالمقبرة

و حسب ما أورده الباحث الفرنسي مونتاي[3] فإن المقبرة تضم مجموعة من القبور و قد حصرها في 23 قبرا يهوديا،بينما نجد ذكر أسماء يهود آخرين دفنوا هناك ،منهم من تم التعرف على تاريخ وفاته ،ومنهم من بقي مجهولا،و هذه لائحة بأسماء اليهود المدفونين بالمقبرة مع تواريخ وفاتهم وبعض صفاتهم:

[1] -Monteil.V « les juifs d'ifran(Anti-Atlas Marocain),situation actuelle ,cimetières ,ancêtres, Tombe de Yousef ben Mimoun » ,Hespéris,35,1948,p 10

[2] - ibidem

[3] - ibidem

قبر الربي القبالي إيلي الجليلي ،وهذا القبر لا يحمل تاريخ ولا كتابة،ويعتقد أنه عاش في القرن الأول ق.م.

قبور 50 من اليهود الذين تم إحراقهم من طرف المتمرد بوحلاسة وتم دفن رمادهم في مغارة مجاورة.

قبر الربي القبالي يعقوب بن سبات.

قبر الربي القبالي يوسف بن سبات(القرن الثالث ق.م/ت 239).

قبر الربي إسماعيل و ابنه (القرن الخامس ق.م/ت 491).

قبر الربي شلومو أفلالو.

قبر الربي القبالي شلومو بن عبو.(؟)

قبر الربي سوزان بن أمغار(القرن الخامس ق.م/ ت 493)، وقبور أفراد عائلة سيبوني المجاورة له.

قبر عزوز بن سبات(القرن السابع ق.م/ ت 626).

قبر داود بن عسو(القرن السابع ق.م/ت 647).

قبر مسعود بن موسى(القرن السابع ق.م/ت 652).

قبر عسو بن داود (القرن السابع ق.م/ت 690).

قبر الربي صموئيل ابن الربي يعقوب بن سبات(القرن الثامن ق.م /ت 709).

قبر شلومو بن يعقوب(القرن الثامن ق.م/ت 739).

قبر شلومو بن مسعود(القرن الثامن ق.م/ت 740).

قبر يوسف بن مسعود عمار(القرن الثامن ق.م/ت 745).

قبر الربي رجل الدين و المعجزات يهودا بن الربي نفتالي أفرياط(القرن التاسع ق.م/ت 839)،وكان آخر من ارتمى في لهيب النار مع اليهود المحروقين.

قبر الربي بيس بن موشي(القرن التاسع ق.م/ت 839).

قبر يهودا بن مومو (القرن التاسع ق.م /ت 840).

قبر يعقوب صباغ(القرن التاسع ق.م/ ت 840).

قبر يوسف الصريق (القرن التاسع ق.م /ت 853).

قبر شلومو بن عيس (القرن التاسع ق.م/ت 894).

قبر للا سمحة بنت نفتالي حنافو(القرن التاسع ق.م/ت 896).

وهناك خمسة قبور أخرى قديمة، لكنها لا تحمل تواريخ الوفاة،و هي لأربعة ربيين وهم:

شلومو بن محلوف أوحيون.

محلوف أوحيون.

موسى بن يهودا.

شلومو بن عيس صباغ.

سعيدة كنتو.

قبر الربي بن عيش بن يابي ويدعى بن يحي.

قبر الربي سليمان أوحيون وابنه مكلوف،وهذه القبور توجد خارج الكهف وممنوع على الزوار دخولها.[1]

بعد النداء الذي وجهته جمعيات المجتمع المدني الفاعلة بالمنطقة إلى السلطات المعنية،- وذلك عقب أعمال التخريب و الهدم التي تعرض لها الملاح اليهودي،في مطلع شهر أبريل سنة 2009 بسبب أشغال بناء مأوى سياحي بالقرية من طرف أحد المستثمرين- ،استفاد ملاح إفران من عملية الترميم التي عمت ملاحات الجنوب المغربي ،و المقابر اليهودية أيضا و قدرت الميزانية الأولية بمبلغ 70.000.000 سنتيم[2]،و تمت أشغال تسوير المقبرة اليهودية بإفران التي كانت فيما مضى عبارة عن مساحة مفتوحة في وجه الزوار و لا تتوفر على سياج يحميها من أعمال التخريب و العبث،و اليوم باتت هذه المقبرة محاطة بسور طويل و سميك بثلاثة أبواب حديدية من جهات مختلفة، و يسهر أحد أبناء المنطقة على حراستها و فتح الأبواب للزائرين المغاربة و السياح الأجانب.[3]

خاتمة :

احتلت منطقة وادي نون على مر التاريخ موقعا استراتيجيا جعلها تلعب أدوارا طلائعية في تاريخ التجارة الصحراوية، حيث شكل المجال الوادنوني ممرا لا محيد عنه لقوافل التجارة الصحراوية، مما جعل منها منصة للتبادل والتفاعل

[1] Monteil.V « les juifs d'ifran(Anti-Atlas Marocain),situation actuelle ,cimetières ,ancêtres,Tombe de Yousef ben Mimoun » ,Hespéris,35,1948,p 8-9

[2] حوار مع الأستاذ عبد الله بنحسي في جريدة الوطن الآن، العدد 391.

[3] معلومات مستخلصة منخلال الزيارة تيل الموقع المذكور.

والتأثير المتبادل. هذا الظهور بمظهر القطب التجاري المهم، هو من سيكون دافعا لتأسيس عدة مراكزتجارية غاية في الأهمية.

إن المكانة والأدوار التي برع في تأديتها يهود وادي نون، لم تكن متاحة لهم لولا انخراطهم الواسع في التنظيمات الاجتماعية التي كان هذه المجال مسرحا لها، وتفاعلهم بتماه واضح مع الأعراف والتقاليد التي تخضع لها هذه التنظيمات، وتبعا لقربهم من الزعامات المحلية وخدمتهم لها. وذلك على الرغم من التغييرات التي أخلت بشكل كبير بهذه العلاقة وهذا التفاعل خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر.

لقد شارك أفراد العائلات اليهودية المنتسبة لوادي نون في شبكات التجارة القافلية العابرة للصحراء بشكل منفصل يميل أكثر إلى التكامل كما ونوعا وكيفا. وعلى الرغم من كون هؤلاء انضموا تدريجيا إلى مجموعة شركات من اليهود يعملون كتجار السلطان كما كان الحال بالنسبة لأبراهام النفتالي، فإن "يهود تكنة" كانوا مرتبطين، وليسوا أعضاء في شبكة وادي نون التجارية الممتدة إلى أعماق الصحراء الكبرى، كما كانوا جزءا لا يتجزأ من المؤسسة التجارية التي أسستها عائلة آل بيروك، وفاعلين ومحفزين بارزين لمعاملاتها التجارية.

استمر الوجود اليهودي بالمنطقة إلى البدايات الأولى للاستعمار، حين داهمت القوات الفرنسية الحي اليهودي بمدينة كَليميم سنة 1934م. وعلى الرغم من ذلك لم يطالب سوى عدد قليل من اليهود بحقهم في الاستفادة من وضع المحميين الفرنسيين خوفا من فقدانهم دعم القبائل المحلية. ويؤكد أحد اليهود يدعى

شالوم، في شهادة أدلى بها للباحثة الامريكية غزلان لايدن، أن الجالية سنة 1941 كانت تضم خمسين فردا[1].

وتوالت الهجرات اليهودية بعد ذلك من وادي نون نحو الشرق الأوسط مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين، فاختفى أفراد هذه الجماعات تدريجيا من المنطقة، واقتصر حضورهم على يهودي واحد يدعى موردخاي، كان يشتغل في بيع الخمر والنبيذ بمدينة كَليميم قبل وفاته سنة 2016م.

تحتفظ الذاكرة المحلية بمجموعة من الصور المركبة عن الوجود اليهودي بوادي نون بشكل عام، وبمدينة كَليميم على الخصوص. إن الذكريات الجماعية حول هؤلاء تغلب عليها التصورات العفوية المشبعة بمشاعر الحنين المرتبطة بحسن الجوار والتساكن الذي كان يربط العلاقات الاجتماعية بين كافة المكونات، لكن هذه التمثلات تعكر صفوها ترسبات السياسة المشبعة بالأدبيات التي يرسمها الاعتقاد الديني لدى الطرفين.

خاتمة

[1]– Lydon. G,On trans, opcit, p. 188.

احتلت منطقة وادي نون على مر التاريخ موقعا استراتيجيا جعلها تلعب أدوارا طلائعية في تاريخ التجارة الصحراوية، حيث شكل المجال الوادنوني ممرا لا محيد عنه لقوافل التجارة الصحراوية، مما جعل منها منصة للتبادل والتفاعل والتأثير المتبادل. هذا الظهور بمظهر القطب التجاري المهم، هو من سيكون دافعا لتأسيس عدة مراكزتجارية غاية في الأهمية.

إن المكانة والأدوار التي برع في تأديتها يهود وادي نون، لم تكن متاحة لهم لولا انخراطهم الواسع في التنظيمات الاجتماعية التي كان هذه المجال مسرحا لها، وتفاعلهم بتماه واضح مع الأعراف والتقاليد التي تخضع لها هذه التنظيمات، وتبعا لقربهم من الزعامات المحلية وخدمتهم لها. وذلك على الرغم من التغييرات التي أخلت بشكل كبير بهذه العلاقة وهذا التفاعل خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر.

لقد شارك أفراد العائلات اليهودية المنتسبة لوادي نون في شبكات التجارة القافلية العابرة للصحراء بشكل منفصل يميل أكثر إلى التكامل كما ونوعا وكيفا. وعلى الرغم من كون هؤلاء انضموا تدريجيا إلى مجموعة شركات من اليهود يعملون كتجار السلطان كما كان الحال بالنسبة لأبراهام النفتالي، فإن "يهود تكنة" كانوا مرتبطين، وليسوا أعضاء في شبكة وادي نون التجارية الممتدة إلى أعماق الصحراء الكبرى، كما كانوا جزءا لا

يتجزأ من المؤسسة التجارية التي أسستها عائلة آل بيروك، وفاعلين ومحفزين بارزين لمعاملاتها التجارية.

استمر الوجود اليهودي بالمنطقة إلى البدايات الأولى للاستعمار، حين داهمت القوات الفرنسية الحي اليهودي بمدينة كَليميم سنة 1934م. وعلى الرغم من ذلك لم يطالب سوى عدد قليل من اليهود بحقهم في الاستفادة من وضع المحميين الفرنسيين خوفا من فقدانهم دعم القبائل المحلية. ويؤكد أحد اليهود يدعى شالوم، في شهادة أدلى بها للباحثة الامريكية غزلان لايدن، أن الجالية سنة 1941 كانت تضم خمسين فردا[1].

وتوالت الهجرات اليهودية بعد ذلك من وادي نون نحو الشرق الأوسط مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين، فاختفى أفراد هذه الجماعات تدريجيا من المنطقة، واقتصر حضورهم على يهودي واحد يدعى موردخاي، كان يشتغل في بيع الخمر والنبيذ بمدينة كَليميم قبل وفاته سنة 2016م.

تحتفظ الذاكرة المحلية بمجموعة من الصور المركبة عن الوجود اليهودي بوادي نون بشكل عام، وبمدينة كَليميم على الخصوص. إن الذكريات الجماعية حول هؤلاء تغلب عليها التصورات العفوية المشبعة بمشاعر الحنين المرتبطة بحسن الجوار والتساكن الذي كان يربط العلاقات الاجتماعية بين كافة المكونات، لكن هذه التمثلات تعكر صفوها

[1]– Lydon. G,On trans, opcit, p. 188.

ترسبات السياسة المشبعة بالأدبيات التي يرسمها الاعتقاد الديني لدى الطرفين.

ملحق

الوثائق

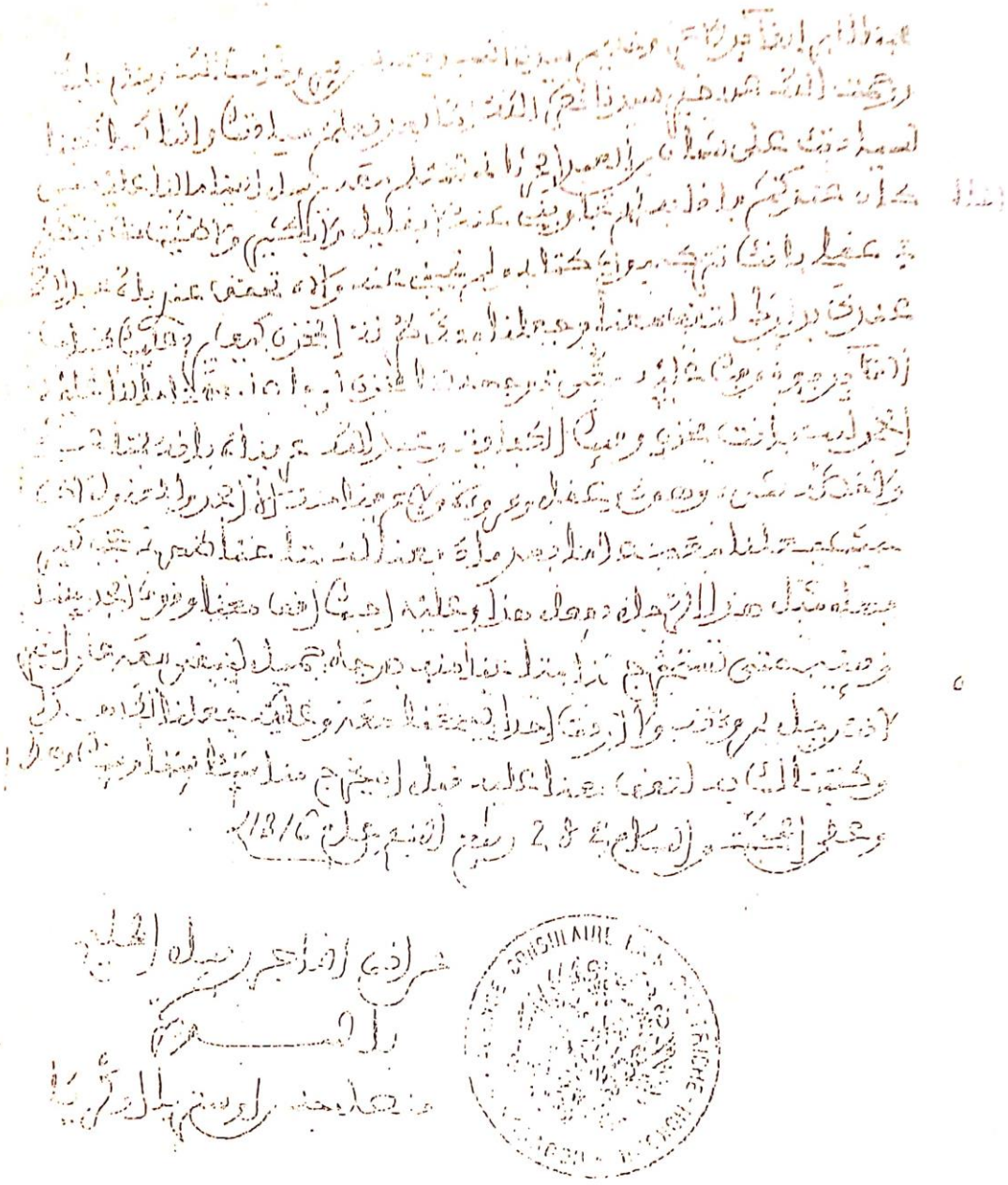

Avec le 31-7-51 : 100.000 Francs

Reste : Soixante 75.000 Soixante-quinze mille francs

Fait le 3ème Septembre - Garant Mohamed Ben Brahim Rguibi -

Le Cne Gendron

CERCLE DE GOULIMINE

LE CAID DU SERVICE DU CERCLE

Reçu la somme de

le 13 Septembre 1951

Lieutenant Gen

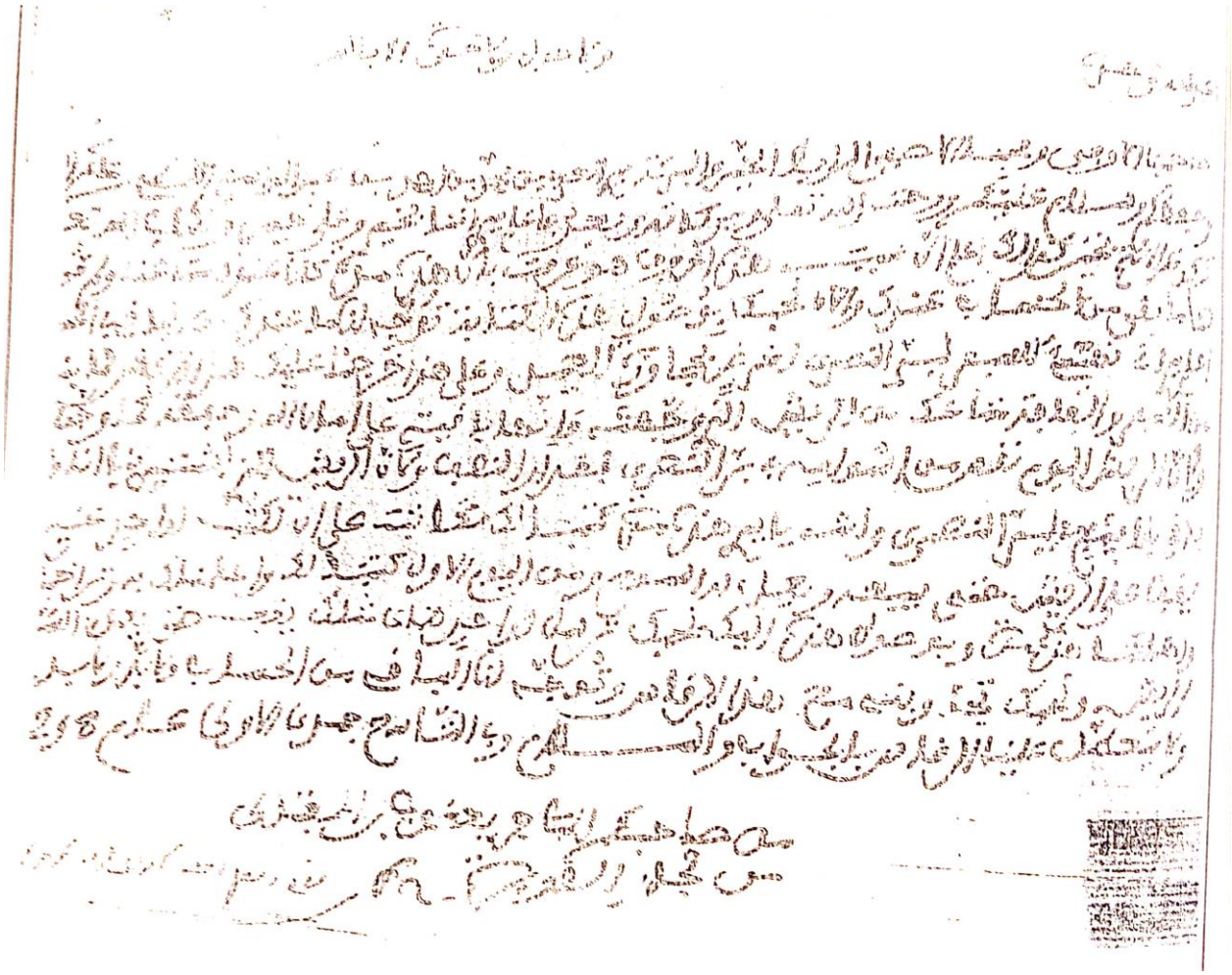

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد
اشتري اللحيين الأسيرا عيقفر من مخلوه
من السحدق أسبغ من يهود ملاح لهوى
أجرانة لعن الله طائفة اليهود من البا
يع له سيد ابراهيم بن محمد بن عبد الله
اللاذن التصوف الأبرز جميع نخلتين
في سدود ببكر بسلغينة امنع واحدة
ابنة سمين تمسكنت المعوجة جفلة
أم الفصل والثانية المسمية نخلة
النابغة في حجر ببكر الوالبة الفيلة
اشتري الأول من الكناز جميع ما ذكرنا
ووصفنا ابتياعا صحيحا جائزا
منجزا ماضيا شرطه بيعته بيع الرهن
والافالة بتمامه عدته وثمانية
احدى وثلاثون اوقية فضة
ستة موازنة عبد الرحمن قبض
ذلك قبضا وجيبا بافراره له بينا
بالقبض وابراه له فعلى ذلك الابراءة
واجاز جمله تحاولوا في حلال في ماله وفي
الملك الصحيح في ملكه وعلى السنة في ذلك
والمرجع بالادراك على قواعد التقسيمة
والتحويه وهذا ما تشهد به على
نفسه ربيع افتتاح دخل فيه لثمان علم على
اعلاه ربه محمد بن محمد بن احمد
زكريا التصوف البصري الأبرز
الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد

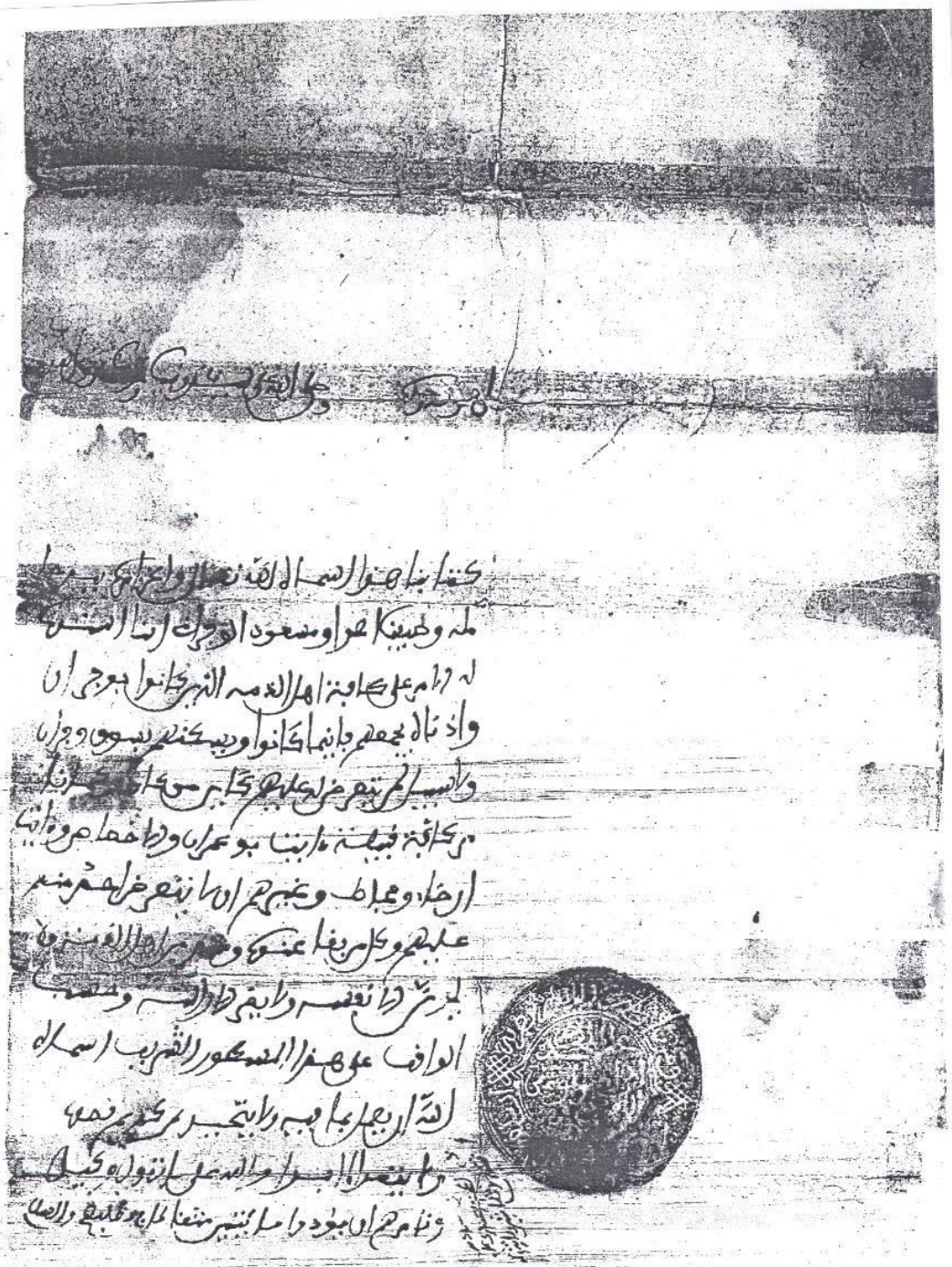

الحمد لله ببطاقة تحت عدد 57 بصحيفة 22، أدى لدينا أحماد بن العبد الموسى وعلي الخميسي أنه حاز بيده خمسة وثلاثين ألف ريال من يد الذمي التاجر هارون بن شالوم وأخيه إلياه اليهوديان الجلميميان على سبيل الشركة والقراض الجاري بين المسلمين وما أفاء الله عليه من الربح يكون بينهما مناصفة. انتهى بخط محمد المصطفى بن محمد ومحمد بن الطاهر العبيد

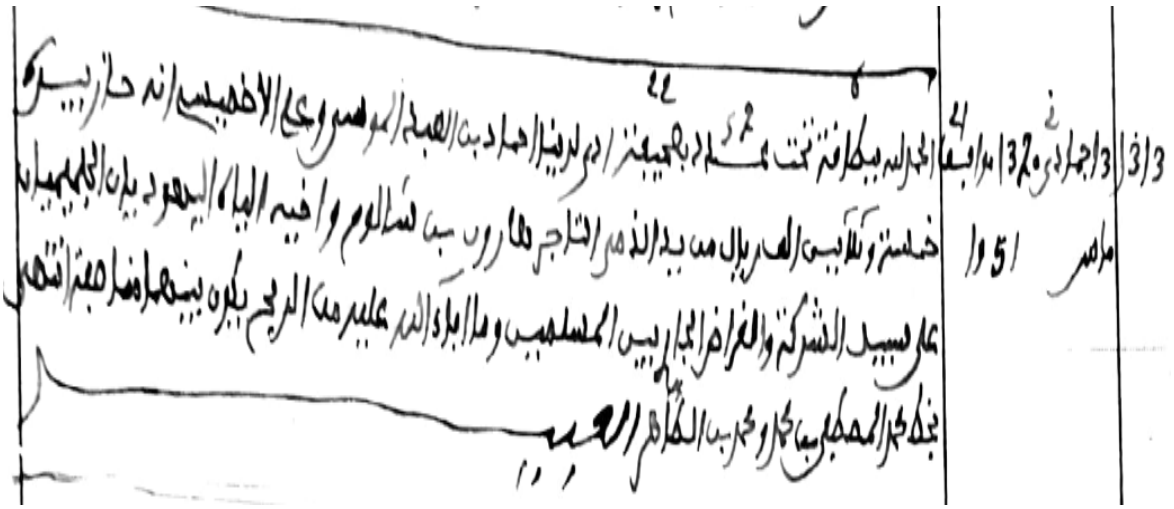

الحمد لله ببطاقة 167 تحت هدد 284 بصحيفة 92، وبعد فإن الذمي إلياه بن شالوم بن هارون اشترى بقرتين واحدة كحلا والأخرى دخناء وثمانية خرفان من الضأن بثمن قدره ستة ألاف ريال وحازهم منه الحسين بن علي أمهد الزفاطي على وجه الشركة والقراض الجاري بين المسلمين وعليهالمرعى والتقويم والربح فيما تناسل منهما يكون بينهما مناصفة انتهى بخط محمد المصطفى بن محمد ومحمد بن الطاهر العبيد الحرمة

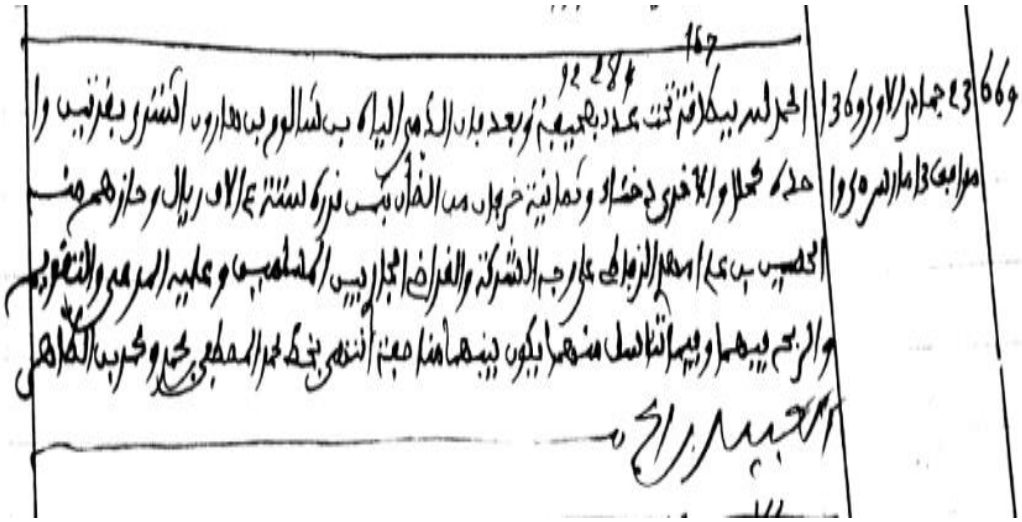

الحمد لله ببطاقة 166 تحت عدد 285 بصحيفة 92 أشهد الشيخ عبد الله بن محمد بن اعبرات المحمدي الزفاطي أن عليه في ماله وذمته أربعة آلاف سكة فرنكية لماسكه الذمي هارون بن شالوم بن هارون الجلميمي أصلها عليه ثمن السكر والشاي والخنط مؤجلا عليه إلى موسم سيدي محمد بن عمر المقبل يؤدى له ذلك لا يبريه إلا الواجب انتهى بخط محمد المصطفى بن محمد ومحمد بن الطاهر العبيد

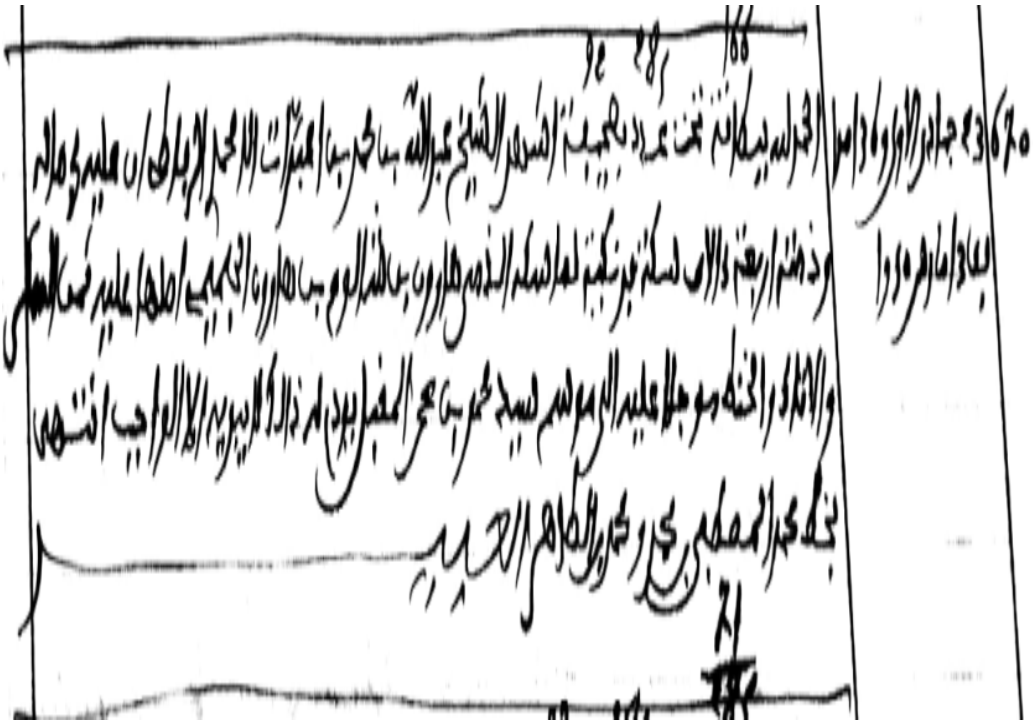

الحمد لله ببطاقة تحت عدد 91 وصحيفة 138 أشهد لدينا عبد الهادي بن الصالح بن أهويدالركيب من فخذة أولاد بو الرحيم أن قبله وذمته وماله لليهودي التاجر نسيم بملاح اكليميم ستة آلاف ريال سكة تاريخه أصلها عليه قيمة الخنط والكتان والأجل في الإغرام موسم سيدي الغازي المقبل. انتهى بخط محمد بن الطاهر ومحمد المصطفى بن محمد الحمد للهالعبيد

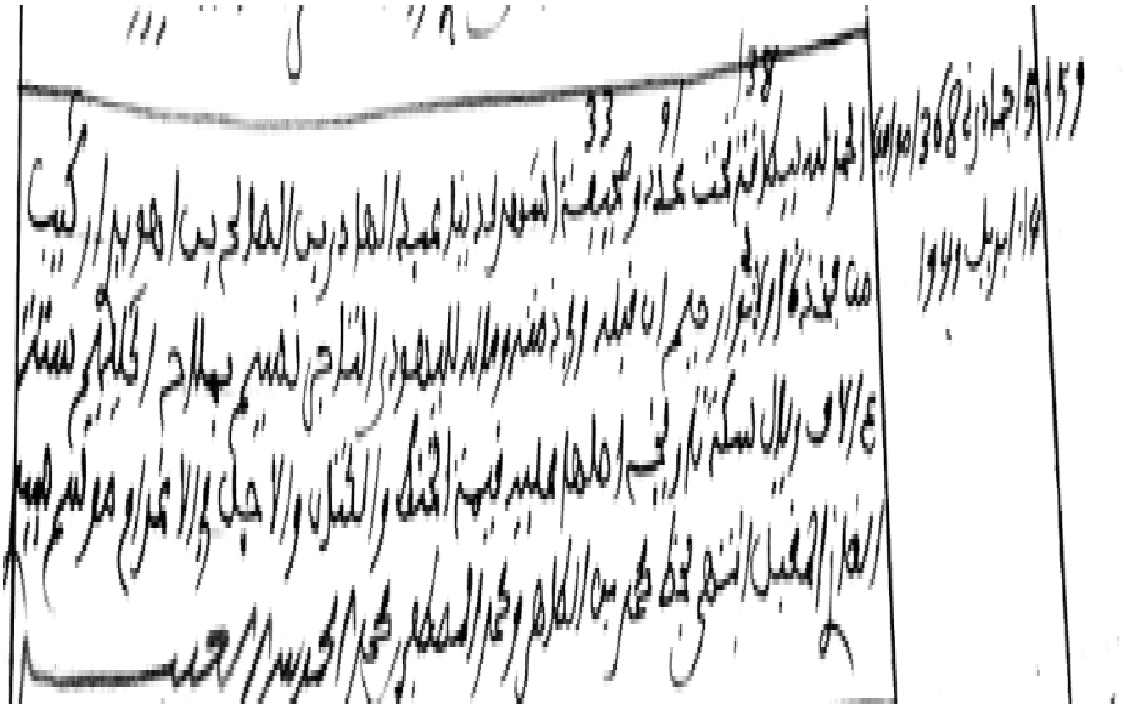

الحمد لله ببطاقة تحت عدد 199 بصحيفة 09 أدى المعلم اسعيد بن حمرون عتيق الفقيه سيدي علي ابن البخاري الجلميمي أنه كرى ابنه محمود للتاجر إلياه بن سعود اليهودي سكناه بالدار البيضاء على يد هارون بن موشي الجلميمي بثلاثمائة ريال لكل شهر سكة فرنكية ومؤونته ولباسه على السنة من فاتح شوال الماضي تأتي لتاريخه وشرط معه أن يقدم له إجارة ابنه السنة المذكورة عددها ثلاثة آلاف ريال وستمائة ريال (...) ودفعا له أربعمائة ريال معاينة والباقي يأتي به هارون بن موشي المذكور وقت رجوعه من الدار البيضاء ويدفع له تماما انتهى بخط محمد المصطفى بن محمد ومحمد بن الطاهر العبيد

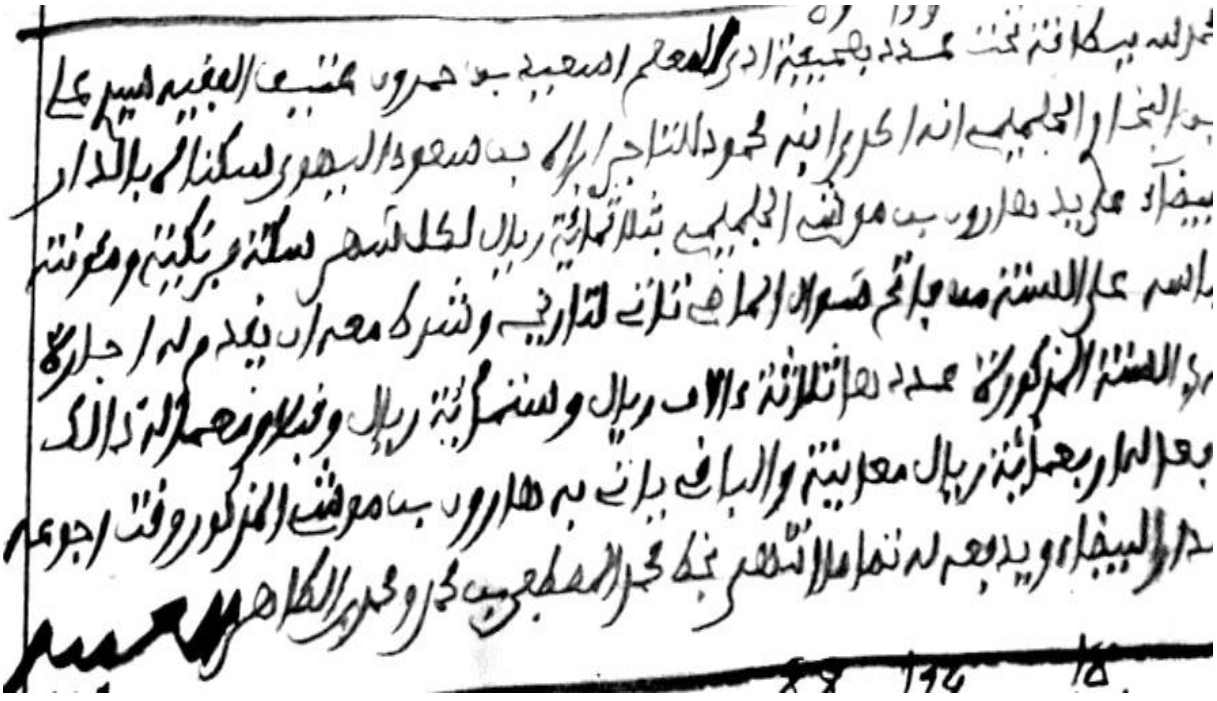

فهرس المحتويات :

فهرس المحتويات :

مقدمة

القسم الأول :المكون اليهودي بوادي نون : ثمرة ظاهرة الشتات

الفصل الأول : وادي نون، المجال والانسان

المبحث الأول : التحديد الجغرافي للمنطقة :

1- واد نون ، المفهوم والدلالة

2- المحددات الايكولوجية والجغرافية لمجال البحث :

المبحث الثاني : التشكيلات الاجتاعية بمجال وادي نون :

المبحث الثالث : صورة واد نون في الكتابات الغربية :

1- رحلة ليوبولد باني :

2- رحلة جواكين كاتيل فولتش :

3- رحلة روبرت آدامز:

الفصل الثاني : يهود وادي نون قبل القرن التاسع عشر: ثمرة ظاهرة الشتات

المبحث الأول : الهجرات الكبرى

1- التوشابيم

2- المغوارشيم:

المبحث الثاني : الهجرات اليهودية لمنطقة وادي نون:

1- محطات التواجد اليهودي بمنطقة وادي نون:

2- دوافع التواجد اليهودي بمنطقة وادي نون:

3- ثورة بوحلايس ومحرقة النسرافيم

القسم الثاني : النظم الاقتصادية والاجتماعية لليهود بوادي نون خلال القرن التاسع عشر

الفصل الأول : مكانة اليهود داخل النشاط الاقتصادي بوادي نون

المبحث الأول : وادي نون مركز تجاري

1- الأسواق والمواسم بمنطقة وادي نون:

المبحث الثاني : التوزيع الجغرافي للأسواق والمواسم بوادي نون خلال القرن التاسع عشر :

1- وادي نون والتجارة الصحراوية :

الفصل الثاني : التجار اليهود بوادي نون و الزعامات المحلية

المبحث الأول : علاقة يهود وادي نون بالسلطة الحاكمة:

المبحث الثاني : علاقة يهود وادي نون بالزعامات المحلية:

الفصل الثالث: أشكال التعامل التجاري لليهود بوادي نون، من المحلي نحو العالمي

المبحث الأول : يهود واد نون والتجارة الصحراوية :

2- النشاط التجاري بين وادي نون وتومبكتو

3- دوريهودوادي نون فيالنشاطالتجاريبأسواقتيندوف

المبحث الثاني : دور اليهود في تنشيط المبادلات التجارية

6- اليهود والتجارة الصحراوية
7- اليهود والوكالات التجارية الأجنبية :
8- الشبكات التجارية والنموذج التجاري اليهودي
9- تجار السلطان
10- تغير وضعية اليهود

المبحث الثالث : يهود وادي نون: افتكاك الأسرى ومراقبة المجال

1- افتكاك الأسرى الأوربيين مصدر من مصادر ثروة يهود وادي نون

الفصل الرابع : جوانب من الحياة الاجتماعية ليهود وادي نون.

المبحث الأول : اليهود جزء من الواقع الاجتماعي.

1- تفاعل اليهود مع التنظيمات الاجتماعية.
2- التلاقح الثقافي بين المكونين العبري والعربي بوادي نون

المبحث الثاني: العلاقات بين اليهود والمسلمين من خلال الوثائق المحلية

1- الحماية القانونية لليهود
2- طبيعة العلاقات بين الطرفين من خلال وثائق محكمة كلميم

المبحث الثالث : الملاح اليهودي بإفران

5- العلاقات الاجتماعية لليهود بإفران
6- الملاح: هل يعني انعزال اليهود عن الحياة العامة؟
7- المناسبات اليهودية بإفران
8- لمحة تاريخية عن المقبرة اليهودية بإفران

خاتمة

❖ المراجع باللغة العربية

- إبن زيدان عبد الرحمان، العز والصولة في معالم الدولة، المطبعة الملكية، الرباط، 1961.
- أحمد التوفيق ،"مادة إفران" ، معلمة المغرب، الجزء 2، مطابع سلا ، الرباط، 1989.
- ابنمنظور،لسانالعرب،المجلد 11،دارصادر،بيروت،بدونتاريخ،مادةنول،
- الحمويياقوت،معجمالبلدان،المجلدالخامس،داربيروت، 1987،
- الحميري،الروضالمعطار،تحقيقاحسانعباس،مؤسسةناصرللثقافة،الطبعةالثانية،بيروت، 1980،
- مجهول،الاستبصارفيعجائبالأمصار،مطبعةجامعةالاسكندرية، 1958،
- المراكشي،المعجبفيتلخيصأخبارالمغرب،تحقيقسعيدالعريانوالعلميمحمد،الطبعةالسابعة،دارالكتاب،الدارا لبيضاء، 1983،
- ابنخلدونعبدالرحمان،المقدمة،المجلدالثاني،المكتبةالعصرية،بيروت،
- الوزانحسنبنمحمد،وصفافريقيا،ترجمةمحمدحجيومحمدالأخضر،دارالغربالاسلامي،بيروت،الطبعةالثانية، 1983،
-
- جان لوي ميج، المغرب وأوربا في بداية القرن التاسع عشر، تعريب: أحمد عمالك –البشير تامر – محمد بوسلام، مجلة تاريخ المغرب العدد4، السنة 4، غشت 1884.
- حاييم الزعفراني:

  ➢ ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، مطبعة دار قرطبة، الدار البيضاء 1987.

  ➢ يهود الأندلس والمغرب، ترجمة أحمد شحلان، الجزء 1، مطبعة مرسم.

- دانيل شروتر، تجار الصويرة (المجتمع الحضري والإمبريالية في جنوب غرب المغرب 1844-1886، تعريب خالد بن الصغير، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة نصوص وأعمال مترجمة 6.
- إليغ قديما وحديثا ، المطبعة الملكية، الرباط، 1966.

- الناصري أحمد خالد، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، الجزء.8، تحقيق محمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، الرباط 2001.
- الوزان محمد الحسن، **وصف إفريقيا**، ترجمة:محمد حجي ومحمد الأخضر، الجزء الأول، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الطبعة الأولى ،1982.
- شحلان، أحمد، اليهود المغاربة من منبت الأصول إلى رياح الفرقة، قراءة في الموروث والأحداث، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2009

- بن الصغير، خالد،بريطانيا وإشكالية الإصلاح في المغرب 1886-1904،دار أبي رقراق للطباعة والنشر،الطبعة الأولى 2003.

- شحلان، أحمد، اليهود المغاربة من منبت الأصول إلى رياح الفرقة، قراءة في الموروث والأحداث، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2009
- لغمائيد، عبد الله، جماعات يهود سوس: المجال والتمثلات الاجتماعية والسياسية 1860-1960، بحث لنيل الدكتوراه في التاريخ المعاصر، ك.آ.ع.إ. الرباط، 2002.
- كاروباروخا، دراسات صحراوية، ترجمة أحمد صابر ورحال بوبريك، منشورات مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2015.
- ناعيمي، مصطفى، سياسة رؤساء كمفدرالية تكنة أمام التوسعية التجارة الأوربية، مجلة البحث العلمي، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، العدد 39، السنة 24، 1989، ص. 201-232.

- ر.كايي، مذكرة سفر إلى تمبكتو وجيني بإفريقيا الوسطى، باريس، 1965، الجزء 3.علي عبدة إبراهيم وخيرية قاسمة، يهود البلاد العربية، دراسات فلسطنية، مركز الأبحاث، بيروت، 1971.
- ناعيميمصطفى،الصحراءمنخلالبلادتكنة: تاريخالعلاقاتالتجاريةوالسياسية،مطابعكاض،الرباط،
- محمدالغربي،الساقيةالحمراءووادياالذهب، المجلد الأول، دار الكتاب، الدار البيضاء

- عمر أفا،" الظروف التاريخية لتطور أنماط الأطعمة المغربية منطقة سوس في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين"، هسبريس تمودا، العدد XXXIII 1995، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية.
- أسعدالسحمراني،منالیهودیةإلىالصهیونیةالفكرالدینیفیخدمةالمشروعالسیاسیالصهیوني | ملابسللطباعةوالنشروالتوزیع،طبعة 1993
- أشركنافو،صبیمنإفرانالأطلسالصغیر،ترجمةعبدالحمیدحیمود،منشوراتكلیةالآدابوالعلومالإنسانیةبأكادیر
- احمدشحلان،التراثالعبریفیالغربالإسلامي،التسامحالحق،منشوراتوزارةالأوقافوالشؤونالإسلامیةط2006
- حاییمالزعفراني،یهودالمغربوالأندلس،ترجمةأحمدشحلان،ج2،مطبعةالنجاحالجدیدة، 2000
- السبتي،عبدالأحد،بینالزطاطوقاطعالطریق–أمنالطرقفیمغربماقبلالاستعمار– ،دارتوبقالللنشر،الطبعةالأولى، 2009
- لغمائید،عبدالله،جماعاتیهودسوس: المجالوالتمثلاتالاجتماعیةوالسیاسیة 1860– 1960،بحثلنیلالدكتوراهفیالتاریخالمعاصر،ك.آ. ع.إ. الرباط، 2002
- روجیلوطورنو،فاسقبلالحمایة،ترجمةمحمدحجیومحمدالأخضر،الجزءالأول،دارالغربالاسلامي، 1992،بیروت،لبنان

- الدبیشعبدالوهاب،مجالوادینونفیالعصرالوسیطمنخلالكتبالرحلات،ندوةواحاتوادینون،منشوراتكلیةالاداب والعلومالانسانیة،جامعةابنزهر،مطبعةالهلالالعربیةللطباعةوالنشر،أكادیر،الطبعةالأولى، 1999

- محمد بوكبوط، مراسلات تجار تطوانيين مع عامل الصويرة الأمين الحاج علي بن الحاج في أواخر القرن التاسع عشر"، مجلة هسبريس تمودا، العدد 40، 2005.
- محمد كنبيب، "لمحة عن تطور العلاقات بين المسلمين واليهود في مغرب القرن التاسع عشر"، ندوة: المغرب من العهد العزيزي إلى سنة 1912، الجزء الأول، الجامعة الصيفية، يوليوز 1987.
- محمد المنصور،" مادة تجارة السلطان"، معلمة المغرب، الجزء 7، مطابع سلا ، الرباط، 1995
- حنداين محمد، **المخزن وسوس 1672–1822 مساهمة في دراسة تاريخ علاقة الدولة بالجهة، منوغرافية سوس**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة1، يوليوز 2005.
- الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الأول، مكتبة الثقافة الدينية، طبعة 2002.

- الحموي، ياقوت، معجم البلدان، المجلد 2، دار صادر، 1993.

- السبتي، عبد الأحد، بين الزطاط وقاطع الطريق-أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار-، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، 2009.
- آفا، عمر، التجارة المغربية في القرن التاسع عشر –البنيات والتحولات 1830-1912م، طبعة الكرامة، الرباط، الطبعة الأولى 2006.
- أنوزلا، الحسان، آل بيروك ويهود وادي نون خلال القرن التاسع عشر: نظرة على العلاقة والأدوار، سلسلة أعلام ورجالات وادي نون: أسرة أهل بيروك، منشورات مركز النخيل للتوثيق، الطبعة الأولى، 2016، ص. 127-166.
- برادة، ثريا، الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997
- بشير، عبد الرحمن، ليهود في المغرب العربي، 22-462هـ\642-1070، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، 2001،
- بوم، عمر، يهود المغرب وحديث الذاكرة، ترجمة خالد بن الصغير، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية: سلسلة نصوص وأعمال مترجمة رقم 18، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 2017.
- المحسن محمد، **دور الواجهة الصحراوية المغربية في قيام الدول الوسيطية وانهيارها 8-12م)**، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ظهر المهراز-فاس، 2005.
- الماسيسيدي إبراهيم، **أخبار سيدي إبراهيم الماسي**،ترجمة:عمر أفا، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة- الرباط،الطبعة2004،1.
- المنصور محمد، **المغرب قبل الاستعمار:المجتمع والدولة والدين (1822- 1792)**، ترجمة عن الانجليزية: محمد حبيدة،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،الطبعة الأولى،2006.
- المنصوري عثمان، **التجارة بالمغرب في القرن السادس عشر : مساهمة في تاريخ المغرب الاقتصادي**، مطبعة النجاح الجديدة– البيضاء،الطبعة 1، 2001.

- شرماط عبد السلام، **يهود المغرب في كتابات حاييم الزعفراني**، أطروحة لنيل الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية– الرباط، 1999-2000.
- **"الأبعاد التاريخية لاقتصاد أكادير في القرن التاسع عشر"**،أعمال **ندوة مدينة أكادير الكبرى المحور التاريخي**، جامعة إبن زهر كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، 1990
- أولباز عبد الله،"اليهود بالجنوب المغربي في العصر القديم:أية شواهد"، **أعمال ندوة: واحات وادي نون بوابة الصحراء المغربية**،جامعة ابن زهر-منشورات كلية الآداب–اكادير،1995.
- عبد الله العروي، الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية 1830م-1912م، تعريب محمد حاتمي ومحمد جادور، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2016
- رحال بوبريك، زمن القبيلة السلطة وتدبير العنف في المجتمع الصحراوي، الطبعة الأولى، دار أبي رقراق، الرباط، 2012
- بوكبوط محمد، "مراسلات تجار تطوانيين مع عامل الصويرة الأمين الحاج علي بن الحاج في أواخر القرن التاسع عشر"، **مجلة هسبريس تمودا**، العدد 40، 2005.
- بومزكو أحمد،"واد نون من خلال وثائق دار إيليغ"،**أعمال ندوة:الصحراء وسوس من خلال الوثائق والمخطوطات:التواصل والآفاق**،جامعة الخامس-الرباط،مطبعة النجاح-الدار البيضاء 2001.
- الخمليشي عبد العزيز،"حول مسألة بناء الملاحات في المدن المغربية"،مجلة دار النيابة، العدد14، 1987.
- عياش جرمان،"الأقلية اليهودية في مغرب ما قبل الحماية"، **مجلة دار النيابة**، العدد12، 1986.
- كنبيب محمد، لمحة عن تطور العلاقات بين المسلمين واليهود في مغرب القرن التاسع عشر، **ندوة: المغرب من العهد العزيزي إلى سنة 1912**، الجزء الأول، الجامعة الصيفية، يوليوز 1987.
- المحمدي علي،" التجارة والمجال القبلي:تنظيم التبادل واستقلال الجماعات، نموذج:أيت باعمران"،**أعمال ندوة: التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب**،القسم 2، جامعة الحسن الثاني- كلية الآداب والعلوم الإنسانية– عين الشق الدار البيضاء، 1989.

- المنصور محمد، (مادة تجار السلطان)، **معلمة المغرب** ، الجزء7 ، مطابع سلا، 1995.
- المنصوري عثمان،"التجارة بالمغرب في القرن السادس عشر مساهمة في تاريخ المغرب الاقتصادي"، **منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط**،،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،الطبعة1،2001.

المخطوطات :

- مخطوط نزهة الجلاس في أخبار بوحلاس لصاحبه محمد بن أحمد السملالي، مرقون بالخزانة العامة تحت رقم: ك، 970.
- رسالة من يعقوب النفتالي إلى محمد بن سيدي عبد الواسع بتاريخ 1879.
- رسالة من يعقوب النفتالي إلى محمد العرابي بتاريخ 1880.
- عقد حماية في ملكية بشار ولد بكار مؤرخة بتاريخ أكتوبر 1864.
- عقد حماية الشيخ محمد بن هيب الزفاطي لتاجرين يهودين مؤرخة ب 1318هـ\1900م.
- عقد خاوة بين اليهودي رابين وأحد سكان كليميم يدعى برك بن أمبارك. مجموعة الوثائق المحلية.
- سجلات محكمة كلميم،
- وثائق أحمد فال مجيدري، عقد حمائي لأبناء بيروك (محمد ولحبيب) مع يهودي ملاحهم، مؤرخ ب أواخر ربيع الثاني عام 1281هـ/ سبتمبر 1864م

المراجع باللغة الأجنبية

- Brunot Louis et Malk, **E.Textes Judéo –arabes de Fès**, Rabat, 1939.
- D.Jacques MeuniéLa Maroc saharien des origines à 1670 : avec cinquante-cinq documents photographiques Inédits de l'auteur, Librairie Klincksieck , 1982.

- Gatell y Folch(Joaquín),Viajes por Marruecos,Ediciones,Estudios introductorio y natas de Francisco Javier Martínez Antonio,Miraguano Ediciones,Madrid
- D.Mackenzie, **The Khalifate of the West**, **Being à General Description of Morocco**, London, 1911.
- Fréderic De la chapelle ,« les Tekna du sud ouest Marocain » Etude géographique, historique et sociologie, Bulletin de l'Afrique , N10, octobre 1933.
- Gattefassé (J)," Juifs et Chrétiens du Dra avant l'Islam",**Bull**, **de la sté de Préhistoire duMaroc**, 9è année n3-4, 1935.
- J.Besancenot, **Bijoux arabes et berbères du Maroc**, Casablanca : éd.dela Cigogne, 1953.
- J.Goulven, "Origine des Israélites du Maroc", **Hespéris**, 1927, Tome I.
- Monteil (v),""les Juifs d' Ifran", Hesperis , T.XXXV, 1948.
- Nesry De Carlos, **les Israélites Marocains à l'heure de choix**, Tanger, édition international, 1958.
- Pellabeuf (R)," Une Très ancienne communauté Israélite du Sud Marocain", **C**.**H**.**E**.**A**.**M** n4364
- Montagne Robert, la civilisation du désert nomade d'orient et d'afrique, ed Hachette, paris, 1974,
- Naimi Mustapha, « Nul Lamta », tableaux édifiants, Hesperis Tamuda, Vol XXXI I I , 1995,

- Du Puigaudeau Odette, « Arts et coutumes des Maures », Hesperis-Tamuda, volume 3, 1967,
-

- Abitbol, Michel, Tujjar al-Sultan Une élite économique judéo-marocaine au XIXe siècle, Jérusalem, Ben XVI Institute, (1994)

- Davidson, John, Notes Taken during Travels in Africa, London, 1839.

- D. Mackenzie, the khalifate of the west, Being a General Description of Morocco, London, 1911.
- Flamond, F, les communautés Israélites du Sud-Marocain: Essai de Description et d'Analyse de la Vie Juive en Milieu Berbère, Casablanca, (Sans Date).
- Gatel, Joachim, L'Oued-Noun Et Le Tekna à La Cote Occidental Du Maroc, B.S.G.P., Octobre, 1869.
- Ghislaine Lydon, On Trans-Saharan TrailIslamic Law, Trade Networks, And Cross-Cultural Exchange In Nineteenth-Century Western African, First Published 2009, First Paperback Edition 2012, Cambridge University press.

- Mackenzie, D, the khalifate of the west, Being a General Description of Morocco, London : 1911

- Marty, Paul, les Tribus de la Haute Mauritanie, Comité de L'Afrique Française, N° 5, 1915.

- Kenbib, M, Les Protèges, Publication de la Faculté des Lettres de Rabat, Casablanca, 1996.
- Miège, Jean Louis, Le Maroc et l'Europe (1822-1906), T.III, éds. La porte, imp. Al Maarif - al Jadida, rabat, 1996
- Bonelli Emilio, El Sahara :Descripcion Geografica , Comercail y Agricola Desde Cabo Bojdor à Cabo Blanco , L,Péant E Hijos , Madrid,1887.
- Davidson John, Notes Taken during Travels in Africa, London, 1836.
- Douls Camille, Voyages dans le Sahara Occidental et le Sud Marocain , Société Normande de Géographie . jan- Fév , 1888
- -Gatell Joachim,L'Ouad- Noun et le Tekna à la Cote Occidental du Maroc,in B.S.G.P,Octobre 1869.
- LeChatellier Alfrid,Tribus du Sud-ouest Marocain:Bassins Côtiers Entre Sous et Draa , Ed . Ernest-Leroux , Paris , 1891.
- Léopold Panet, Première Exploration du sahara occidental, Relation d'un Voyage du sénégal au Maroc, Le livre africain, Paris, 1986
- Mackenzie.D,The Khalifate of the West, Being à General Description of Morocco, London, 1911.

- Marty Paul , Les Tribus de la Haute Mauritanie ,Publication du Comite De L'Afrique Française ,Paris,1915.
- Caratini ,Les Rgaybats (1610-1934), T. 1,des Chameliers a la Conquête d'un Territoire De L'Harmattan , 1989.
- De la Chappelle.F,Les Tekna du Sud Ouest Marocaine ,Étude Géographique, Historique et Sociologique, B.A.F, Publication du Comité de l'Afrique Française, Paris, 1934.
- Justinard(Le Colonel) ,Un Petit Royaume Berbère, Le Tazeroualt ,Un Saint Berbère Sidi Ahmed Ou Moussa ,Maisonneuve ,Paris, 1954.

لا يزال الكثير من الغموض يلف جوانب عديدة من تاريخ المغرب، ويزداد هذا الغموض تعقيدا كلما تعلق الأمر بالجنوب المغربي. مرد ذلك الى ندرة الوثائق وقلة الشواهد التاريخية والنقص الكبير في الأبحاث والتقنيات والدراسات الأركيولوجية المنجزة حول هذه المنطقة. لذلك فجل الكتابات التي تطرقت لتاريخ المنطقة تحاول الانطلاق من فرضيات واسقاطات وشواهد ضعيفة كالرواية الشفهية والحكايات الشعبية المتداولة.

ومما لا شك فيه أن جنوب المغرب مجال شاسع متعدد البنيات والاثنيات، عاش مدا وجزرا بسبب تعدد الهجرات، لم يكن خامدا وهادئا بل طبعته أحداث كبرى، مجال يفتقر الى الدراسات والمراجع والوثائق والقراءات التاريخية، حيث يبقى التاريخ في معناه الوصفي هو السائد.

يكتنف الغموض جوانب عديدة من تاريخ جنوب المغرب، وبات من الصعب تبديده بسبب الافتقاد للوثائق وتعذر الحصول عليها. ولعل أي باحث سيصطدم بحقيقة مرة ألا وهي أن جنوب المغرب لم يعرف التدوين الا في فترات متقدمة وذلك لعدة أسباب لعل أبرزها هو الطابع الاجتماعي الذي تطغى عليه ظاهرة الترحال.

وهنا يمكن القول أن تاريخ الجنوب المغربي ظل منسيا، بعيدا عن مجال البحث يعتمد أساسا على الرواية الشفوية وان كانت تعتمد كمادة بحثية خام لدى الباحثين، الا أنها تبقى غير كافية وتغلب عليها الخلفيات، مما يطبع الجزم بمصداقيتها الكثير من الحذر. على أن هناك باحثين غربيين تناولوا تاريخ هذه المنطقة أمثال دولاشابيل، جاك مونيي، بول باسكون، روبيرت مونتاني، بول مارتي، فانسون مونتاي...وبالرغم مما يعتري الكتابات الكولونيالية من مؤاخذات لا مجال لحصرها

هنا، الا أنه نجد أنفسنا مجبرين على التعامل معها والانصات اليها والتعرف على التصورات التي يقيمها.

ومهما كانت هذه الانتقادات الا أن ما قدمته جاك مونيي أو غيرها يتضمن معلومات تاريخية لا يمكن تجاهلها، لذلك فأي باحث في تاريخ الجنوب المغربي يجد نفسه مجبرا على الاطلاع على هاته المؤلفات لكن بحذر شديد.

المعروف أن كل مجال في تاريخ الانسانية ينتج مجاله الخاص، وعلاقاته الانتاجية والاجتماعية الخاصة حسب تطوره ومستواه التقني، فالإنسان يعمل اذن على تنظيم محيطه وتغييره، لكن بالمقابل فان هذا الأخير بدوره يؤثر في الانسان وفي أشكال حياته. ومن هنا تأتي جدلية المجال والانسان، فرغم تطور المجتمعات وتغيير أساليب الانتاج يحتفظ المجال بهياكل تشهد على التأثيرات المتبادلة بينه وبين الانسان.

تعد منطقة وادي نون من أهم المناطق التي عرفت تواجدا بشريا منذ أقدم العصور، فعلى الرغم من قلة المراجع التاريخية، فالآثار الموجودة حتى الآن تؤكد وجود مدن عريقة تدل على حضارات لم تنل حظها الكامل من الكشف والتنقيب. ومن بين هاته المدن والتي تذكرها كتب التاريخ مدينة لمطة (أسرير حاليا) التي يعود تاريخها الى ما قبل الاسلام، وحتى عهد قريب كان السكان المحليون يعثرون على مجموعة من التحف والأواني والمسكوكات الأثرية التي ترجع الى حقب بعيدة. بعدها نشأت مدينة تكاوست، وعاشت هذه المدينة أكثر من ثلاثة قرون، ويذكر أحد الرحالة الفرنسيين (ليوبولد باني) عندما زارها في القرن الخامس عشر الميلادي أنها بلغت ازدهارا عظيما وكانت مركزا تجاريا وصناعيا، وتحيط بها مجموعة من القبائل الرحل الصحراوية. والجدير بالذكر أن منطقة وادي نون كانت تسيطر على التجارة حتى حدود نهر السينغال جنوبا، وعندما تهاوت مدينة تكاوست وقع الاتفاق بين القبائل

على اقامة سوق أسبوعي بربوة صغيرة قرب كلميم، ومازالت تسمى الى اليوم كويرة السوق أو ربوة السوق، لكن انعدام المياه العذبة بها وبعدها عن القرى الأخرى الآهلة جعل الأهالي يفكرون في تغيير مكانها، ويقال أن الفكرة يعود الفضل فيها الى عبيد الله أوسالم، وكان ذلك في عهد السلطان المولى اسماعيل نهاية القرن الثامن عشر، وهي الفترة التي عرفت ازدهارا بالنسبة للمنطقة الجنوبية بصفة عامة ومنطقة وادي نون على وجه الخصوص، ساعدها في ذلك تواجدها في مكان التقاء القوافل القادمة من فاس ومراكش والصويرة وغيرها، ومن القوافل الآتية من السودان. لتصبح بذلك منطقة وادي نون بمثابة سجلماسة جديدة التي سيطرت على التجارة الصحراوية لقرون من الزمن.

تقع منطقة وادي نون في النطاق الأقل قساوة لوجودها على حاشية الأطلس الصغير، وهي بذلك توفر حياة أفضل للاستقرار والزراعة على عكس الجنوب حيث تسود حياة الرعي والترحال. ومن هنا تبرز أهمية خلق تجمع بشري والحفاظ عليه. فبالرغم من طبيعة التضاريس ونوع المناخ السائد تنتشر على مختلف الواجهات أقدم وأهم المداشر والقرى: أسرير، تكاوست، تغمرت...، هاته التجمعات السكنية تعتمد في مورد عيشها على مياه الآبار والعيون، وفي الوقت ذاته تعتمد على الانتجاع كنمط اقتصادي مهيمن. كما أن المجال الجغرافي لوادي نون يبرز الأهمية الاستراتيجية للمنطقة كصلة وصل بين الشمال والضفة الجنوبية للصحراء جعلها تكون بمثابة مركز رحى نشاط اقتصادي مهم، ونقطة التقاء بين الرحل والمستقرين.

اضطلعت منطقة وادي نون بأدوار هامة في التاريخ الاقتصادي والسياسي والاجتماعي للجنوب المغربي بفعل موقعها الاستراتيجي الذي جعل منها منطقة عبور ومجال للقاء بين مجموعات اجتماعية مختلفة، زد على ذلك نمط العيش الذي ظل يزاوج بين حياة الانتجاع وحياة الاقامة في قصور و مداشر جوار الأودية وفي

الواحات. ناهيك عن صيتها في صحراء المجابات الكبرى وبلاد السودان كمكان للأسواق وموطن للماهرين في التفاوض التجاري والسياسي.

ورغم هذه الأهمية المشار اليها، فان المنطقة ظلت نسبيا على هامش الأبحاث الأكاديمية طيلة العقود الأربعة الماضية حيث سرقت الأضواء منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب لأسباب استراتيجية وسياقية معلومة. مع أن منطقة وادي نون توجد بها أرصدة وثائقية مهمة خاصة عند العائلات والزعامات التقليدية المحلية تشمل المراسلات وعقود البيع والشراء والأعراف والاجارة وعقود النكاح وعقود التحالف والظهائر المخزنية وعقود الشركة والفتاوى ومشجرات الأنساب...الخ. ناهيك عن الزخم التاريخي الذي تتميز به المنطقة كونها أول مستقر لليهود بالمغرب الأقصى، اضافة بطبيعة الحال الى الكتابات الكولونيالية وما دونه الرحالة الغربيون وضباط الشؤون الأهلية عن منطقة وادي نون.

ان النبش في تاريخ واد نون هو في غاية الاهمية ليس فقط لفهم تاريخ الاقتصاد والمجتمع والثقافة بهذه المنطقة ولكن بالنسبة للمناطق المجاورة سواء سوس شمالا أو الساقية الحمراء وموريتانيا جنوبا لأنه بالإمكان العثور على معلومات وفك ألغاز في تاريخ هذه المجالات انطلاقا من وادي نون. هذا الأخير الذي كان منطلقا للعديد من المجموعات الاجتماعية التي قطنت الساقية الحمراء وبلاد شنقيط. وكان واد نون بالمقابل مأوى للعديد من القبائل والعشائر الرحالة الوافدة من الجنوب والشرق.

كما أن واد نون من المناطق الصحراوية التي انفتحت في وقت مبكر على العالم الخارجي سواء من خلال الهجرات القادمة من الشرق (الهجرات اليهودية-الهجرات العربية...)، أو من خلال المحيط الأطلسي سواء عبر سواحل واد نون أو عبر مرفأ

موكادور (الصويرة)، ناهيك عن الرحالة الأجانب الذين اتصلوا بسكان واد نون مبكرا وساهم معهم بعض الوادنونيين في عبور الصحراء نحو بلاد السودان.

عنوان الأطروحة :

ان عنوان أطروحتنا هو "البنيات الاقتصادية والاجتماعية لليهود بوادي نون خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين" مساهمة في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لفئة نشيطة من المجتمع المغربي ككل، ومن خلال هاته الفئة (اليهود) التعرف على جوانب ظلت مظلمة في البحث التاريخي للمنطقة، اذ أن جل الدراسات والأبحاث التي تناولت منطقة وادي نون والجنوب المغربي ركزت على مونوغرافيات القبائل وأدوارها داخل النسيج الاقتصادي والاجتماعي، وجاء الحديث فيها عن دور فئة اليهود عرضيا ومحتشما، وذلك لعدة اعتبارات لا يسعنا المجال للحديث عنها، غير أنها غالبا مرتبطة بشح المعلومات والوثائق من جهة وغياب هذا العنصر عن المجال منذ عقود خلت.

ان الغاية من دراسة هذا الموضوع المتعلق بجوانب ن التاريخ الاقتصادي والاجتماعي ليهود واد نون، هو الرغبة في ابراز جوانب من تاريخ المنطقة الذي لا زال غامضا ويحتاج الى مزيد من الدراسات والأبحاث، وقد دفعنا الانتماء الى المنطقة الى اختيار جانب من تاريخها للانكباب عليه رغم أن ثلة من الباحثين من أبناء المنطقة سبق لهم ان تناولوه على مستوى معين.

تعتبر المنهجية هي العلم الذي يبحث في الطرق التي يستخدمها الباحثون لدراسة الاشكالية والوصول الى الحقيقة، وعلى اعتبار ان الفصل بين المناهج العلمية غير ممكن في البحث العلمي، لأن جميع المناهج خطوات مختلفة في منهج واحد، ارتأينا

الاعتماد على مجموعة من المناهج، نعتقد انها كفيلة بإيصالنا الى درجة من الدقة والضبط العلميين ومن بينها :

المنهج التاريخي :الذي لا يقتصر على مجرد سرد الأحداث التاريخية، بل انه يحللها ويفسرها في واقعها التاريخي قصد الوصول الى معرفة الحاضر، على اعتبار أن الحاضر نتاج لتراكمات سابقة.

والى جانب المنهج التاريخي حاولنا ان نوسع دائرة الالتزام هذه من خلال الاستعانة بمجموعة من العلوم المساعدة للتاريخ والتي لها وزن في الاحاطة بالمجتمعات البدوية.

اعتمدنا كذلك على المنهج الاستقرائي والاستنباطي (تحليل المضمون) الذي يقوم على وصف منضم ودقيق لمحتوى نصوص مكتوبة، وسنعتمده في دراسة الوثائق التاريخية ذات الصلة بموضوع الدراسة، وهي وثائق تجارية وعقود ومعاملات متنوعة، وقد سمحت لنا هذه الوثائق بالوقوف على بعض الانشطة الاقتصادية ليهود المنطقة.

فرضت علينا طبيعة البحث طرح مجموعة من الاشكاليات حول الأهمية التي يكتسيها النبش في تاريخ اليهود بوادي نون.

يحاول البحث تلمس التحولات التي طبعت فئة معينة من المجتمع المغربي بصفة عامة والمجتمع الوادنوني على وجه الخصوص، وهي فئة اليهود ضمن مقاربة تاريخية سوسيولوجية، استهلت بملامسة مكانتها في المجتمع الوادنوني، ثم مقاربة واقعها ضمن متغيرات وسيرورة التاريخ المغربي.

وهي الاشكالية والمقاربة التي أغفلتها جل الدراسات نظرا لأن دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي في بلادنا ومنذ أواسط القرن الماضي انحصرت في العمل المونوغرافي والبنيات القبلية.

قسمنا البحث الى قسمين رئيسيين: قسم أول عنوناه ب**المكون اليهودي بوادي نون : ثمرة ظاهرة الشتات،** يتكون من فصلين اثنين، فصل أول تطرقنا فيه للمجال المدروس، حاولنا تحديد أهم معالم المجال الوادنوني وفصل ثاني، تطرقنا من خلاله الى الهجرات الكبرى لليهود، والهجرات التي أوصلتهم الى مجالنا المدروس، وأهم دوافع هذا التواجد. أما القسم الثاني من البحث والمعنون ب**النظم الاقتصادية والاجتماعية لليهود بوادي نون خلال القرن التاسع عشر،** قسمناه الى أربع فصول، تناولنا في الفصل الأول مكانة اليهود داخل النشاط الاقتصادي بوادي نون، وفصل ثاني حاولنا فيه ملامسة أهم التفاعلات التي طبعت العلاقة بين المكون اليهودي والزعامات المحلية بوادي نون من جهة وكذا العلاقة بين اليهود والمخزن من جهة ثانية، أما الفصل فيتناول صعود نجم اليهود بوادي نون وتحولهم من تجار محليين الى تجار عالميين وتجار للسلطان، وفي الفصل الرابع والأخير تناولنا بعضا من جوانب الحياة الاجتماعية لليهود بملاحي كلميم وافران.

اعتمدنا في هذا البحث على مجموعة من الخرائط والرسوم الجوية والجداول بغية اعطاء القارئ صورة مقربة عن المنطقة المدروسة، لأنها تحتوي على معلومات واشارات لمختلف الاشكال التضاريسية للمنطقة من جهة وكذا تحوي اشارات لمختلف المداشر والدواوير التي توجد بالمنطقة، كما يضم البحث كذلك مجموعة من الصور الفوتوغرافية المأخوذة من أمكنة مختلفة للمجال المدروس.

ان موضوعا بهذا التنوع، وعلى درجة كبيرة من الدقة (اليهود) لا يمكن الا أن تكون تحليلاته ومقارباته على درجة كبيرة من الصعوبة، فالبحث يتداخل فيه ما

هو تاريخي عميق بما هو حديث ومعاصر، مما يجعلنا امام صعوبات ناجمة عن مشكل الوثائق من حيث ندرتها أو صعوبات استغلالها وتوظيفها.